

المجتمع الإسلامي المعاصر

دراسة في ضوء الكتاب والسنة

الدكتور

محمد كاظم الفتلاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية التربية / جامعة الكوفة

٢٠١٨م

المجتمع الإسلامي المعاصر / دراسة في ضوء الكتاب والسنة
الدكتور محمد كاظم حسين الفتلاوي
كلية التربية - جامعة الكوفة

الناشر: دار حدود للنشر والتوزيع / بيروت
مطبعة: دار الرافد للطباعة - بغداد

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق - النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م

محفوظة
جميع الحقوق

العراق - النجف الأشرف



﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ



الإهداء

إلى ..

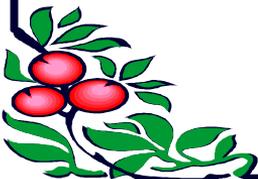
قادة المستقبل .. ورواد المجتمع .. وأمل الحياة

إلى .. أبناء اليوم .. آباء الغد

إلى .. بنات اليوم .. أمهات الغد

تقبلوا مني هذا الجهد مناراً لطريف مستقبلكم
وانتم تسيرون بدروب الحياة في مجتمع إسلامي واعد ..

محمد كاظم الفلاوي ✍





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة..

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتب ولا في أيّ الفريقين يُساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعده، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الغر الميامين، وصحبه المنتجبين

أما بعد.. قبل أكثر من أربعة عقود كتب المفكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ) العبارة الآتية مستفتحاً بها كتابه المشهور "فلسفتنا":

(مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في محاولة اعطاء أصدق إجابة عن السؤال الآتي:

ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية؟^(١)).

وبعد مضي أكثر من أربعين عاماً على هذا الكلام ما زالت المشكلة هي المشكلة، وإن كانت وقتذاك تمس واقع الإنسانية بالصميم فهي الآن تمسه في صميم الصميم! فقد استقل الداء على الدواء وأعيا الداء الطبيب!

ويقرر العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) أن المجتمع الإنساني لا يتم انعقاده ولا يعمر إلا بأصول علمية وقوانين اجتماعية يحترمها الكل، وحافظ يحفظها من الضياع ويجريها في المجتمع وعند ذلك تطيب لهم العيشة وتشرف عليهم السعادة^(٢).

(١) فلسفتنا، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط ١٠، ١٩٨١م، ص ١١.

(٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩م، ١٦/١٩٧.

وقد حاولت الأنظمة الرأسمالية والماركسية وأيدولوجيات وتيارات بمختلف ألوانها ويشتى مذاهب العقل البشري إقامة صرح اجتماعي، ولكنها كانت محاولات مرهقة تضج بالمآسي، من هنا دأب المفكرون والمحققون المسلمون الى الظفر بمعالم النظرية الاجتماعية التي يتبناها الدين الإسلامي بوصفه ديناً خاتماً لرسالات السماء ولديه القدرة على قيادة الحياة الإنسانية على أكمل وجه الى يوم القيامة.

فكان (لا بدّ للإسلام أن يقول كلمته في معترك هذا الصراع المرير، وكان لا بدّ أن تكون الكلمة قوية عميقة، صريحة واضحة، كاملة شاملة، للكون والحياة والإنسان، والمجتمع والدولة والنظام، ليتاح للأمة أن تعلن كلمة "الله" في المعترك وتتادي بها، وتدعو العالم إليها، كما فعلت في فجر تاريخها العظيم)^(١).

ولمساس الموضوع بصميم الواقع العملي الاجتماعي وما نشهده من تغيرات متلاحقة على الساحة الإسلامية (أفراد وجماعات) كان العزم على تأليف هذا الكتاب الذي اعتمدت في إعداده البيان الواضح، مرجئ القول في عرض المسائل الفقهية وموعزها الى مضانها في مصادرها، كما نوّعت فيه بين لغات العقل والنّص والقلب، مستلهم مضامين هذا الكتاب ومطالبه من هدي القرآن الكريم والحديث الشريف، باعتبار ان القرآن الكريم (أول مصدر إسلامي يتصدى لبناء مجتمع إنساني على أسس علمية وقيم رسالية)^(٢)، وسنة المعصوم عليه السلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله زعيم أهل بيت الرسالة وسيدهم، ومؤسس معالم المجتمع الإنساني الإنموزجي، وقد أوكل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - بأمر من الله تعالى - مهمة إكمال بنائه الى سائر القادة الهداة من أهل البيت عليهم السلام^(٣).

(١) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ٦.

(٢) منذر الحكيم، مجتمعنا في تراث السيد محمد باقر الصدر، ص ٥٢.

(٣) ظ: محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، ص.

هذا.. وبعد مطالعة جملة من المؤلفات ذات الشأن في: المجتمع الإسلامي المعاصر^(١)، ومن غير بخسٍ لمضمونها ولمؤلفيها وتجنباً للتكرار، وبهذا لا ادعي أنني أول من كتب في هذا الموضوع، فلقد سبقني في الكتابة الكثير، ولكن أحب أن أُبين أن كل من سبقني من الباحثين والكتّاب تناول جانباً واحداً عن دراسة المجتمع الإسلامي وأفاض فيه، فأحببت أن أبحث هذا الموضوع بصورة متكاملة وفي صميم حياة الفرد والمجتمع وعلى هدي الثقلين.

أملاً من الله سبحانه ان يكون هذا الكتاب وما فيه من أسطر مرضياً عنده تعالى أولاً وعند القارئ الكريم نافعاً، فخير الكلام ما كان الله فيه رضا ولنا فيه صلاح.

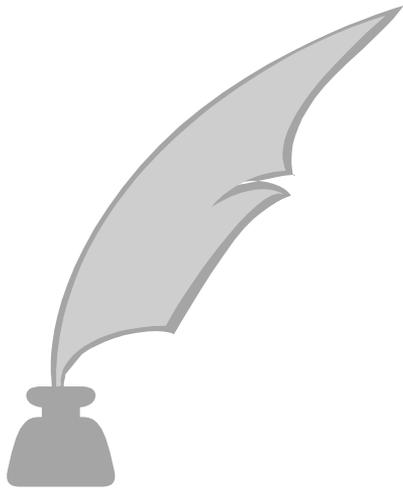
وفي الختام: لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع: "المجتمع الإسلامي المعاصر" ولعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأخيراً ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب فإن أخطأت فأرجو مسامحتي وإن أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله وعِزِّهِ.

الدكتور

محمد كاظم الفتلاوي

النجف الأشرف / جامعة الكوفة

(١) على سبيل المثال منها ظ: د. جمال عبد الهادي مسعود وآخر، المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الوفاء للنشر، مصر، ١٩٩٤م، د. محمد نجيب ابو عجوه، المجتمع الإسلامي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٩م، د. شهرزاد عبد الكريم النعيمي، الإسلام وأثره في وقاية المجتمع من الجريمة..، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٧م، محمد علي أمين، مجتمعنا المجتمع الفرعوني محاضرات ألقاها السيد محمد باقر الصدر، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد، ٢٠١٣م، د. أحمد رزاق الصيرمي، وحدة المجتمع الإسلامي، دار عباد الرحمن، ٢٠١٠م، محمد عبد الجبار، المجتمع بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، د. ياسين محمد يحيى، المجتمع الإسلامي في ضوء فقه الكتاب والسنة، منشأة المعارف، مصر، ١٩٨٤م، منذر الحكيم، مجتمعنا في تراث السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ٢٠١١م، د. عبد الله سليمان المشوخي، مجتمعنا المعاصر، مكتبة المنار، الاردن، ١٩٨٧م، محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، ط٢، ٢٠٠٦م، محمد السيد الوكيل، قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، دار الوفاء، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م، ...



البَابُ الْأَوَّلُ

المجتمع الإسلامي العام



الفصل الأول

مدخل عام في المصطلحات



مدخل عام في المصطلحات:

نهدف من خلال هذه المحاضرات إلى مساءلة الزمن الثقافي باعتباره إطاراً ثقافياً وسلوكياً لفلسفة الاجتماع وضرورياته، ومساءلة الدوافع الحتمية التي تفرض التعايش والتواصل بين أفراد الإنسانية جمعاء، إذ أن هناك أسباباً واقعية، ومصالح واجبة، وأخلاقاً رئيسة لا بد منها كي تقوم الحضارة الإنسانية في فلك هذا الكون، فالاجتماع والتواصل بمختلف آلياته ليس عملاً من اختراع الإنسان وفق رغبته بل هو ضرورة حتمية يعتبر النكوص عنها تعطيلاً لوظيفة إنسانية يؤدي إلى نتائج وخيمة في مستويات التطور الثقافي والحضاري والاقتصادي والعقلي للبشرية.

ومن أجل ذلك كان لا بد من طرح الأسئلة باستمرار عن القواعد الموجهة، والبنى الفلسفية التي تكون أسس التواصل الاجتماعي، والتعايش الأخلاقي بين أبناء الحضارات المختلفة، إذ أن إظهار المفاهيم والآليات إلى السطح من شأنه أن يضع لدى الممارس لهذه الثقافة المرجعية الثقافية والسلوكية التي تضبط كل سلوك داخل هذه الثقافة احتراماً للمعيار الذي ينظمه، ويكون منسجماً مع أهدافه النهائية، وذلك تمشياً مع غائية النشاط الإنساني ومسؤولية الفاعلية الإنسانية التي من خلال تعايشها بمبادئ السماء تخلق أجواء التنافس، والقدرات على الإبداع والابتكار، وتحطم بذلك روح الانغلاقية وغيرها من الأمراض الحضارية كتعظيم الذات والتمحور الذاتي المجتمعي، والتنويم الاجتماعي، مما يعطل التقدم البشري، ويجمد الإنتاج العقلي، ويقطع العلائق التي من شأنها تذليل الصعوبات المختلفة على الإنسان، والوصول به على وثيرة طبيعية إلى ما يطمح إليه من الرفاهية والتنمية والسلام.

ونرى من الضرورة بمكان ان نقف على تعريفات المصطلحات ذات الشأن، والتي

منها:

١- تعريف المجتمع:

ليس يخفى أن لفظ المجتمع مشتق من جَمَعَ، فالجمع ضم الأشياء المتفقة وضده التفريق والإفراد، وأحسن صاحب لسان العرب حين قال في بيان معنى هذه اللفظة: (تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا وهاهنا)^(١)، وهو تعبير يلحظ منه استحضر صاحبه لمبدأ نشأة المجتمعات.

حين النظر في دلالة لفظ المجتمع من حيث هو **مصطلح**، يجد المرء عدة تعريفات منشؤها تباين النظرات تبعاً للتخصصات، فنجد تعريفاً من منظور سياسي، وآخر من منظور اجتماعي، وثالثاً نفسياً وهكذا.

ولسنا بصدد تتبع هذه التعريفات، وحسبنا في هذا المقام تعريف لعله الأقرب إلى المباحث ذات الشأن.

فالمجتمع: هو عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها^(٢).

٢- **علم الاجتماع:** يظل علم الاجتماع - مثل سائر ضروب المعرفة الإنسانية - حافلاً بجملة من التعريفات التي يتفاوت تحديدها من باحث الى آخر أو اتجاه لآخر: حسب الخلفية الفكرية التي ينتسب إليها علماء الاجتماع، ولكن من جملة هذه التعريفات يمكن أن نعرف علم الاجتماع بأنه: (دراسة الحياة المشتركة بين الناس)^(٣)، أي هو العلم الذي يدرس أحوال الناس من معيشة، وقيم، وأخلاق، ومعاملات. وليس يبعد تعريف المجتمع المسلم من غيره من المجتمعات إلا بما فيه من خصائص ومواصفات - سوف نفصل القول فيها-.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٠٤/٦.

(٢) ط: أمين المصري، المجتمع الإسلامي، ص ١٤٤.

(٣) د. محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٩.

٣- وعلى هدي من هذا يمكن تعريف المجتمع الإسلامي بأنه: المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام، عقيدة وعبادة وخلقاً وسلوكاً، أو هو المجتمع الذي صنعه الشريعة، فهي تحدد له السمات والمقومات وهي مطورة له والموجهة^(١).

إذن فالمجتمع في الإسلام مجتمع معنوي، أي أن العلاقات الاجتماعية مبنية على أساس القيم الإنسانية، من مودة ورحمة، لا على أساس من العلاقات المادية فقط، فالعلاقات الاجتماعية تربط الناس بعضهم ببعض، فنظامه (نظام أخلاقي، تربوي تكاملي إنساني، ينتهج تكريم الإنسان وانتشاله بهذا التكريم الفريد عن كل ما يمكن أن يدنس الإنسان، ويحول بينه وبين تكامله المنشود)^(٢).

ومن الألفاظ ذات الصلة بهذه اللفظة - مجتمع - نلاحظ لفظي: الجماعة، والأمة:

٤- **فتعريف الجماعة:** هي الطائفة من الناس يجمعها رابط فأكثر، كالقراية أو الجنس، فهي بهذا المفهوم جزء من مكونات المجتمع، في حين أن مفهوم الأمة أوسع وأشمل، بخاصة في ضوء المنظور الإسلامي الذي يعيننا في هذا المقام.

٥- **تعريف الأمة:** بقولهم: (كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان أو مكان واحد سواء أكان هذا الأمر الجامع تسخيراً كالجنس واللون، أو اختياراً كالمعتقد والأرض)^(٣).

يتعذر قبول هذا التعريف للأمة على إطلاقه. لأنه يجعل العوامل والأسباب الدنيوية كاللغة والأرض والجنس من مقومات الأمة، وهذا ما لا يقره الإسلام، مع

(١) ظ: د. محمد نجيب ابو عجوة، المجتمع الإسلامي، ص ١٧.

(٢) منذر الحكيم، مجتمعنا في تراث الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ص ٥٩.

(٣) ابو البقاء، الكليات، ص ١٧٦، ظ: احمد عطية الله، القاموس السياسي، ص ١٢٢.

اعترافه بأن لها أثراً إيجابياً، إلا أنها لا تقوى على تكوين أمة واحدة إما لضعفها كالأرض، وإما لضيقها كالقربة.

يمكن . تجنباً للإطالة . أن نعرف الأمة الإسلامية في ضوء دلالات النصوص الشرعية بأنها: جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار، ويشهد لهذا القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأُمِّيَّةُ أُخْرَجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٢).

إن الدول الغربية لم تستطع أن تتطوي كلها تحت أمة واحدة على الرغم من وجود روابط كثيرة بينها، وما زلنا نسمع مصطلح الأمم الأوروبية، ومثلها كذلك الدول الأفريقية، فإنها على ما بينها من روابط تسمى الأمم الأفريقية، في حين أننا لا نسمع بمصطلح الأمم الإسلامية بل هي أمة إسلامية واحدة، على الرغم مما بين أفرادها من اختلاف في اللغة والجنس والأرض، وهذا يعني أن الأمة الإسلامية تتكون من عدة مجتمعات لاعتبارات تفرض نفسها، لكن التوافق بين المجتمعات الإسلامية ملحوظ بسبب انقائهم على مرجعية عليا واحدة، وهي الإسلام.



(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

٦ - مفهوم المجتمع في الفلسفة :

المُجْتَمَعُ الإنساني في الفلسفة^(١) هو: مجموعته من الأفراد، تربط بينهم علاقات قويه تجسدت في شكل مؤسسات، أصبحت في الغالب محمية بواسطة آليات الضبط والنظام، ويتكون المجتمع من مجموعات (أفراد وجماعات) تربط بينهم علاقات وخدمات متبادلة.

يرى أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م) وابن خلدون (ت ٨٠٨ م) وهيجل بأن المجتمع البشري ناتج عن طبيعة أملتها الحتمية أو الضرورة على الإنسان، على اعتبار أنه كائن اجتماعي بحاجة إلى الآخرين من بني جنسه للوصول وتحقيق غاياته ومتطلباته.

وقد حاول كل فيلسوف ان يقدم للبشر "المجتمع المثالي" وبنظريات في (العقيدة أو منهجاً في الأخلاق أو نظاماً للمجتمع أو دستوراً للدولة، وألقى كل منهم بدلوه، وأصبحت شؤون الحياة من أبرز مسائل الفلسفة، وأضحى الفكر السياسي والاجتماعي يمثل تراثاً ضخماً في إطار الفكر الفلسفي)^(٢).

يرى ابن خلدون بأن المجتمع الإنساني ضروري، مقتبساً رأيه هذا من الحكمة الأرسطية التي تقول بأن الإنسان مدني بطبعه، ولا بد له من الاجتماع ببني جنسه، ويشير ابن خلدون إلى الحقيقة الأزلية التي ترهن بقاء الإنسان على قيد الحياة مرهون بشرطين رئيسيين، هما:

(١) الفلسفة يراد بها الحكمة والجد والبحث عن المعرفة، (وهذا ما يدل عليه اشتقاق كلمتي "فلسفة وفيلسوف"، فإنهما مأخوذتان من "فيلوس" ومعناها محب، "وسوفيا" ومعناها الحكمة؛ فمعنى "فيلسوف" محب الحكمة، ومعنى "سوفوس" الحكيم)، د. محمد سيد أحمد المسير، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

- ١- توفر طعامه وقوت يومه الذي يحتاجه جسده للاستمرارية في الحياة والنمو.
- ٢- قدرته عن الدفاع عن نفسه والذي يضمن سلامة حياته من أي تهديد.

لن يتوافر هذان الشرطان إلا عن طريق الاجتماع والتجمع، وعلى هذا الأساس فإنه من البديهي أن يطلق على هذا التجمع بالمجتمع الإنساني، ويقرر ابن خلدون بأن قدرة الفرد تقتصر على تحصيل حاجته من الغذاء، والذي افترض في ذلك الوقت بأنه أقلّ قدرًا من الحنطة التي تحتاج إلى الزرع والطحن والعجن، وأن الزراعة يلزمها إلى درسٍ وحصاد، وأن الطحن والعجن والخبز يلزمه آلات وعدة لن تتوفر إلا عند نجارٍ وحداد، ويستحيل أن تفي قدرة الفرد الذاتية بكل هذه الأمور أو حتى بعضها، ومن هنا لا بد من اجتماع عددٍ من القدرات لإتمام إنجاز هذا الأمر.

أما هوبز وروسو ولوك، فإنهم يعتبرون أنّ المجتمع هو مجموع الأفراد، على اعتبار أنّ المجتمع هو الكلّ والأفراد هم الأجزاء من الكلّ، وهم يعتبرون بأنّ نشأة المجتمع يعود إلى نوعٍ من الاتفاق بين الأفراد، أو ما يطلق عليه اسم (التعاقد الاجتماعي).

يعتقد روسو بأنه قبل قيام المجتمع المدني كان الفرد يعيش في استقلال تام وحرية كاملة، حيث يفترض بأنّ الإنسان كان متوحشاً على الأغلب حتى أنه لم يكن يعرف ذويه ولا حتى أولاده، ولا يعرف لغةً ولا فضيلةً ولا رذيلةً ولا صناعة، حيث إنه لم تكن تربطه أية علاقةٍ مع أفرادٍ من نوعه، وكان يستطيع الحصول بيسرٍ وسهولة على وسائل تكفي حاجاته الطبيعيّة، ولم يتعرض إلا للقليل من الأمراض فقلما كان يحتاج إلى الأدوية، لأنّ اعتلال الصحة ناتجٌ عن الإسراف في المعيشة والميول المصطنعة التي ينتج عنها الإجهاد العقلي والجسدي.

يضيف روسو بأنّ الحرية هي ما تميّز الإنسان أكثر من مقدرته على الفهم، وأنّ الظروف اضطرتّه إلى التعاون مع الآخرين من أبناء نوعه بشكلٍ مؤقت، وكان الهدف منه اصطيد الحيوانات أو التغلب على الزلازل والفيضانات وغيرها، وهذا الأمر جعل

الأفراد يجتمعون بشكلٍ مستمرٍ ودائمٍ ومن هنا ظهرت اللغة وتغير سلوك الفرد وبرزت عددٌ من الآفات الاجتماعية كالحسد.

من هنا يرى روسو بأن هذه اللقاءات الاجتماعية ضرورةٌ اقتضتها الطبيعة وهي خالية من الردع والقوانين، لكنّ التطوّر الإنساني الذي حدث أدى إلى نشوء مجتمعات مدنية تحكمها القوانين لإثبات الملكية^(١).

وهذا التزامح في الفلسفة الحديثة نتج عنه تصورات مختلفة تمثلت طلائعها في المؤلفات الآتية:

- مدينة الله، للقديس أوغسطين (ت: ٤٣٠م).
- الأمير، لنقولا ماكيا فيللي (ت: ١٥٢٧م).
- يوتوبيا^(٢)، لتوماس مور (ت: ١٥٣٥م).
- أطلانتس الجديدة، لفرنسيس بيكون (ت: ١٦٢٦م).

وقامت أركانها على:

- ١- العقد الاجتماعي لجان جاك روسو (ت ١٧٧٨م)، واتخذته الثورة الفرنسية إنجيلاً لها.
- ٢- المجتمع الشيوعي لكارل ماركس (ت ١٨٨٣م)، الذي استطاع أنصاره في غفلة من الحق ورجاله أن يؤسسوا دولة كبرى.
- ٣- مجتمع العمالقة كما تصوره فردريك نيتشه (ت ١٩٠٠م) صاحب نظرية "السوبرمان"، التي أوحى للزعيم الألماني "هتلر"، أن يقود حرباً عالمية أهلكت الحرث والنسل.

(١) للتوسعة ظ: د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧هـ، ٣٧٣/٢، احمد امين وآخر، قصة الفلسفة الحديثة، ص ٢٣..
(٢) الترجمة الحرفية للمقطعين هي: المكان الذي لا وجود له. ولكنها اكتسبت معنى جديداً هو: المدينة المثالية.

• المرأة عند الفلاسفة:

لم تحظى المرأة بمكانة تليق بها عند الفلاسفة، فهذا "أفلاطون" كان يحمل مشاعر غير ودية لها، وألزمها بواجبات تنوء بحملها، في الوقت الذي حرّمها فيه من عواطف الأمومة، وممارسة حقها الطبيعي في ذلك.

وألغى "روسو" أهلية المرأة وأهدر كرامتها، وجعلها على هامش الحياة، حيث حرّمها من التعليم وأكرهها على العقيدة وسلبها إدارة شؤون حياتها، وأبقاها دمية يستمتع بها الرجل.

ويرى "نيتشه" أن المرأة ليست أهلاً للصدّاقة، فما هي إلا هرة، وقد تكون عصفوراً، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة، وقلب المرأة - في نظره - مكن للشر، وكل ما فيها لغز، وينصح الرجل إلا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء!!..

ويبدو للمتتبع في الفلسفات الغربية وغيرها لا يلحظ مكانة للمرأة تتسجم مع طبيعتها وأهميتها، وإن لحظنا شئ من مكانة لها فلا تعدو كونها دعوة إلى تحريرها من القيم والمبادئ لتكون فريسة سهلة للأهواء، وهذه هي الحقيقة التي يجدها المتخصص في الفلسفة حين يستعرض (تاريخ المرأة قديماً وحديثاً فلن يجد فلسفة أو مذهباً اجتماعياً أنصف المرأة وحرّرها كما فعل الإسلام)^(١).

وأخيراً تجدر الإشارة، إن وجهة النظر الإسلامية لا تُعطي قيمة لما يقال من أن هناك (فلسفة اجتماعية وأن هذه الفلسفة تؤدي إلى معرفة مناهج العمل بكل ما يصلح أحوال الإنسان في معاشه ومعاده)^(٢).

(١) د. محمد سيد أحمد المسير، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي، ص ٤٤٨.

(٢) إبراهيم الموسوي الزنجاني، بداية الفلسفة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٢٤.

وهذا الرفض سمة واضحة من سمات الرؤية الإسلامية، وإنما هي تقبل القول بأن الرسالة الإسلامية في دلالات نصوصها يمكن أن تتضمن فلسفة للدراسات الإنسانية، أي أفكاراً تقود الفهم والاستنتاج والتطبيق.



٧ - نظريات تفسير نشأة المجتمع وتطوره

انطلقت نظريات كثيرة من أجل تفسير نشأة المجتمع الإنساني والصورة التي يتطور بها وتراوحت هذه النظريات بين أفكار ايدلوجية المنشأ وأخرى علمية واعتمدت كل منها على أسانيد وبراهين تعتمد فيها إلى أساسيات هذا المنشأ وفي نقاشنا الآتي سنتعرض لأبرز هذه النظريات وبعض الانتقادات لكل نظرية.

أولاً: النظرية الفردية: تعتمد النظرية الفردية على الفرد كما هو واضح من المسمى حيث تعلى من شأن الإنسان الفرد وتؤكد على خصال حب الذات والسيطرة على الآخرين كما تتيح للفرد السعي وراء ملذاته باعتباره مركزاً للحياة وتشير هذه النظرية إلى أسبقية الفرد على المجتمع باعتبار أن المجتمع في نشأته اعتمد على الفرد بالمقام الأول ومن ثم يجب أن يكون المجتمع هو الوعاء الذي يشبع فيه الفرد رغباته وقد انعكست هذه النظرية بشدة على الفكر والتربية في القرن السابع عشر حيث أكدت النزعة الفردية في كليهما وأدت إلى الإعلاء من شأن فردية التربية بمعنى أن المدرسة يجب ألا تفرض القيود على الطلبة وأن تخفف من سلطانها عليهم بغرض إعدادهم للعيش في المجتمع حيث لا قيود على الفرد إلا رغبة في إشباع دوافعه.

ولهذه النظرية العديد من السلبيات حيث أنها لا تصلح للتطبيق في المجتمعات المعاصرة لأن هذه المجتمعات قد نشأت من مجتمعات سابقة يلعب فيها الفرد دوراً مع غيره من الأفراد وهي إن كانت تصلح للمجتمعات الأولى التي نشأت على أساس الفرد فهي لا تصلح للحديث منها.

كما أنها تتطلب من المجتمع سلطة قاسية متسلطة من أجل التصدي إلى نزوع الفرد لتحقيق رغباته بما قد يتعارض مع الرغبات العامة ورغبات الآخرين الفردية بالإضافة إلى أنها تؤدي بالتربية إلى الخروج عن طريقها كأحدى الوسائل للحفاظ على

استقرار المجتمع وذلك لكونها تشجع فردية الإنسان وانطلاقه نحو رغباته ما يهدد السلم الاجتماعي ولعل هذه النظرية تنطلق من الواقع السياسي والاجتماعي الذي كان سائداً في هذه الفترات - القرن السابع عشر - في أوروبا من حكم مطلق وأنظمة إقطاعية يسقط فيها الفرد تحت وطأة قوى أكبر منه ما استدعى هذه الحركة المضادة من أجل إعادة الاعتبار للفرد.

ثانياً: النظرية المجتمعية: الإعلاء من شأن المجتمع كقيمة إنسانية على حساب الفرد والقول بأسبقية المجتمع على الفرد يعتبران الأساسين اللذين قامت عليهما هذه النظرية التي نلاحظ تعارضها مع النظرية السابقة الممجة للفرد.

تقول هذه النظرية بأولوية المجتمع على الفرد بمعنى أن يتخلى الفرد عن أهدافه وطموحاته من أجل أهداف وطموحات المجتمع وأن يتنازل الإنسان عن ذاتيته من أجل تطور المجتمع وانعكست هذه الأفكار في الخط التربوي لهذه النظرية إذ تحولت أساليب التربية إلى وسائل لصبغة الفرد بلون مجتمعه دون اعتبار للون الفرد ذاته وعلى هذا فإن كثيراً من الاعتراضات يمكن أن يقوم ضد هذه النظرية وأولها: أنها لا تنطبق على تكون المجتمعات الأولى التي هي فردية بالأساس وثانيها: أنها تهمل أن إشباع الفرد لطموحاته هو السبيل نحو إشباع طموحات المجتمع ووسيلة من أجل تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع بدلاً من شعور الفرد بالدونية والقصور عن تحقيق طموحاته وإشباع احتياجاته وهذا ما يتفق مع فطرة الإنسان في تبادل المنفعة مع غيره لتحقيق المنافع للجميع دون تحقيق منفعة الآخرين على حساب ذاته. وثابت هذه الاعتراضات أن أولوية المجتمع على الفرد تقضى على مبدأ حرية الاختيار لتحديد أولويات على الفرد أن يحققها دون سؤال أو نقاش مما يفقد الفرد ذاتيته وإنسانيته ويحول دون تطور المجتمع الناجم عن إطلاق حرية إبداع الفرد وطموحاته بما يعود على مجتمعه إيجاباً.

ثالثاً: نظرية العقد الاجتماعي Social Contract: بالنظر إلى التطرف الشديد الذي كانت عليه النظريتان السابقتان من ميل شديد إما نحو الفر "النظرية الفردية" وإما نحو المجتمع "النظرية الاجتماعية" فقد حاولت نظرية التعاقد الاجتماعي أن تقف موقف التوسط والاعتدال بين هاتين النظريتين من خلال التأكيد على أن الأفراد لديهم الحرية الكافية إلا أنهم مزودون بدوافع فطرية تجعلهم يحاولون إشباعها وهو ما لا يتم إلا عن طريق المجتمع.

وفي الوقت نفسه تشير النظرية إلا أن المجتمع يعد تعبيراً عن إرادة الأفراد والذي تكون نتيجة التعاقد الاجتماعي بينهم ويتنازلون بغرض استمراره عن بعض حقوقهم الفطرية.

ومصطلح العقد الاجتماعي يعود في أدبيات الفكر السياسي إلي القرنين السادس عشر والسابع عشر الذين عرفوا بعلماء نظرية العقد الاجتماعي، وتعود نظرية العقد الاجتماعي إلي الفيلسوف جان جاك روسو المولود في جنيف والذي عاش في باريس ١٧٧٨م حتى جلب له العقد الاجتماعي غضب السلطة.

وكان يشير في ذلك الوقت إلي مجتمع المواطنين الأحرار الذين يختارون بإرادتهم الحرة شكل وشروط الحكم الذي يعيشون في ظلّه، وعبر مفكرو ذلك العصر توماس هوبز (١٥٨٨م - ١٦٧٧م) وفيسكو (١٦٨٩م - ١٧٥٥م) وجون لوك (١٦٣٢م - ١٧٠٤م) وجان جاك روسو عبروا عن شروط الاختيار الحر ب (العقد الاجتماعي) وهو عقد افتراضي وليس عقداً حقيقياً بالمعني الحرفي للكلمة، وكانت مقدمات هذا العقد وشروطه عند توماس هوبز تقضي إلى قبول النظام الملكي المطلق الذي لا رجعة فيه بينما كانت مقومات هذا العقد وشروطه عند جون لوك وبعده عند جان روسو، تقضي إلي نظام ملكي مقيد يمكن سحب الشرعية منه إذا أخل بحقوق المواطنين، وقد كانت هذه الآراء محاولات لتبرير أوضاع قائمة ولتأكيد تمايز الدولة

والمجتمع بإقرار الحقوق المدنية للأفراد أو المواطنين باعتبار قيام السلطة السياسية أو الدولة هو نتيجة تعاقد اجتماعي وتنازل متبادل بين السلطة والفرد والخروج من (الحالة الطبيعية) إلى نشأة المجتمع المنظم.

ونلاحظ أن هذه النظرية اكتفت بإيجاد سبب تكون المجتمع بينما أغفلت دور النظم والثقافة التي يبتكرها المجتمع من أجل الحفاظ على تطوره واستقراره.

أهم نقد وجه إلى نظرية العقد الاجتماعي يلخص في الآتي:

١. أنها غير حقيقية لا سند لها في التاريخ.
٢. فكرة حالة الفطرة الأولى بعيدة عن الصواب غير منطقية لا تعتمد علي أساس علمي صحيح .
٣. النظرية غير منطقية لأن الحرية لا يمكن أن تتحقق في حالة الفطرة الأولى كما يزعم القائلون بهذه النظرية، إذ أن الحرية تستوجب وجود حقوق أما في حالة الفطرة الأولى فلم يكن هناك حق إلا باستعمال القوة.
٤. نظرية مستحيلة لأنها تستوجب وجود نظام قانوني لحماية العقد وأن حالة الفطرة المزعومة خالية من القانون فاحترام العقد أمر لا يتصور.
٥. نظرية العقد تنطوي علي آراء خطيرة علي الدولة إذ أن المؤمنين بها يؤمنون بأن الشعب حقاً مطلقاً في الثورة وهذه أفكار هدامة تؤدي إلي القضاء علي المجتمع بأسره.

رغم الانتقادات الكثيرة الموجهة إلي النظرية فقد حققت في بدء ظهورها فوائد جمة للمجتمع الأوروبي، لأنها وقفت في وجه نظام الحكم المطلق وأيدت حقوق الشعب ووضعت حداً لطغيان الطبقة الحاكمة وطبقة النبلاء، وقد أسهمت نظرية العقد الاجتماعي بوضع أسس وأشكال مختلفة لنظم الحكم والسياسة وزودت الفكر السياسي

بتاريخ عميق إذ أصبحت مصدراً أساسياً لجميع المهتمين بقضايا السياسية وأنماط الحكومات وتطورها كما مهدت لظهور علم الاجتماع السياسي.

رابعاً: النظرية العضوية: تعد هذه النظرية من النظريات التي فسرت المجتمع على أسس مستقاة من العلوم الطبيعية ذلك أنها أكدت على أن المجتمع في نشأته وتطوره وتكوينه يشبه جسم الإنسان فالأفراد هم أعضاء الجسم والمجتمع هو الجسم ذاته وما يمر به جسم الإنسان من ميلاد وشيخوخة ووفاة. ويؤخذ على هذه النظرية عدة نقاط، أولها: أنها لم تقدم تفسيراً لأسبقية الفرد على المجتمع وما إلى ذلك من روافد هذه القضية ثانياً: وبجانب ذلك نجد أنها قامت بتطبيق أسس علم على علم آخر فالأحياء علم الطبيعة فيما أن المجتمع من اختصاص العلوم الإنسانية لما يكن منهما من قواعد وأسس، فالأمراض التي تهاجم جسم الإنسان وكذلك طرق تشخيصها وعلاجها تختلف تماماً عن تلك التي تصيب المجتمع بالإضافة إلى أنها تفسر السلوك الاجتماعي تفسيراً بيولوجياً بما ينافي وجود دوافع نفسية وكذلك أخلاقية وراء تشكيل هذا السلوك الاجتماعي. (من روادها: هيربرت سبنسر ١٨٢٠م - ١٩٣٠م).

خامساً: نظرية الإعلاء الاجتماعي: لهذه النظرية أصول في علم النفس حيث ظهرت وقت انتشار الآراء في أوساط دارسي علم النفس بأن الإنسان عقل فقط فجادت هذه النظرية كي تؤكد أن للفرد دوافع بيولوجية تتوجه سلوكه نحو الآخرين أي أن المجتمع عبارة عن وسيلة أو إطار من أجل أن يشبع الإنسان غرائزه بصورة منضبطة ومهذبة ومن الواضح أن هذه النظرية تفقد سنداها من النظرة الأولى لها فهي تلغى مختلف الدوافع الإنسانية والذهنية وكافة ما قد يؤدي بالفرد إلى أن يصبح عضواً في المجتمع وتقتصر توجيه سلوكه على الدافع البيولوجي بجانب أنها تلغى فكرة وجود فطرة اجتماعية داخل الإنسان وتجعل اتجاهه نحو إقامة علاقات مع الآخرين مجرد نتاج من رغبته في إشباع حاجاته البيولوجية وهذا ما قد يؤدي بالمجتمع إلى الانهيار لأن كم الحوافز الموجود لدى الفرد من أجل المحافظة على استقرار مجتمعه

بغرض استمرار إشباع حاجاته هو كم ضعيف لا يقوى على دفع الفرد لبذل مختلف مجهوداته من أجل استمرار مجتمعه ولنقارن بين قوة حافز الدوافع البيولوجية وبين حافز الانتماء إلى الوطن في درجة دفعهما الفرد للحفاظ على الترقى والتقدم الاجتماعي.

سادسًا: النظرية الماركسية: أتت هذه النظرية لتفسير تطور المجتمع كرد فعل صريح على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي سادت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا من سيادة الاقطاع وقهر العمال في المصانع وعدم توزيع الثروة على أساس الإنتاج ولكن على أساس الملكية ما يؤدي إلى وضع الثروة في يد قلة من الملاك على حساب الأكثرية الساحقة من العمال وقد قامت أساسًا على أفكار كل من كارل ماركس (١٨١٨م- ١٨٨٣) وفريدريك إنجلز (١٨٢٠- ١٨٩٥) وهي الأفكار التي فسرت تطور المجتمعات الإنسانية على أساس الصراع الطبقي بين البرجوازية والطبقة العاملة وتعتمد على النظرة المادية للإنسان والمجتمع بعيدًا عن أية غيبيات ويسمى الأساسان النظريان لهذه الرؤية: بالمادية الجدلية والمادية التاريخية وقد عرف ماركس **الجدلية** بأنها: العلم الذي يبحث في القوانين العامة لحركة وتطور العالم الخارجي وفكر الإنسان ولما أشار ماركس في تعريفه للجدلية إلى الحركة فإن هذا يوضح جانبًا آخر في نظريته وهو الجانب الذي يؤكد عدم ثبات أي عنصر في العالم أو الأفكار أو الأحداث وعليه فإن الأفكار والعمليات والأحداث كلها فيها حركة وتغيير دائم.

وتشير المادية إلى أن الاقتصاد هو محور حياة الفرد وتفسير للعلاقة بين المجتمع وبين أفراداه بهدف إشباع حاجات الفرد إلى جانب الحفاظ على المجتمع من خلال العمل والإنتاج وبالتالي انعكست هذه الفكرة المادية على كل الحركة داخل المجتمع من علاقات وبناء وتغيير.

والمآخذ على هذه النظرية كثيرة جدًا وفي مقدمتها: إغفال دور الدين في حياة الفرد والمجتمعات الإنسانية ككل جراء إنكار الغيبيات وهو ما تلخصه العبارة الماركسية الشهيرة بأن "الدين أفيون الشعوب" أي إنه عامل تأخر وتخلف للمجتمعات وهو ما أحر انتشار الشيوعية التي تبنت نشر الفكر الماركسي عالمياً في العالم العربي للدور الكبير للدين في المجتمعات العربية.

أيضاً نجد أن هذه النظرية تلغى فكرة الملكية الخاصة لكونها تؤكد أن نهاية الصراع الطبقي بين البرجوازية وبين العمال هو انتصار للعمال ولنظام عدالة التوزيع الاجتماعي مما يتطلب الملكية للدولة لضمان عدالة التوزيع، وإلغاء الملكية الخاصة يخالف أبسط قواعد الفطرة الإنسانية.

زيادة إلى ما سبق نجد هذه النظرية تركز على الجانب المادي في حياة الفرد والمجتمع متغافلة عن وجود جانب روحي يساهم في ترقية النشاط الإنساني ويجعل الفرد متميزاً عن غيره من الكائنات الأخرى، كما يجعل الجانب الروحي الإنسان خلاقاً قادراً على الابتكار بما يساهم في التطور الفعلي للمجتمع بعيداً عن أفكار المادية التي هدمت الجانب الديني والروحي للفرد ونزعت منه ممتلكاته الخاصة لا شيء إلا لعجز الإنسان عن التطبيق الصحيح لدينه ولضعف إمكانية استفادته من الروحيات في تطوير حياته.



٨- المباني النظرية للمجتمع الإسلامي والمجتمع المدني

يحتم علينا المنهج العلمي والسير المنطقي الصحيح في هذا البحث ان نحمل نظره كافيه عن العلاقة بين المجتمع الديني والمدني والأسس التي يقومان عليها إذ لا يخفى ان فكرة المجتمع المدني هو دعوة لنمط خاص في السلوك الاجتماعي والتنظيم السياسي - والاقتصادي والمجتمع المدني يمثل ظاهرة جديدة كلياً تمثل خصائص عصر الحداثة، وحيث ان التدين يقتضي ابراز الحساسية لأي ظاهرة جديدة لها نحو ارتباط بأداء ومصير وسلوك الإنسان والبحث عن المناسب وغير المناسب في هذه الظاهرة بالنسبة الى الدين والتعاليم الدينية فلا بد اذن من إلقاء نظرة مقارنة بين هاتين المقولتين وان نسلط الضوء على هذه الحقيقة:

هل ان التعاليم الإسلامية تتسجم مع ظاهرة باسم (المجتمع المدني)؟ وبعبارة اخرى هل يمكن ان يكون هناك مجتمع ديني - مدني مجتمع هو في عين مطابقته للضوابط والمعايير الموجودة في التفسير الجديد للمجتمع المدني منسجم ايضاً مع الخصوصيات والمميزات المدونة في نصوص الدين في باب الفعل الاجتماعي للإنسان والمجتمع ؟

أهم مباني المجتمع المدني والمجتمع الإسلامي:

في ضوء السؤال المتقدم لا بد من الوقوف على المباني والأسس التي يقوم عليها كل من المجتمع المدني والمجتمع الديني تاركين التفصيل فيهما والموازنة الى تتبع الفارئ الكريم^(١):

(١) للتوسعة: ظ: أحمد واعظي، المجتمع الديني والمدني، ترجمة: حيدر حب الله، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١١٤ ص ١٢١، د. محمود نعمة الجياشي، المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠١٠م، ص ٤١.

أولاً: المباني النظرية للمجتمع المدني

إن المجتمع المدني الغربي المعاصر - والذي اخذ شكله بعد النهضة وفي عصر الحداثة - معتمد على رؤية فلسفية خاصة فيما يتعلق بالإنسان وحقوقه وقيمه وقد كان لهذه النظرة الجديدة انعكاسات واسعة في المقولات السياسية والاقتصادية والحقوقية. فمثلاً: ان حصيلة المجتمع المدني في مجال الاقتصاد كانت نمو ورواج السوق الحرة الاقتصادية والتنازع والمنافسة للحصول على الرفاه والفائدة الاكثر وفي ميدان السياسة اقامة الدولة الحديثة، أي الدولة التي يعد مجال سلطتها محدوداً وليس لها دخل في المصلحة والسعادة الفردية، وانما هي مجرد خادمة لرفاه وأمن المجتمع ومدافعة عن حريم الملكية الخاصة والحريات الفردية، وأما المقولات التي من قبيل الفضيلة والخير فليس لها منفذ الى الدولة الحديثة، فأن تشخيص الخير والفضيلة انما هو بعهدة كل فرد وانتخابه الخاص، والدولة هنا محايدة تماما وليست لها اي رؤية أو تدبير، بل عليها فقط ان تؤمن الظروف والاطار القانوني حتي ينتخب اي شخص خيره على النمط الذي يرضاه^(١).

تجدر الإشارة هنا الى ان المجتمع المدني ليس نتيجة لنظرية سياسة اقتصادية خاصة، بل هو حاصل تكامل تاريخي للتنظيرات المتنوعة التي تشترك في بعض الاصول الجذرية والنظرية التي تشكل البنية الفلسفية للحداثة ومن أهم هذه الاصول والمباني:

١ - الفردية

للفردية تأثير اخلاقي وقيمي بالنسبة للمجتمع المدني الغربي المعاصر بالإضافة الى التأثير الميتافيزيقي والوجودي التكويني، اي انها تمثل مبنى فلسفياً للأخلاق

(١) ظ: ساندل ، مايكل، بيبرا ليسم ومنتقدان ان، ترجمة: احمد تدين، طهران، شركت انتشارات

والسياسة والثقافة والاقتصاد، فالتعهدات الواضحة للمدنية المعاصرة بالنسبة الى الحريات الفردية، المداراة والتساهل الأخلاقي والثقافي والسياسي ناشئة من هذا الاعتقاد بالفردية ، فالفرد اكثر واقعية من المجتمع ولا بد ان يقدم عليه وكما يمكن تفسير هذا التقدم وجوديا وفلسفيا كذلك يمكن تفسيره اخلاقيا الاستدلال على هذا التقدم يقوم على اساس التفسير الوجودي والتكويني بأن الفرد - وجوداً - له وجود قبل تكون المجتمع وظهور الوضع المدني اي عندما كان يعيش في الوضع الطبيعي، وعليه فهو يملك حقوقا قبل انخراطه في المجتمع لا بد من رعايتها، فالفرد اكثر واقعية واساسية ومقدم على المجتمع، واما اساس التفسير الأخلاقي لهذا التقدم فيقال القيمة الأخلاقية للفرد مقدمة وأعلى من المجتمع واي فئة اجتماعية اخرى، وعليه فالقيم والأخلاق ترتبط بالفردية وبذلك تصبح الفردية بمثابة الحجر الأساس للأخلاق والحقيقة.

ثم ان للفردية اشكالا متعددة فقد كان ينظر الى الفرد في تفسير الليبراليين الكلاسيكيين عادة كوجود منفرد محاط بنفسه ومحبوس في ذهنيته وفرديته، وحدود الفرد هي تلك المحدودات البدنية، وهذه النظرة لها علاقة بنظرية الفردية الملكية، إذ يقال الفرد مالك لبدنه وكافة طاقاته، وليس مديونا باي نحو من الانحاء للمجتمع كما ان منتجاته ملك له هو .

على أساس الفردية سوف يكون أفضل حاكم للقضاء بين الشهوات والتمايلات هو الفرد نفسه، ومن الضروري الاجتناب عن التحكيم الكيانات الاخرى، فلا توجد اية مسؤولية كيانية او جمعية في هذا المجال، والافراد هم المسؤولون عن انفسهم، فالخير هو خير الفرد فقط، ان اكثر اشكال الفردية تمحضاً واصراراً هو الفردية غير المحدودة، والتي على اساسها لا توجد اية اخلاق واية نظرية قيمية قادرة على تحديد

الفرد ووضعه تحت الضغط لان الفرد من الناحية المنطقية هو منبع كل القيم وهي نظرة لا تبقى أي مجال (للسالغ العام)^(١).

يتمثل انعكاس الفردية داخل مقولة الأخلاق في الاستقلال الأخلاقي للفرد، وواحد من شرائط هذا الاستقلال هو عدم كون الفرد ملزماً بالقبول بالأوامر الأخلاقية للكيانات الدينية أو الدنيوية ولا يتقرب منه شيء في هذه الجهة. وهذا يعني ان تحليل الفردين لماهية الإنسان وطبيعته وانحصار حقيقته في الميول والغرائز وتعريفه كمجرد موجود يسعى في سبيل تأمين منفعه وارضاء شهواته وميوله، وقد ترتبت على ذلك نتائج سياسية واسعة، فعلى اساس ذلك لم يعده (للأخلاق السياسية) مكان في مقولة السياسة، فالأفراد عبارة عن موجودات يسعى كل واحد منها لتحصيل حقه، لا الفضائل والخيرات، ووظيفة الدولة والسلطة السياسية هي السعي لأفضل تأمين ممكن للحقوق التي لها جذر في الطبيعة والشهوات البشرية. اما وظيفة السياسة والأخلاق فهي ضبط الشعب في ارضاء ميوله. وهذا الضبط لا يتسنى الا في الحالات التي يكون ارضاء الميول الفردية فيها مؤثراً سلباً على حقوق الآخرين في ارضاء ميولهم وعليه فليس هناك اي مبرر لاعمال المحدودية في غير هذه الصورة أي ان الميول والحقوق الطبيعية المنبثقة عنها هي في حد ذاتها خارجة عن دائرة الأخلاق واي قوة قاهرة اخرى. وذلك لأنها امور واقعية مثبتة في الطبع البشري ولا تقبل التغيير، وعليه فوظيفة الأخلاق والسياسة والدين هي ايقاع الانسجام بينها وبين هذا الميول وعدم وضع اي وظيفة اخرى على عاتق الإنسان.

٢ - النفعية

حينما نراجع تاريخ الفكر الليبرالي نجد ان اوائل المفكرين الليبراليين وعلى رأسهم (جون لوك) قد صنفوا الحقوق الفطرية والطبيعية على انها اساس المجتمع المدني كما

(١) أحمد الواعظي، المجتمع والمدني، ص ١٠٦.

اعتبروا المجتمع السياسي الدعامة والحامي لهذه الحقوق سيما حق الحرية والملكية الخاصة، الا ان فكرة الحقوق الطبيعية لم تكن الاساس الوحيد لليبرالية المتقدمة، فقد تم في اوائل القرن التاسع عشر عرض نظرية بديلة ومؤثرة جدا فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية من قبل (جرمي بنتام)^(١)...

و(جيمس ميل)^(٢)، فقد اطلق الاول على فكرة الحقوق الطبيعية اسم (المهملة) و(اللغوية) والمبنية على أسس خشبية ومن وجهة نظرهما فإن ما هو أكثر علمية وعينية هو الاعتقاد بان الافراد ينبعثون من خلال الرغبات والمنافع الشخصية، وهذه الرغبات يمكن تعريفها بالميل الى اللذة أو الحظ أو الى التجنّب عن الألم، والأفراد من منظارهما أيضاً ومن خلال محاسبة مقدار اللغة والألم في أي عمل ممكن يباشرون عملاً يحتوي على أكبر قدر من اللذة في مقابل الألم .

يعتقد النفعيون بانه يمكن وزن اللذة والالم على اساس المنفعة وبالتالي تقييم وزنة ومقداره، وطبق هذا التحليل تكون طينة الإنسان في حال بحث دائم عما هو اكثر فائدة ونفعا له.

على هذا الأساس يكون اصل المنفعة اصل اخلاقي، ويمكن تماما تقييم اي عمل او تصميم او حتى النظام الحكومي على اساس هذا التمايل لزيادة اللذة والنفع فيكون أصل (أكبر سعادة لأكثر أفراد) دالاً على ماهية النظام السياسي المفيد للمجتمع .

في ضوء ذلك نفهم التأثير الكبير للنفعية على الليبرالية فان فكرة اي شخص يمكنه وبشكل معقول ان يكون طالبا لمنافعه ورغباته وان يصل إليها لم تكن منسجمة مع

(١) فيلسوف اخلاقي ومشرع انجليزي من دعاة مذهب المنفعة في الأخلاق والقانون، ولد عام ١٧٤٨ في لندن وتوفي عام ١٨٣٢ وكان قد اوصى بتشريح جثته لصالح البحث العلمي راجع موسوعة الفلسفة د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م، ٣٦٢/١.

(٢) فيلسوف انجليزي برز في المنطق ومناهج البحث العلمي ، ومن اكبر دعاة المذهب. ولد في لندن عام ١٨٧٣م ، ظ: د. عبدالرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ٤٦٦/٢ .

الاعتقاد بوجود الحاكمية الابوية للدولة ومن هنا كان يمارس الليبراليون ضغوطهم لأجل الحد من سلطة الدولة في الحريم الخاص والخير الفردي.

وقد استدل (بنتام) على ذلك باي شخص يسعى لكسب اللذة والمنفعة الشخصية معتمداً على تشخيصه، ولا يمكن لأي فرد أو أية قدرة أخرى أن يحكموا في كيفية ودرجة فرحه وسعادته، وبالتالي فهذا هو الفرد الذي يمكنه أن يزن أخلاقية عمله، وكان يرى ان هذه الفكرة كما يمكن تطبيقها على الفرد فكذلك على المجتمع ايضاً وبالتالي فان تشكيل المؤسسات ووضع القوانين على اساس معيار (أكبر سعادة لأكثر أفراد) قابل للمحاكمة وفي هذا المعيار تكون الاكثريّة محوراً، وجهتها شاخص صحة واعتبار القانون والأخلاق^(١).

والحاصل ان الاعتراف الكامل بالعلائق الفردية والنفع الشخصي في أطروحة المجتمع المدني، وتأكيداها على لزوم الدولة بالحد الأدنى لها، وعدم دخالتها في خير الافراد والفئات، له جذر في هذا المبنى الأخلاقي إذ اولاً: تكون المتابعة للفائدة والنفع الشخصي كواقعية وقيمة قابلة للدفاع عنها. وثانياً: الدولة أو أي قوة اخرى قاهرة (الأخلاق أو الدين) لا يحق لها السماح لنفسها بمنع الفرد من انتخاب النفع الاكثر له والسعي وراء رغباته الفردية والفئوية .

٣- العلمانية

العلمانية هي نفي للحكومة الدينية، واعتقاد ببشرية كافة الامور السياسية والاجتماعية، وعلى أساس هذه الرؤية يكون الدين مفصلاً عن الشؤون الدنيوية للإنسان، وادارة هذه الشؤون، وعليه ان ينظم الروابط السياسية والاقتصادية للمجتمع تحت مظلة عقله وعلمه ودون الاستمداد من التعاليم الدينية، وعليه تكون نتيجة هذا التوجه وضع البنية التحتية للمجتمع المدني على اساس التدبير والتقنين البشري .

(١) ظ: د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/٣٦٤.

في ضوء ذلك ترى العلمانية ان الآمال والغايات والقيم السياسية والاجتماعية للبشر هي مادية وديوية بالكامل، وبناءً عليه فليس هناك حاجة للاستمداد من الدين في سبيل معرفة هذه الاهداف والقيم والطرق الموصلة اليها ايضاً. ومن وجهة نظر العلمانية ليس فقط لا حاجة للتدخل الديني في الساحات المختلفة للمجتمع المدني بل لا يمكن أساساً حدوث مثل هذا الامر. وذلك لأن الروابط والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات البشرية هي في حال تغير وتحول دائم عبر الزمن، في حين ان الدين له وجهة ثابتة وغير قابلة للتغير، فكيف يمكن اقامة علاقات بين الثبات والحاجات المتغيرة؟

٤ - العقلانية

ليس المقصود بالعقل هنا خصوص القوة المدركة للكليات والمباحث الفلسفية والنظرية، وانما له مفهوم عام شامل للذهن كاله أو أداة معرفية ولكافة نتائجه الاعم من العملية الفلسفية والحقوقية والفنية، ان التصديق بالعقلانية لا يعني فقط القبول بنتائج الذهن البشري في تمام الميادين، وانما افضلية العقل الإنساني على كافة مصادر المعرفة الاخرى، ومن هنا فالعقلانية تقفل الطريق على الدين ايضاً، إذ يمكن القبول بتأثير الدين والمذهب في الحياة الروحية والمعنوية للإنسان، بيد انه لا يمكن جعله في عداد منابع المناحة للمعرفة، وخاصة في الميادين المرتبطة بالحياة الاجتماعية والسياسية للبشر، وبناءً عليه فان الرؤية الكونية العقلانية لا تترك مجالاً للرؤية الكونية التقليدية العرفانية والدينية. في ضوء ذلك تدعي العقلانية الجديدة أنها تستطيع في ظل الاقتدار والسيطرة التكنولوجية على الطبيعة أن تحقق الآمال المادية والطبيعية للبشر، وتضع وفقاً لذلك نهاية لحرب الإنسان مع الإنسان وتستبدلها بالصلح والامن والرفاهية، فلا بد للعقل ان يكون وسيلة للوصول الى هذه الآمال الحديثة، على غرار أي فرد والذي هو وسيلة لإرضاء ميوله ورغباته، ولا يمكن لأي شخص ان يتجاوز ميوله او يتعدى

منفعته الشخصية، وينظر أوسع العقل الجمعي للبشر يستخدم كآله لتأمين الاهداف الحداثية ايضاً، وفي المجتمع المدني الحديث يكون النظام الفكري والعقلانية الفلسفية المتناسبة مع العقلانية الحديثة والادارة العقلانية للحياة الاجتماعية قد أخذ شكله في الآمال المادية والنفعية الحديثة.

٥ - التعددية والشكائية الأخلاقية

ترفض فكرة المجتمع المدني كافة الانظمة والنظريات السياسية التي تعتمد بوجه ما على تقديم تصوير عن خير وسعادة الإنسان وتتبع نظاماً أخلاقياً وقيماً خاصاً في تنظيم الامور السياسية وادارة المجتمع ووضع البرامج واتخاذ القرارات، وليس معنى ذلك انه لا يوجد أصل واسباب وضابطة حاكمة على النظام الفكري الليبرالي وان المجتمع المدني فاقد للقواعد والاصول العامة، بل معناه ان الاصول الكلية الحاكمة على المجتمع المدني ليست مرتكزة على نظام أخلاقي وقيمي خاص وليست قائمة على أساس تأمين الخير والسعادة الفردية ولهذه الاصول جنبه حقوقية اكثر منها اخلاقية والحقوق، من قبيل الحرية، الملكية الخاصة، الحقوق المندرجة في الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، هي البناء الأساسي لهذه الاطر العامة، فالأفراد احرار ويمكنهم في نطاق هذه الاصول الحقوقية ومع الحفاظ على الامن والنظام ان يمارسوا نشاطاتهم الفردية والفئوية والاجتماعية ضمن اي شكل يريدونه ومع اي عقيدة ونمط حياة فردية يميلون إليه.

٦ - المناهضة للايديولوجية

بالاستناد الى معطيات الاصول الخمسة المتقدمة فمن الطبيعي ان لا تبقي التعددية السياسية والأخلاقية مجالاً لحاكمية نوع خاص من الايديولوجية في المجتمع المدني، فان النظرة الايديولوجية لمسألة السياسة والمجتمع تستلزم تقديم نموذج مشخص ومؤطر عن الخير والسعادة الفردية وعرض نظام اخلاقي وقيمي خاص وتعيين الاطر

الايديولوجية في قضايا الثقافة والاقتصاد والسياسة، وهذا كله يضاد بشكل واضح امال المجتمع المدني والليبرالية الحديثة .

لكن بالرغم من ان فكرة المجتمع المدني هي في حالة حرب وعدم توافق مع اي نظام فكري ايديولوجي محدد للفرد وحياته، الا ان الليبرالية وفكرة المجتمع المدني هما بأنفسهما ايديولوجية من الايديولوجيات من ناحية اخرى، لان لديهما الاسس والمباني النظرية والمعرفة الإنسانية الخاصة بهما، وهما ملتزمتان بأصولهما ومبانيهما الخاصة، ومن هذه الجهة فالمجتمع المدني متكئ على نظام فلسفي وفكري خاص.

هذه هي باختصار أهم الأسس والمباني التي تقوم عليها فكرة المجتمع المدني.



ثانياً: مباني المجتمع الإسلامي

نتناول في هذه الفقرة تعريف المجتمع الديني والوقوف على الاصول والمباني التي يرتكز عليها.

تعريف المجتمع الإسلامي "الديني": لا بد ان نعرف أولاً ان المجتمع - أي مجتمع - يتشكل من عنصرين أساسيين هما:

١- أحاد وافراد الإنسان والتي تأتلف مع بعضها البعض في قالب الفئات والفرق على أساس المنافع والآمال والرغبات المختلفة، وكلما كان الغرض والهدف الذي يمثل محور هذه المجتمعات أعم وأشمل كلما ارتبط الافراد به أكثر، كالوطنية، والدين، واللغة، الدولة والعرق وغيرها

٢- الروابط والعلاقات المتبادلة بين الأفراد مع بعضهم البعض وكذلك بين الفئات المتنوعة داخل المجتمع، وهذه الروابط والعلاقات أعم من الروابط الحقوقية، الإدارية المؤسساتية، شكل الحكومة وتوزيع المنابع الاقتصادية والروابط الإنتاجية، شكل الحكومة وتوزيع السلطة السياسية، المنابع والعناصر الدخيلة في وضع القوانين، نمط تبلور الروابط الثقافية ونظائر ذلك.

وهذا العنصر الثاني هو الذي يملك التأثير الاساسي والمعين في تزيين مجتمع ما بزينة التقليد، الصناعة، البداوة، المدنية، الدينية، وغير ذلك، فالمجتمع الاقطاعي يتميز عن المجتمع الصناعي المتقدم بلحاظ هذا العنصر، وعلى اساس هذه الضابطة ليس المجتمع الديني هو المتشكل من الافراد المتدينين فحسب، وانما هو المجتمع الذي انتظم فيه العنصر الثاني - شبكة الروابط الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية الحقوقية والأخلاقية - على اساس الدين والتعاليم الدينية، ومادامت الاشكال والنماذج المختلفة للروابط الاجتماعية لأفراد المتدينين غير منتظمة طبقاً للدين، وما لم تحصل

اي موازنة للعلاقة بين ارتباطاتهم الاجتماعية والدينية فان مجرد تجمعهم لا يوجب ظهور المجتمع الديني.

وعليه فالمجتمع الديني هو مجتمع يكون الحكم فيه بيد الدين، ويوازن الافراد فيه حياتهم بكل تفاصيلها مع الدين دائماً، اي انه مجتمع يحمل هم الدين، وهذا الهم والإحساس اللذين يحتاجان الى احداث الانسجام بين الذات والدين لا يحدان بالعباديات والأمور والأخلاق الفردية فقط، بل لابد من موازنة النسبة بين الدين وكافة الامور والروابط الاجتماعية، وأن تكون حاكمية الدين نافذة في كل خطوط وزوايا شبكة الارتباطات الاجتماعية، وهذا لا يعني اخذ واقتباس المجتمع الديني كل ما لديه في الدين، وليست لديه أية حاجة لمصادر معرفية اخرى من قبيل العقل والعلم التجريبي البشري، بل المقصود عدم جواز غض النظر عن الموارد التي طرح فيها الدين نظراً خاصاً في ميدان من ميادين العلاقات الاجتماعية، بل من المناسب والمفترض مزج تلك الروابط والعلاقات مع التعاليم الدينية المتعلقة بها.

مباني المجتمع الديني:

كما أن المجتمع المدني كان مرتكزا على أسس نظرية وفلسفية خاصة كذلك فكرة المجتمع الديني والتدخل الواسع للدين في ساحة الاجتماع والسياسة والاقتصاد تعتمد ايضاً على اسس نظرية خاصة، لا بد ان يتضح باللاحظ الفلسفي والنظري أنه ما هي نظرة الإسلام الى مقولات من قبيل الإنسان، الاجتماع، الأخلاق، موقع الدين في المباحث الاجتماعية ومجال حقوق الإنسان؟

١- النظرة الوجودية للإنسان

الإنسان من وجهة نظرة نصوصنا الدينية مركب من روح وجسد، والأصالة في هذا التركيب للروح، أي أن إنسانية الإنسان وواقعيته إنما هما روحه، هذه النفس الإنسانية

التي هي مركز الإحساس والادراك، وتتوجه المسؤولية الأخلاقية لأعمال الإنسان الى الجانب الروحاني والنفساني له، أما البدن فمع كل تعقيداته ليس أكثر من آله لتحقيق الادراكات والقيام بالأفعال الإنسانية. ليس الإنسان من وجهة نظر القران والروايات الدينية حسن الطينة مطلقاً، كما انه ليس سيء الذات كذلك، بل يستفيد في ذاته وهويته من انواع الميول المختلفة، ان طينة الإنسان وذاته هي من جهة مكان هبوط الفطرة الإلهية والتمايل نحو الخير ومعرفة الامور الحسنة والسيئة له.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢).

ومن جهة اخرى الإنسان مكان للشهوات والميول الكثيرة، وهناك ما يقرب من ستين آية قرآنية تدم الإنسان بشكل من الاشكال، وتصفه بانه موجود غير شاكرك، أناني وحريص ويستفيد من انحاء الغرائز الحيوانية.

قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٥).

إن وجود هاتين المجموعتين من الآيات حول الإنسان كاشف عن هذه الواقعية وهي أنه ملتقى للطبع الملائكي والوصف الحيواني، وبعبارة اخرى يمكن للإنسان ان يربي نفسه من خلال عمله الاختياري ويتحول الى إنسان فطري، كما يمكنه من خلال

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.
(٢) سورة الشمس، الآية ٧-٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤.
(٤) سورة عبس، الآية ١٧.
(٥) سورة المعارج، الآية ١٩-٢١.

الاستغراق في غرائزه ان يصير موجودا طبيعيا تختفي فيه جهات الفطرة الالهية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١).

والحاصل أن الإنسان ليس محدوداً في ميوله وغرائزه، بل سعادته الحقيقية تكمن في الجواب عن حاجاته الفطرية والروحية، الى جانب الارضاء المعقول لحاجاته الطبيعية والغرائزية .

٢- نفي الفردية

من المؤكد أن الفردية الغربية بالشكل الذي أخذته في اطار المذهب الإنساني والتي تنتهي الى النفيعة المطلقة - لن تجد لنفسها مكاناً في الإسلام.

إذ الفردية قيمة اخلاقية غير صائبة فالإنسان ليس محوراً ومداراً للأخلاق والقيم وانما يجب عليه ان يكون مرتبطاً بها، أي ان الأصول والأسس الأخلاقية هي أمور عينية واقعية مستقلة عن ذهنية وارادة وميل البشر ومن هذه الجهة كانت القضايا الاساسية للأخلاق مطلقة وعارية عن النسبية والسبب في هذا الاطلاق لان القضايا الأخلاقية بيان لوجود الرابطة الواقعية بين العمل الأخلاقي والكمال النهائي والروحي للإنسان فاذا كانت العدالة جيدة وواجبة والخيانة سيئة وقبيحة فما ذلك إلا من جهة أنها توجب في الواقع كمالات روحية أو خسارات معنوية في حقيقة الإنسان وبطانه، لا أنها تصبح مقبولة بسبب التوجه الاجتماعي الإيجابي لهذه القضايا أو الميل والترجيح الذهني للمؤيدين لها .

مع الأخذ بعين الاعتبار كون الرابطة بين الفعل الأخلاقي والكمالات المعنوية والنهائية للإنسان هي رابطة واقعية وتكوينية فمن الطبيعي انها ستكون حينئذ مطلقة

(١) سورة الشمس، الآية ٩-١٠.

وغير نسبية، أي تكون رعايتها والالتزام بها ضروريان في كافة الظروف والمجتمعات مهما اختلفت، وعليه فعلى الإنسان ان يوازن ميوله وتمنياته مع هذه القضايا الواقعية، لا أن يجعل الأخلاق تدور حول ميوله وغرائزه، وبذلك لا يمكن للفردية ان تكون أساساً في المجتمع الديني .

٣- نفي العلمانية

رغم أن الإسلام ليس منحصراً في الفقه والشريعة إلا أن أدنى تأمل في محتوى التعاليم الإسلامية يكشف عن أن الشريعة والفقه يشكلان ركناً مهماً فيها الشريعة والفقه الإسلامي غير محدودين بالساحات الفردية والخاصة، وللفقه الاجتماعي الإسلامي تعاليم واضحة فيما يرتبط بالمقاولات الاجتماعية المختلفة، وعليه فإن العلمانية وإقصاء الدين عن الميادين السياسية والاجتماعية وحصره بالحياة الفردية لا اقل من كونها بالنسبة الى دين الإسلام تحريفاً للحقيقة والواقع فكما يساهم السلوك الفردي في الكمال الفردي الإنساني وتحقيق أساس سعادته الاخروية، كذلك السلوك المتبادل الاجتماعي وكيفية تنظيم العلاقات والروابط الاجتماعية المتنوعة هو ايضاً مؤثر في كمال وسعادة الإنسان، فإنه صار واضحاً في هذا العصر وبشكل كبير مدى وكيفية تأثيره نحو الروابط والعلاقات الاجتماعية في الأخلاق والروحيات الفردية، فليس هناك مجال لإنكار أن شكل العلاقات الاقتصادية الثقافية للنظام الرأسمالي، والاشتراكي، يقوم بفرض وإملاء الفعل الفردي والاجتماعي وكذلك الأخلاق والروحيات الفردية والآداب والسلوك الخاص على آحاد المجتمع، إذ كيف يمكن للدين الذي يدعي الكمال والخاتمية أن يغض الطرف عن هذا التأثير العجيب للروابط الاجتماعية على الروحيات والأخلاق والآداب والكمالات الفردية، وأن يسحب نفسه كلياً من المقولات الاجتماعية السياسة ويكون حيادياً بالنسبة لأي شكل من أشكال الروابط الاجتماعية وطريقة إدارة أمور المجتمع؟! بالتأكيد لا يصبح لدين كامل ولا يتوقع منه أن يكون

حيادياً فيما يتعلق بالروابط الاجتماعية وتأثيراتها الفاعلة والقوية في الحياة الإنسانية
وكمال الإنسان .

٤ - شمولية القانون الشرعي

إن مسألة وضع القوانين وأسلوب ومناخ التقنين والإلزامات الحكومية من أهم
الجهات في المجتمع والنظام السياسي، فإن للدستور في الأنظمة الاجتماعية المختلفة
عادة صفة الشمولية والعموم، أي أن مجموعة من القوانين الموضوعية في الميادين
المختلفة للاجتماع لا يجوز أن تكون مخالفة لدستور البلاد. ومن خصائص ومباني
المجتمع الديني هو أن القوانين الشرعية فيه شمولية، والمصادر المقننة ليس لها الحق
في وضع قانون على خلاف الشرعية^(١).

٥ - الدين الإيديولوجيا

يمكن تفسير الإيديولوجيا أنها مجموعة منسجمة من الاعتقادات والقيم الثابتة وغير
القابلة للتغير، والأفراد مدعوون لأخذ النموذج منها وموازنة الأمور معها، وعليه فهذا
التفسير لا يدعي بأنه يلزم على أي إيديولوجية أن تكون قد رسمت وبشكل دقيق
ومدوّن كافة أبعاد وخطوط الإنسان المثالي والمجتمع المثالي، بل هي تدعو الجميع
بجدية الى أن يطبقوا أنفسهم وشؤونهم الاجتماعية المتنوعة مع هذه القوالب والأطر
الذي تضعها الإيديولوجية بين أيديهم .

في ضوء ذلك فالمراد من الإيديولوجيا الإسلام هو أن هذا الدين لديه كلام ثابت
حول الإنسان وشؤونه الفردية والاجتماعية كما لديه جهات محددة غير مؤقتة ولا

(١) نعم للولي الفقيه هذا الاختيار وهو إصدار أمر حكومتي رغم وجود حكم شرعي ضمن ظروف
خاصة حيث تكون هناك مصلحة أهم من مصلحة الحكم الشرعي، ومن الطبيعي أن هذا الحكم
الولائي مؤقت ومنوط بوجود واستمرار المصلحة الأهم.

زمانية، فإن تنوع المجتمعات وظهور الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية الأحدث فالأحدث لا يمنع من إرادة الإسلام - كمذهب أيديولوجي - من الأفراد أن يحققوا الانسجام بين سلوكياتهم الفردية والاجتماعية وآمالهم ونظامهم القيمي والأخلاقي وبين مجموعة الاعتقادات والقيم الذي تكون أيديولوجية الإسلام.

بعبارة أخرى أيديولوجية الدين وصيرورة المجتمع الديني (مؤدلاً) هما بمعنى الاستماع الى الإرشادات الدينية في الساحات الاجتماعية المختلفة، ولا يعني ذلك إقصاء العقل والعلم البشري والابتكارات الإنسانية، بل نداء العقل ونتائج العلم البشري في المجتمع الديني تتناغم وتتسجم مع معطيات الوحي والشريعة.

٦- نفي العقلانية الأداتية

لا ينظر الإسلام الى العقل كمجرد آلة لتأمين الميول والمنافع المادية للبشر، إن شأن وموقعية العقل هو تنظيم وهداية ميول وغرائز الفرد، بالإضافة الى ذلك فالعقلانية بمعنى كون العقل البشري - كنبع معرفي إنساني - هو الأوحد والأفضل غير صائبة ولا تنهض للدفاع عنها، إذ إن الوحي والإلهام والشهود العرفاني هما أيضاً من منابع المتاحة للمعرفة.

والحاصل هذه جملة من أهم وأصول مباني المجتمع الديني ذكرناها هنا بما يلائم المقام.



الفصل الثاني

مجتمع الإمام المنتظر المهدي عليه السلام

"الخصائص والمميزات"



مجتمع الإمام المنتظر المهديّ عليه السلام

"الخصائص والمميزات"

مدخل: إنّ الدولة المهدوية إنّما تأتي لتحسم عصر المُعاناة الذي عاشته المجتمعات البشرية طويلاً وتُنهي الظلم والجور الذي ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت وحاكمية الأهواء والشهوات والنزعات المادية (تكون هي المسؤولة الأساس عن السير قدماً بالمجتمع والبشرية نحو زيادة في التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات)^(١)، وبظهور الإمام المهدي المنتظر (يُفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه)^(٢).

فالله تبارك وتعالى يحقق للأمة المسلمة؛ ولبني الانسان عامة؛ كل الطموحات الفطرية السليمة، ويزيل الشرك وبقيم المجتمع الموحد العابد العامل والمسارع للخيرات السائر في منازل الكمال ومعارج النور.

أولاً: المُخْلِص في الأديان السابقة:

• **المُخْلِص في الديانة اليهودية:** ورد في سفر التكوين: (لا يزول الصولجان من يهوذا، ولا عصا القيادة من بين قدميه الى أن يأتي صاحبها وتطيعه الشعوب)^(٣). وقد ورد في تفسيره الآتي: (يدور الكلام على مجيئ شخص تكتنفه الأسرار وتطيعه الشعوب، فالنبوءة تنتظر ملكاً مشيحياً مثالياً)^(٤).

• **المُخْلِص في الديانة المسيحية:** ورد في إنجيل متى: (وبينما هو جالس في جبل الزيتون، دنا منه تلاميذه، فانفردوا به، وسألوه: قل لنا متى تكون هذه الأمور، وما

(١) محمد صادق الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى (الموسوعة)، ٢/٢٥٥.

(٢) الدارمي، سنن الدارمي، ص ١٠١.

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، المكتبة الشرقية، بيروت، ط٤، ١٩٩٧م، ص ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه.

علامة مجيئك، ونهاية العالم؟ فأجابهم يسوع: ... ويزداد الإثم، فتفتت المحبة في أكثر الناس، والذي يثبت الى النهاية، فذاك الذي يُخلص، وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه^(١).

• **المخلص عند الهنودوس:** قسّم الهنودوس العالم الى عصور أربعة، وذكروا أن العالم سيعمه في العصر الرابع الظلم والظلام، وأن الطغاة سيتلّطون على أرواح الناس وأموالهم، وفي ختام ذلك العصر سيظهر عاشر وآخر المبعوثين واسمه كالكي أو كلكين، وهو يتمنّع بسمة رابانية، وله اتصال بالجهة اللامتناهية، فيهبط على فرس أبيض شاهراً سيفه الفضّي من أجل استئصال جذور الشر والظلم، وفرض العدالة والفضيلة، ويتغلّب على سائر القوى المخالفة له.^(٢)

• **المخلص عند البوذيين:** وردت فكرة المنجي الموعود في تعاليم البوذيين في عنوان الميترية (Maitreya)، وهو عندهم البوذا الخامس والأخير على وجه هذه الأرض، وهو لم يظهر بعد، وسيأتي لاحقاً لخلص الجميع^(٣).

• **المخلص عند اليونانيين القدماء:** تحدّثت أفكار اليونان القديمة عن الأمن والسلام بعد نشوب العديد من الحروب، وبشّرت بدولة عالمية بقيادة رجل يأتي ليحكم البشر كافة، فقد تتبأت رسل اليونان بين ١٦٥ و١٦٨ قبل الميلاد بحكومة الأمراء المقدّسين التي قدّروا لها أن تسود جميع العالم، وبشّروا بظهور ملك في الشرق يملأ الأرض بالأمن والسلام^(٤).

• **المخلص في الإسلام:** تحدّث القرآن الكريم عن لابدئية إتمام النور الإلهي وظهور الدين على كلّ الأديان في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، ص ٤٥.

(٢) للتوسعة بالمصادر ظ: علي موحدان عطار، نظرية المهودية في الديانات، كتاب المنهج، مركز الغدير، ٢٠٠٩م، ص ٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ٦٩.

وَيَأْتِي اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(١)، كما أكد على أن مصير الأرض هو وراثة العباد الصالحين لها، واستخلافهم، وجعلهم أئمة فيها، قال الله تعالى:

١ - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢).

٢ - ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٣).

٣ - ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤).

وقد أكدت الأحاديث الشريفة عند المسلمين في جميع مذاهبهم هذه الفكرة العامة التي قدمتها الآيات السابقة، مبيّنة حصول ذلك الوعد الإلهي بظهور شخص مُصلح يتحقق على يديه وعد الله تعالى، ويملاً الأرض عدلاً بعد ما ملئت ظلماً، مطلقاً عليه لقب "المهدي".

وقد روى علماء أهل السنة (مدرسة الصحابة) مئات الروايات حول ظهور المهديّ في آخر الزمان، منها ما رواه أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)^(٥)، وفي سنن أبي داود عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)^(٦).

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٤) سورة القصص، الآية ٥-٦.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/٣٦٦.

(٦) سنن أبي داود، ٢/٣١٠.

وكذلك روى علماء الشيعة الإمامية (مدرسة أهل البيت عليهم السلام) مئات الروايات في ذلك، منها ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها).^(١)

وقد أكدت هذه الروايات أن الإمام المهدي عليه السلام سوف يظهر بعد غيبة طويلة، فعن الإمام علي عليه السلام: (قال رسول الله: المهدي من ولدي، تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)^(٢).

• **التمهيد..** لا بدّ للإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف من أن يقوم بعدّة خطوات وإجراءات عمليّة وميدانيّة على طريق تأسيس الدولة الإسلاميّة العادلة.

ويقع في أولويّات هذه الخطوات قيامه عليه السلام حين ظهوره على الملأ باستئصال رموز الكفر والنفاق والانحراف من على وجه الأرض، كتمهيد لبسط سلطانه وضمان عدم وجود من يحاول مواجهة هذه الدولة.

وحينما يلجأ عجل الله تعالى فرجه الشريف لتأسيس نظام جديد، فإنّ هذا الأمر يفترض إلغاء كلّ الأنظمة والقوانين الحاكمة في المجتمع البشريّ. لذا فإنّنا يمكننا وضع هذا الافتراض العقليّ وهو قضاء الإمام المهديّ عليه السلام على تلك الأنظمة وإلغاؤها من ساحة الوجود ووضع البديل الصالح عنها.

وهذا ما يتطلّب مواجهة حادّة وقاسية ضدّ كلّ الحكّام الذين يفرضون سيطرتهم بالقوّة على شعوب العالم وبالخصوص الإسلاميّ، ويكون دور الإمام إزالة هذه الرموز الحاكمة والعمل على توحيد الأمة الإسلاميّة لتكون في ظلّ الحكومة الإسلاميّة العادلة

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٨٢، ظ: الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤/١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢٨٧.

والواحدة التي تنصره فيها كل الشعوب الإسلامية، لأنه ﷺ يتبنى الرؤية الإسلامية التي لا تعترف بتجزئة البشرية إلى حدود ودول... بل دولته عالمية واحدة برئاسة واحدة وقيادة واحدة، ومعه تُزال وتُحى كل الأنظمة والقوانين الدولية، ولا توجد بعد ذلك دول متعدّدة. وهذه واحدة من خصائص الدولة المهديّة...

كما لا تقتصر المواجهة مع الأنظمة الفاسدة والحكام بل ان مواجهة الأفراد والمجتمعات التي ترسخت فيها الانحرافات ربما أشد ضراوة لأنها تكون مقتنعة ان العصيان جزء من ممارساتها اليومية، إذ (ان أكثر حالات العصيان والانحراف في عصر الفتن والانحراف، حيث تتركز المصالح الخاصة ويقل الوازع الأخلاقي والديني، ويدرك الفرد ان كثيراً من الأعمال المنحرفة تعتبر ضرورة من ضروريات حياته، ويتوقف أمنه وراحته عليها..)^(١).

وفي اعتقادنا إنّ ظهور الإمام المهدي ﷺ سوف يحدث التغيير وان هذا الوضع الجديد سيكون له آثاره الإيجابية على الأمة وسيفتح لها باب السعادة والرخاء والسلام والعدل بين البشر أجمعين، وسنلاحظ ان السبب في خصائص تتمتع بها الدولة الإلهية التي تتعكس على خصائص المجتمع الإسلامي.



ثانياً: من خصائص مجتمع الدولة المهدوية

١- القيادة المعصومة، فالرئاسة والقيادة العليا في الدولة التي لن تكون ملكية ولا رئاسية ولا دكتاتورية، ستكون إمامية، لأنّ الحاكم الأعلى سيكون هو الإمام المنصوب من قبل الله عزّ وجلّ وسيمارس هذا المنصب الإمام المهديّ ﷺ بنفسه، في القيادة العليا، ويوكل قيادة المناطق المختلفة في العالم إلى أصحابه المخلصين "حكّام الله في أرضه".

فشكل وطبيعة الدولة المهدوية هو نفس شكل وطبيعة الدولة التي أسسها رسول الله ﷺ والتي يكون في مركزها الأعلى النبيّ ﷺ ومن بعده الأئمة الخلفاء المعصومون عليهما السلام.

٢- أنّ التشريع في هذه الدولة لله عزّ وجلّ وحده دون سواه، وليس من خصائص الشعب أو المجالس المنبثقة عنه كما في الدول والأنظمة القائمة في عالمنا المعاصر، كما أنّ الإمام المعصوم ليس إلا مبلّغاً لهذا التشريع ومطبّقاً لأحكامه، وحامياً له.

٣- إلغاء كلّ التيارات الفكرية المنحرفة والضالّة، بحيث لا يُسمح في ظلّ الدولة الإسلامية المهدوية لأيّ إنسان أن يتخذ ما يشاء من الرأي والعقيدة، وأن يتبنّى ما يشاء من المعتقدات والأفكار، وخصوصاً إذا تضمّن اتجاهه ورأيه مخالفة صريحة للأطروحة العادلة الكاملة.

ولا يقتصر الأمر في الدولة المهدوية على إلغاء التيارات الفكرية بل يطال الأمر الأديان والمعتقدات، فلا يبقى فكر ولا معتقد ولا دين إلا الإسلام.

عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال في تفسير قوله عز وجل: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١): (يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الأديانِ عند قيام القائم عليه السلام)^(٢).

٤- القضاء على مظاهر الفساد الأخلاقي والاجتماعي، من قبيل منع الغش والربا والتغابن في المعاملات التجارية، ومنع تبذّر النساء وشرب الخمر.

فمع إرساء الإمام المهدي عليه السلام لدولته تطوى صفحة المنكر وتفتح للإنسانية معالم صفحة الأمر بالمعروف وتجسيده في المجتمع.

٥- شمول دولته عليه السلام كلّ العالم، فالوعد الإلهي للبشريّة بتطبيق العدل لا بدّ وأن يكون شاملاً لكلّ الناس، فلا تُحرم منه فئة وتتعم به فئة أخرى.

ورد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿الدِّينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾^(٣) قال عليه السلام: (المهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدّين. ويميت الله عز وجلّ به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهة الحقّ، لا يرى أثر من الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والله عاقبة الأمور)^(٤).

وتشير بعض الأحاديث إلى أنّ دولة الإمام المهدي عليه السلام التي سيقمها ستكون أعظم من الدولة التي أقامها النبي سليمان وذو القرنين. عن الإمام علي عليه السلام: (إنّ ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود، وسلطاننا أعظم من سلطانه)^(٥).

(١) سورة التوبة، الآية ٣٣.
(٢) الكليني، الكافي، ٤٣٢/١.
(٣) سورة الحج، الآية ٤١.
(٤) منتخب الأثر، ص ٤٧٥.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٦/٢٧.

وتضافرت الأحاديث عن النبي ﷺ وأوصيائه عليهما السلام أنّ الإمام المنتظر ﷺ يملك الدنيا بأسرها وتدين لإمامته جميع شعوب العالم وأمم الأرض.

٦- التأييد الإلهي المطلق والدعم الكامل لها، لأنّ الله سبحانه وتعالى وعد في كتابه الكريم بالوقوف إلى جانب الحقّ والعدل أينما وجد، وفي كلّ زمان ومكان، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١). وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: (إنّ الملائكة الذين نصرّوا محمداً ﷺ يوم بدر في الأرض ما سعدوا بعد، ولا يصعدون حتّى ينصروا صاحب هذا الأمر، وهم خمسة آلاف)^(٢).

ودولة الإمام المهدي ﷺ التي ستقوم في آخر الزمان هي واحدة من أبرز مصاديق العدل ونصرة الدين الإلهي، فلا شكّ بأنّها ستحظى بتأييد الله ودعمه.

٧- تكامل الوعي البشري، فلا يعود هناك مجال لقوى الاستكبار في أن تتحكّم في عقول البشر وتسير بهم وفق إرادتها وتسخيرهم لمصالحها. فمن خلال دولة الإمام المهدي ﷺ ينتشر الوعي وتفتّح الأذهان والعقول، وتتوحّد الرؤية والنظرة إلى القضايا بمجملها.

روى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم)^(٣).

٨- تطوّر الحياة في عصره، فإنّ وسائل الحياة الاجتماعيّة التي يستخدمها البشر في عصرنا الحاضر قد تتغيّر وتختلف في دولة الإمام المهدي ﷺ التي سخر الله لها ولقائدها وأصحابه الدنيا بما فيه، بحيث تُسهّل لهم إدارة شؤون الدولة ولو بواسطة القضايا الإعجازية التي يوفّرها الله لهم.

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١/٢٨٤.

(٣) الكليني، الكافي، ١/٢٥٠.

والتطور في الدولة المهدوية يشمل جميع العلوم في شتى الميادين العلمية والتكنولوجية، ولعلّ الدليل الأهمّ على ذلك هو مقدار العلم الذي يُخرجه الإمام المهديّ عليه السلام.

فمن مقدار العلم يروي أبان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزئين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبئها في الناس وضمّ إليها الجزئين، حتى يبئها سبعة وعشرين جزءاً)^(١).

ومما يُشير إلى انتشار الثقافة والمعرفة، ما روي عن الباقر عليه السلام: (وتوتون الحكمة في زمانه حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله)^(٢).

٩- تسخير قوى الطبيعية للدولة المهدوية وقياداتها، وهذا أيضاً نوع من التأييد الإلهي لها، ومظهر من مظاهر تجلياته، ونتاج طبيعي له، وذلك من أجل توفير كلّ العوامل التي تساعد هذه الدولة على تثبيت أركانها وتقوية دعائمها وبسط نفوذها وسيطرتها على المقدرات الطبيعية.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض، وخفض له كلّ مرتفع، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكّم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها)^(٣).

١٠- إحياء الدّين وبعث الإسلام من جديد وتعميمه على العالم، لذلك نقرأ في دعاء الندبة: "أين محيي معالم الدّين وأهله"، فالإمام عليه السلام سيحيي هذا الدّين بعد أن مات في قلوب العباد، دين ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣٦/٢٥.

(٢) النعماني، الغيبة، ص ٢٤٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣٦/٥٢.

وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾، دِينٌ ﴿فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتِ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢)، دِينٌ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣)، دِينُ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمُظْلَمِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِوَرَاثَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٤). وهذا المعنى هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٥).

إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيرها: (أظهر ذلك بعد؟ كلاً والذي نفسي بيده، حتى لا تبقى قرية إلا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بكرةً وعشياً) (٦).

فالهدف الإلهي من إقامة مشروع الدولة العادلة على يد الإمام المهدي عليه السلام هو كما روي عن الصادق عليه السلام: (... وَيَبْلُغَنَّ دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ حَتَّى لَا يَكُونَ شَرِكٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ...) (٧).

ولتصبح الأرض صافية نقيّة من الكفر والنفاق كسبيكة الفضة النقيّة من الشوائب.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا قام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِرَ فضلٌ عنه الجمهور،

-
- (١) سورة الحج، الآية ٤١.
 - (٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
 - (٣) سورة القلم، الآية ٤.
 - (٤) سورة القصص، الآية ٥.
 - (٥) سورة التوبة، الآية ٣٣.
 - (٦) المحجة فيما نزل بالقائم الحجّة، ص ٨٦.
 - (٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٥٥/٥١.

وإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَائِمُ مَهْدِيًّا لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرٍ مَظْلُوعٍ عَنْهُ، وَسُمِّيَ بِالْقَائِمِ لِقِيَامِهِ بِالْحَقِّ^(١).

وتشير الروايات بشكل واضح وجلي إلى أَنَّ الإمام المهديّ ﷺ لن يأتي بدين جديد غير الإسلام والشريعة التي بشر بها النبي محمد ﷺ. ولقد حاول أعداء الإسلام والتشيع الافتراء عليهم بأنهم يقولون ويدعون إنَّ الإمام المهديّ ﷺ سوف يأتي بدين هو غير الإسلام.

والجواب على هؤلاء أَنَّ ما هو مذكور في روايات أهل البيت ﷺ هو أَنَّ الإمام يأتي بالإسلام الذي دُثر وتُرك، ويكون على يديه إحياءه وإحياء قيمه بعد محاولة بعض الناس تشويه صورته وإبعاده عن حياة الناس. وفي ذلك يصف الإمام علي ﷺ تعامل الإمام المهدي ﷺ مع القرآن: (يَعْطِفُ الْهُوَى عَلَى الْهُدَى - إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهُوَى - وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ - إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ)^(٢). وعن الإمام محمد الباقر ﷺ: (إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ضَرَبَ فَسَاطِيطَ مَنْ يَعْلَمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ..)^(٣). إنها العودة إلى الجذور!

١١- الرفاهية والرخاء في ظلّ الدولة المهدوية، لأنّ عصر الإمام المهديّ ﷺ هو ذلك العصر الذي يصل فيه المجتمع الإنساني إلى مجتمع الغنى وعدم الحاجة، وتُمحي منه الطبقات الاجتماعية، ولا يعود الناس بحاجة إلى السؤال نظراً للتوزيع العادل للثروات.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة مجموعة كبيرة من الروايات التي تبين مدى النعيم الذي تحصل عليه الأمة في عصر الظهور وما يكون فيه من رخاء ووفرة في المال

(١) المفيد، الارشاد، ٣٨٣/٢.

(٢) نهج البلاغة، ٢١/٢.

(٣) المفيد، الارشاد، ٣٨٦/٢.

وسعة في الحال.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: (تصدّقوا، فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أُعطيها: لو جئت بها بالأمس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها)^(١).

وعنه ﷺ أنه قال: (يخرج المهديّ في أمّتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً، فقيل له: أيّ شيء؟ قال: سنين، ثمّ قال: يُرسلُ السماء عليهم مدراراً، ولا تدخُر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً، قال: يجيء الرجل إليه، فيقول: يا مهديّ أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل)^(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: (تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثالَ الأسطوان من الذهب والفضّة، فيجيءُ القاتل فيقول: في هذا قتلتُ، ويجيءُ القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيءُ السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثمّ يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً)^(٣).

١٢- العدل الاجتماعي الشامل؛ أنّها دولة القضاء والحكم العادل بين أفراد المجتمع، فلا ظلم ولا جور ولا حيف فيها، ولن يكون فيها مظلوميّة لأحد.

فالإمام المهديّ ﷺ خليفة الله في الأرض، ووارث النبيّين، والداعي إلى سبيل الحقّ والقائم بالقسط ومُجلي الظلمة ومنير الحقّ، والناطق بالحكمة والصدق، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ينتظره الناس لإزالة الهمّ وكشف الكرب والبلوى.

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣٠٦/٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢١/٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٣١٠/٦، مسلم، صحيح مسلم، ٨٤/٣، للتوسعة في المصادر، ظ: علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي عج، ٢٣٦/١.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١)^(٢).

فعلى يديه ستتحقق دولة العدل الإلهي في آخر الزمان ليعيش الناس بأمان واطمئنان لما يروونه وينذوقونه من طعم الإيمان وحلاوة العدل الذي يحققه الإمام عليه السلام. بعد خيبة التجارب السابقة؛ وفي هذا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)^(٤).

ولهذا أشارت الروايات والأخبار إلى معالم الزمن المهدي وما يتم على يد الإمام المهدي عليه السلام من إنجازات على مستوى تحقيق الرفاهية والعدل للبشرية.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (... وتُخرج له الأرض -أي للمهدي عليه السلام - أقاليد كبدها وتلقي إليه سلما مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة)^(٥).

مما تقدم نلاحظ:

١. من أولى إجراءات الإمام عليه السلام بعد ظهوره استئصال رموز الكفر. ٢. القيادة المعصومة. ٣. التشريع الإلهي. ٤. إلغاء التيارات المنحرفة. ٥. القضاء على مظاهر

(١) سورة الحجر، الآية ٧٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣٩/٥٢.

(٣) سورة الاعراف، الآية ١٢٨، سورة القصص، الآية ٨٣.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣٢/٢.

(٥) نجم الدين العسكري، المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، ص ٢٨٨.

الفساد. ٦. الدولة الشاملة لكل العالم. ٧. التأييد الإلهي المطلق. ٨. تكامل الوعي. ٩. تطوّر الحياة. ١٠. تسخير القوى الطبيعيّة. ١١. إحياء الدّين. ١٢. الرفاهيّة والرّخاء. ١٣. دولة الحكم العادل.

ثالثاً: صفات المجتمع الممهّد لدولة العدل الإلهية:

إن الممهدين لدولة الإمام المهدي ﷺ العالميّة يتّصفون بمواصفات نلتبسها في أصحاب الكهف لو فكرنا بوضع صورته حقيقته نحتذي بها وتكون نبراساً لنا ونحن نلتبس طريق التمهيّد سنفكر في أصحاب الكهف لانهم وكما ذكرت الروايات من انصار المهدي روعي فداه، ولربما اهم هذه الصفات:

١- الإيمان الحقيقي بالله، يقول القرآن الكريم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١)، اذن أول صفة هي الإيمان بالله الذي يزيده الله هدى. قال الإمام محمد الجواد عليه السلام: (ينتظر خروجه المخلصون)^(٢).

٢- ثبات أصحاب الكهف والرقيم، الفتية المؤمنة رغم قلّتهم في مجتمع الضلال، إلا أنّهم مع ذلك ثبتوا على نهج الحقّ على بصيرة ووعي، وهذه عظة للأمة الإسلاميّة، أنّه رغم وجود أهل الضلالة والمكذّبين وهم الأكثرية المكذّبون بعقيدة وجود خليفة الله في الأرض والإمام، وأنّ الدين سيظهر ويُظهره الله على يده ليملاً الأرض قسطاً وعدل، لم يثّهم تكذيب المكذّبين ووجود الجاحدين وإنكار المنكرين والمفسدين والظالمين عن الثبات على عقيدتهم وصف الإمام محمد الباقر عليه السلام الجماعة التي تبقى بعد البلاء والغرلة بأنّها: (لا تضرها الفتنة)^(٣).

(١) سورة الكهف، الآية ١٣.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٧٨.

(٣) النعماني، الغيبة، ص ٢١٨.

٣- الاعتزال عن المجتمع الظالم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، الاعتزال هنا اعتزال المسار واعتزال المنهاج، وقد كان نهج النقيّة واضحاً فيهم، والنقيّة تعني البرنامج الأمني لأهل الحقّ لأن يحافظوا على أنفسهم في قبال أهل الضلال، فسنة النقيّة هي سنة إخفاء، والمسايرة في الظاهر مع أهل الضلال، هذه سنة قرآنية يستعرضها لنا القرآن الكريم في أصحاب الكهف. ربما هذه أهم الصفات التي تُقيدنا لتكون من الممهدين المنتظرين الاخذ بيد الآخرين بعد ان يقوم الممهّد نفسه بصفات الممهدين وبعد ان يؤدّب نفسه بأخلاق النبي الخاتم ﷺ وأهل بيته ﷺ وعليه الاخذ بيد الآخرين، وإن من سُبُل التقرب العظمى إلى الله تعالى، الأخذ بيد الغير.. ولكن- مع الأسف- الملاحظ بأن البعض يتقاعس عن هذا السبيل، بدعوى عدم التميز، فقد يقول: أنا لست مؤهلاً لنصيحة الناس ليتعلموا ان يكونوا مهّدين وان لا يدعوا بتعجيل الفرج دون العمل على التعجيل والحقيقة ان الإنسان ما عليه إلا أن يسعى ويعمل بتكليفه في إرشاد الناس، وإنقاذهم من حيرة الجهل والضلالة. ويعلمهم الارتباط الحقيقي بالإمام وكيفية تعجيل الفرج.

والتزام التمهيد لصنع مجتمع العدالة بدءاً من تربية الإنسان نفسه والعدل معها، وهو الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: (رحم الله عبداً.. أزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه)^(١)، واستمرار العدل مع الآخرين بمستوى الأسرة والمجتمع، والتربية بالقوة والمنعة في ذات الله تعالى؛ فعن الإمام الباقر عليه السلام: (إذا وقع أمرنا وجاء مهدينا عليه كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليث، وأمضى من سنان، يطأ عدونا برجليه..)^(٢)، وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام: (ان الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقطعوها..)^(٣)،

(١) نهج البلاغة، ١٥٣/١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٠/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣٢٧/٥٢.

فبذلك نرسم الانموذج الذي يُقتدى به، ويصلح للتمهيد في (إيجاد المجتمع الكامل، والبشرية الكاملة المتمثلة من مجموعة الأفراد الذين يعيشون على مستوى العدل والإخلاص، والتجرد من كل شيء سوى عبادة الله تعالى، تلك العبادة التي تتضمن تربية الفرد والمجتمع، والارتباط بكل شيء على مستوى العدل الإلهي)^(١).

إذن الاستعداد الدائم للظهور: قال صاحب الأمر عليه السلام: (فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنَا، وَيَجْتَبِئْ مَائِدَتِيهِ مِنْ كَرَاهَتِنَا وَسَخَطِنَا فَإِنَّ أَمْرَنَا بَعْتَةٌ فَجَاءَةٌ حِينَ لَا تَنْفَعُهُ تَوْبَةٌ وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِنَا نَدَمٌ عَلَى حُوبَةِ وَاللَّهُ يُلْهِمُكُمْ الرُّشْدَ، وَيُلْطِفُ لَكُمْ فِي التَّوْفِيقِ بِرَحْمَتِهِ)^(٢).



(١) محمد صادق الصدر، تأريخ الغيبة الكبرى (الموسوعة)، ٢٥٤/٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٦/٥٣.

الفصل الثالث

أسس بناء المجتمع وعناية الإسلام بها



أسس بناء المجتمع وعناية الإسلام بها

إن أي مجتمع باعتباره كياناً قائماً بذاته، لا بد له من أسس يبني عليها، وتكاد تكون هذه الأسس مشتركة بين المجتمعات كلها، بيد أن المجتمع الإسلامي تميز عن غيره في هذا المجال وكان تميزه من جهتين: أما الأولى فهو أنه جعل العقيدة بكل مظاهرها والشريعة بكل أحكامها الأساس الأكبر الذي تبنى عليه الأسس الأخرى، إذ لا قيمة لأي أساس لا تكون العقيدة والشريعة متمثلة فيه قائمة عليه، وهذا ما ظهر جلياً في تربية المعصوم (النبي ﷺ والإمام عليّ عليه السلام) للمسلمين أفراداً وجماعات، ف(كان هدف حفظ الشريعة الإسلامية من أهم الأهداف التي استهدفها الأئمة عليهم السلام من بناء الجماعة الصالحة؛ حيث كانوا عليهم السلام يسعون إلى تحقيق هذا الهدف في زمن حضورهم كي لا تبطل الشريعة بعد غيابهم عليهم السلام بالتحريف والضياع)^(١).

وهذا الهدف مهد الطريق للأسس الأخرى لتصبح مكونات معتبرة وهو ما حرصنا على إبرازه حين عرضنا لهذه الأسس وبيننا كيف أن الإسلام صبغها بصبغة عقيدية وصاغها صياغة إسلامية، ومن هنا كان التميز وكانت الآثار الإيجابية.

أما الثانية فإنه بما أوجدته تعاليم السماء من مواصفات، وبما وضعته من اعتبارات تجاه هذه الأسس، فجاء هذا المجتمع متميزاً بتميز أسسه، وهو ما سنعرض له في هذا المبحث.

يمكن القول إن الأسس العامة التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي - بعد الأساس العقدي المهمين عليها - هي:

- ١- الإنسان. ٢- الروابط الاجتماعية. ٣- الضبط الاجتماعي. ٤- الأرض.

(١) محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ٥٠/١.

الأساس الأول: الإنسان

عنى الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها، بغية أن يهيئه ليكون الأساس الأول في بناء المجتمع، وبرزت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين حين خلقه الله تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه ومنحه العقل والحواس، فبان بهذا أنه مخلوق كريم على الله ثم تبعته العناية الإلهية حين قضى الله تعالى، أن يكون مستعمراً في الأرض، وقد تُوجت هذه العناية بشريعة الإسلام وبما تضمنته نصوص القرآن الكريم من هدايات وتوجيهات تخص بناء الفرد المسلم في جميع المجالات^(١).

فكان ان هدفت كلها إلى بناء شخصية للفرد المسلم متزنة مستقلة تجمع بين ما استودع في نفسه من رغبات ونزعات، وبين ما أنيط بها من مسؤوليات على مستوى الفرد والجماعات، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢).

وهذا ما جعل من هذا الإنسان . بحق . مخلوقاً متميزاً، وصار خليقاً لأن يصبح خليفة في الأرض، وأهلاً للقيام بواجباته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه كما أسلفنا.

لقد أسهم في تحقيق هذه الغاية العظمى والمهمة الأسمى أن الله تعالى أودع في الإنسان نزعتين متباينتين في الظاهر، لكنهما متكاملتان وهما^(٣):

- النزعة الفردية وهي التي تجعله يحب الخير لنفسه ويدفع الشر عنها، ويحرص على تحقيق ذاته.

(١) للتوسعة: ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المنظور القرآني في بناء الإنسان (اطروحة دكتوراه)، ص ٣٧.

(٢) سورة الشمس، الآية ٧ - ١٠.

(٣) ظ: د. شاهين محمد، علم الاجتماع والمجتمع المسلم، ص ٨٥.

• والنزعة الاجتماعية وهي التي تدفعه إلى صف الجماعة وحضن المجتمع، لأن الله تعالى جعل بحكمته حاجة الفرد إلى الفرد، كحاجة العضو إلى العضو في الجسد الواحد، ويفهم هذا إذا علم أن سلوك الفرد ورغباته كالحب والوفاء والتميز والفخر، لا بد لها من محيط اجتماعي تمارس فيه.

يضاف إلى هذه الدوافع الفطرية، دوافع مكتسبة أوجدها الشارع الحكيم من خلال تشريعات وتكاليف خوطب بها الفرد، لها اتصال مباشر بالمجتمع، وهذا ملحوظ في العبادات كلها فهي (شعور مكتمل العناصر، يبدأ بالمعرفة العقلية، ثم بالانفعال الوجداني، ثم بالنزوع السلوكي الذي هو الغاية الكبرى)^(١) من تشريعها، فالحياة داخل المجتمع، تمنح الفرد قوة فوق قوته.

إن المتأمل في مكانة الفرد في الإسلام وما أحيط به من عناية وتهئية، يدرك أنه أهل لأن يكون الأساس الأول في بناء المجتمع لأن (الفرد هو الذي يكون المجتمع بتعايشه وتعاونه مع سائر الأفراد وهو الذي يؤدي أيضاً إلى حدوث التحولات والتطورات فيه)^(٢) باعتباره اللبنة الأولى في الأسرة، تلك الأسرة التي تؤلف مع مثيلاتها، المجتمع الرباني.

الأساس الثاني: الروابط الاجتماعية

فُطر الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل بطبعه إلى بني جنسه ويكره العزلة، كما أن طبيعة الإنسان لا يمكن أن تكتمل إلا من خلال انتمائه للمجتمع ذلك: (أن الاجتماع ما هو إلا تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان والجماعة، صفة لازمة من صفاته)^(٣).

(١) د. محمد كاظم الفتلاوي، الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني، ص ١٧٣.

(٢) محمد تقي فلسفي، النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، ص ٢٠٤.

(٣) د. شاهين محمد، علم الاجتماع والمجتمع المسلم، ص ٨٥.

وحيثما وجد تجمع إنساني برزت - بلا شك - روابط اجتماعية وصلات (وهي عبارة عن فكر وسلوك)^(١) تنمو وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

والعلاقات الإنسانية منها ما يكون مرتبط بعقد كالزواج والشراكة والإيجار، أو لا تخضع لعقد كالصداقة والحب والجوار، لأنها تعتمد على تفاهم أشخاص مختلفين في البيئة والتربية والثقافة والذكاء والتجربة والطباع والأمزجة والقيم. ومن الباحثين من يقسم هذه الروابط إلى فطرية كالقربة، وإلى مكتسبة كالجوار^(٢).

وعلى كل، فهي ظواهر نمت في ظل الاجتماع وتولدت منه بسبب شعور كل فرد بحاجته إلى التعاون مع الآخرين والارتباط بهم تحقيقاً للمصالح المشتركة، وهو ما كشف عنه ابن خلدون بقوله: (إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته، فلا بد من اجتماع القدر الكبير من أبناء جنسه)^(٣).

يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام تميز المجتمع الإسلامي عن غيره في مجال الروابط الاجتماعية، فهو وإن أقر كثيراً من الروابط ورعاها حق رعايتها، إلا أنه جعل الرابطة العظمى والعروة الوثقى هي العقيدة وما يفيض عنها من تشريعات وهدايات، لأنها المرجعية الأولى والعليا لأبناء المجتمع الإسلامي في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات فكان للإيمان بالله تعالى دور ظاهر في إيجاد روابط اجتماعية، وفي تهذيب روابط أخرى كان قد أقرها العرف من قبل.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله)^(٤). وقال عليه السلام: (كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له)^(١).

(١) ظ: د. شاهين محمد، علم الاجتماع والمجتمع المسلم، ص ٢٩.

(٢) ظ: المصدر نفسه، د. محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، ص ١٤.

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٧٩.

(٤) الكليني، الكافي، ١٢٥/٢.

إن الإسلام يعتمد في بناء مجتمعه على قوة الرابطة التي يضعها بين المسلمين ويجعل منهم جسماً واحداً يتجه . بقوة . إلى غاية واحدة، ذلك ما يصوره الحديث النبوي المشهور: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢).

حق في ضوء هذه المفاهيم أن تكون الروابط الاجتماعية واحداً من الأسس التي يبنى عليها المجتمع (ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن المجتمع نسيج مكون من صلات اجتماعية)^(٣).

الأساس الثالث: الضبط الاجتماعي

العلاقات الإنسانية بأنواعها حساسة وهشة وعرضة في كل لحظة للانفصام، إن لم يتوفر لها التبادل في العواطف والتوازن في المصالح وضمان العدل والمساواة للطرفين فمصلحة كل منهما حق له، ومصلحة الآخر واجب عليه، فإذا تجاوز أحد الطرفين الحدود أو حاول استغلال الطرف الآخر انهارت هذه العلاقة وانفصمت عراها، وحل سوء التفاهم محل الوثام والانسجام.

فينشأ عن هذا مجموعة من السلوكيات والأحاسيس والتصورات، تختلف عما يفكر فيه الفرد ويحس به أو يريد لنفسه، وربما اتخذت الجماعات قرارات لم يردها بعض أفرادها لو خلوا بأنفسهم لاختلاف الإرادة الفردية عن الإرادة الجماعية، وكأن هذا يعني وجود شخصية جماعية تفرض نفسها على الأفراد^(٤).

(١) الكليني، الكافي، ١٢٧/٢.

(٢) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢٧٠/٤.

(٣) ظ: د. امين المصري، المجتمع الإسلامي، ص ١٢.

(٤) ظ: د. جميل صيليبيا، المعجم الفلسفي، ص ٤٠١.

يسمي علماء الاجتماع هذا الذي أشرنا إليه، بالضبط الاجتماعي، ويعني ضرورة الوعي بشعور الآخرين، ومراعاة حقوقهم وانتهاج سلوك يتأثر بهذا الوعي وهذا السلوك^(١).

لا شك في أن حاجة المجتمع ماسة لوجود ضوابط وأنظمة (تطلق نشاط الأفراد في مجالات، وتحبس نشاطهم في مجالات أخرى، وتضع لهم مقاييس للسلوك تقوم الأمور تبعاً لها، فتعتبر بعض الأمور كريمة محببة وتعتبر بعضها كريهاً مذموماً)^(٢).

لقد تنبه المعنيون بشؤون المجتمع إلى أهمية هذا الأساس في بنائه، وكان غاية ما توصلوا إليه من أجل تحقيق هذا الغرض ما سمي بنظرية العقد الاجتماعي، والتي اتضحت معالمها على يد العالم الشهير (روسو) (وهي فكرة مادية تقوم في حقيقتها على تبادل المصالح والتعايش بين الناس لينال كل منهم حقوقه، وهي محاولة لا بأس بها لكف نوازع العدوان والتسلط)^(٣) لكنها لا تقوى هي ولا مثيلاتها بحال على التأليف بين قلوب أفراد المجتمع، ولابث المحبة بينهم، ولا زرع روح التسامح في المجتمع، فهي لا تزيد على كونها محاولة للتوفيق بين الرغائب، والملاءمة بين المصالح، حتى لا يحدث تصارع ولا اختلاف.

للإسلام منهج في هذا المجال ما عرفت البشرية في تاريخها الطويل منهجاً يوازيه أو يدانيه، سلك فيه مسالك متنوعة، فآنت ثمارها، وكان من ذلك أن زين لأفراد المجتمع طريقاً سهلاً موصلاً للجنة ولرضوان الله عن طريق محبة الآخرين، قال الإمام الصادق عليه السلام: (كان علي عليه السلام يقول: لا تغضبوا ولا تغضبوا)^(٤) افشوا السلام

(١) ظ: د. محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص ٤١٠.

(٢) ظ: د. أمين المصري، المجتمع الإسلامي، ص ١٣.

(٣) د. مصطفى عبد الواحد، المجتمع الإسلامي، ص ٤١.

(٤) في بعض النسخ [ولا تعصبوا] . ولعل الصحيح " ولا تعضبوا " أي لا تقطعوا.

وأطيبوا الكلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عَلَيْهِمُ عليهم قول الله عز وجل: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ﴾^(١)(٢) .

فجعل انتشار المحبة المتبادلة بين أفراد المجتمع، علامة على تحقق الإيمان، ورتب عليه دخول الجنة وهذا من أعظم الحوافز التي توضع بين يدي المسلم اليقظ، ولا شك أن المحبة في الله إذا فشت بين أفراد المجتمع، كان لها من الآثار والثمار ما هو كفيلاً بتجاوز كثير من الأزمات، ونمو التسامح في المعاملات.

كذلك رغب الإسلام أبناءه في العناية بقضايا المجتمع وحاجات أفرادهم، وحثهم على تجنب أذية أفرادهم، ورتب على هذا مكاسب عظيمة نلاحظها في حديث المعصوم واضحة جلية، قال الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: (المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخذعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه)^(٣). وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أيما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة، قال: ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة، قال: والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه، فانتعقوا بالعظة وارغبوا في الخير)^(٤). وقال الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)^(٥)، وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سرورا)^(٦).

(١) سورة الحشر، الآية ٢٣. والمهمين: أي القائم على خلقه بأعمارهم وآجالهم وارتزاقهم.

(٢) الكليني، الكافي، ٦٤٥/٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٦٦/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢٠٠/٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٦٤/٢.

(٦) المصدر نفسه.

لقد أوجدت هذه النصوص الشرعية وأمثالها، رقابة ذاتية لدى الإنسان المسلم، وحافزاً داخلياً يحمله على التفاعل الإيجابي مع أبناء مجتمعه، وتجعله يستحضر المسؤولية المنوطة به تجاههم وتكون ثمرة هذا كله، أن تقوى أوامر المحبة والتسامح والنصح والإيثار وحسن العشرة وكف الأذى بين أفراد المجتمع، وهو ما يسند نظم المجتمع ويبرز معالم الانضباط فيه.

لم يركن الإسلام في ضبط السلوك وحفظ الأمن الاجتماعي إلى هذا المنهج على الرغم من أهمية أثره الإيجابي، إنما تعداه إلى إيجاد تشريعات يحتكم إليها أفراد المجتمع عن رضا وطيب نفس كونها ربانية المصدر، فقد نظم الإسلام العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم، وأوجد نظاماً تخص الأسرة الصغيرة والكبيرة، ونظم أمور المعاملات، ليقف كل فرد على ما له وما عليه، وهو منهج يتسم بالواقعية، ويسهم في ضبط الأمور في المجتمع.

دعت الحاجة - إضافة إلى ذلك كله- إلى وجود بعض الروادع تمثلت في تشريعات تتعلق بالعقوبات على أنواعها، تقوّم اعوجاج بعض الأفراد، وتردهم إلى الصواب، حماية لهم من شرور أنفسهم، وصيانة لأمن المجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، فهذه العقوبات رادع وقائي قبل ان تكون أثر عند وقوع الجريمة، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): من خاف القصاص كف عن ظم الناس)^(٢).

وفي ذلك مبدأ ثنائية المسؤولية الذي تضمن مسؤولية الفرد والسلطة عن تنفيذ القانون الإسلامي ومسؤوليتهما عن حمل الغير على تنفيذ القانون والخضوع له أيضاً، ومن جهة ثانية يتضمن مسؤوليتهما عن الخروج على احكام القانون الإسلامي

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٢) الكليني، الكافي، ٣٣١/٢.

مسؤولية دنيوية أمام القانون الإسلامي نفسه، ومسؤولية أخروية أمام الله تعالى، وكل ذلك يعود على مبدأ المشروعية بمزيد من الحماية ويعود على نظام الدولة القانونية بمزيد من خضوع السلطة والأفراد للقانون^(١).

وفي ضوء هذا العرض الذي تقدم، تظهر أهمية الأنظمة في المجتمع ومكانة الضبط الاجتماعي، باعتباره واحداً من أسس بناء المجتمع.

الأساس الرابع : الأرض

تعد الأرض واحدة من الأسس التي يبني عليها المجتمع، وبيان هذا: أن الله تعالى أنزل الإسلام بأحكامه وتشريعاته ليحكم في الأرض، ويطبق على أرض الواقع، يتمثله الناس في شؤون حياتهم من أجل تقديم نموذج حي ومثالي لمجتمع مسلم متميز.

لا يخفى أن هذه الغايات الكبرى تستدعي بعض العوامل المساعدة على تحقيقها، منها توفر حرية التصرف لدى الأفراد، والسلامة من التأثير الخارجي، ووجود مناخ مناسب لإقامة أحكام الله وتشريعاته، ثم وجود سلطة تملك صلاحية اتخاذ القرار وتنفيذه، ويتعذر توافر هذه العوامل أو يكاد إذا لم توجد بقعة من الأرض تجمع المسلمين، وتكون الكلمة فيها لهم.

تتضمن سيرة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، إشارات توضح هذا المعنى، فإن النبي ﷺ لما بعث في مكة وصار له أتباع، حرصوا على الالتفاف حول النبي ﷺ وتكوين تجمع خاص بهم، متميز في كثير من نواحي الحياة عن المجتمع الجاهلي الكبير الذي يعيشون فيه، فأمكنهم التميز في جوانب كالعبادات والأخلاق، وتعذر التميز في جوانب أخرى كالمعاملات العامة ولم يكن للإسلام يومئذ قانون نافذ، ولم يكن له قوة

(١) ظ: د. منير البياتي، الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي، ص ٤٩٠.

يستطيع بها تنفيذ تعاليمه، فكان الوازع الداخلي لدى المسلمين آنذاك، مغنياً عن القانون والسلطان^(١).

لقد بحث النبي ﷺ منذ وقت مبكر عن أرض يقيم بها، لينشئ مجتمعاً خاصاً، فقصده أهل الطائف فلم يجيبوه، ثم عرض دعوته على أهل المدينة، فاستجاب أهلها لدعوته، وفتحوا أبواب مدينتهم أمام الرسول ﷺ وجموع المسلمين من كل مكان، فكانت الهجرة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي على الإطلاق، لأنها هيأت الأرض ووفرت المناخ المناسب لإقامة مجتمع إسلامي مستقل و متميز، فبدأت معالم هذا المجتمع تبرز للعيان، وتتابع التشريعات في شتى المجالات بخاصة تلك التي تنظم العلاقات والمعاملات بين أفراد المجتمع الواحد.

لقد تضمن القرآن الكريم ربطاً بين إقامة الأحكام الشرعية وبين التمكين في الأرض حين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحَقَمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٢).

فقد سيقت الآية الكريمة في مقام الشكر لبيان أن التمكين في الأرض يقتضي شكر الله تعالى بإقامة أحكامه التي أمر بها بسبب زوال كثير من العوائق^(٣).

إذا فهم هذا، تبين العلة التي من أجلها شنع القرآن الكريم على أولئك الذين آثروا البقاء في أرض الكفر، ولم يهاجروا إلى أرض الإسلام للانضمام إلى المجتمع المسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

(١) ظ: الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٨٦.

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) ظ: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٢٨٠/١٧.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١).

فهذا الاستضعاف انما حل بهم بسبب ركونهم الى أرض الظالمين - لو كانوا
صادقين فيه - فكان بمقدورهم أن يغيروه بالخروج والمهاجرة الى أرض الإسلام، فكان
ان ويختهم و(كذبتهم الملائكة في دعوى الاستضعاف بأن الأرض أرض الله كانت
أوسع مما وقعوا فيه ولزموه، وكان يمكنهم أن يخرجوا من حومة الاستضعاف
بالمهاجرة، فهم لم يكونوا بمستضعفين حقيقة لوجود قدرتهم على الخروج من قيد
الاستضعاف، وإنما اختاروا هذا الحال بسوء اختيارهم)^(٢).

يمكن القول - في ضوء ما تقدم - : إن الأرض من أسس بناء المجتمع الإسلامي،
ويتعذر إقامة مجتمع واضح المعالم ما لم يكن للمسلمين أرض، لهم فيها القول
والفصل.



(١) سورة النساء، الآية ٩٧.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤٤/٥.



الفصل الرابع

سمات المجتمع الإسلامي



سمات المجتمع الإسلامي

تبين من المبحث السابق، أن للإسلام نظرتَه المستقلة للأسس التي تقوم عليها المجتمعات، وقد أدت هذه النظرة وما صاحبها من مواصفات لهذه الأسس، إلى تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بعدد من السمات جعلته بحق مجتمعاً فريداً لم تعرف البشرية مجتمعاً غيره جمع في ثناياه هذه السمات الحميدة، ليكون أنموذجاً يرتجى، ومثالاً يحتذى عند العقلاء من بني البشر.

لما كان يتعذر في هذا المقام أن نذكر سمات المجتمع الإسلامي جميعها، فإننا سنذكر منها ما له صلة بالموضوعات التي نعرض لها في هذا الكتاب، مرجئين التفصيل إلى همة القارئ في تتبعها، ومن هذه السمات:

السمة الأولى: أنه مجتمع ملتزم بالشرع:

نعني بهذه السمة، أن للمجتمع الإسلامي مرجعيته العليا . وهي الوحي بشقيه - الكتاب وسنة المعصوم- يصدر عنها المجتمع في كل تصرفاته، فهي التي تدير شؤون أفرادها وتحكم تصرفاتهم، وهذا من مقتضيات الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَمِينًا لِلَّهِ فِي خَلْفِهِ فَلَمَّا فُيِّضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتُهُ فَحَنُّ أَمْنَاءِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.... إلى أن قال: ونحن ورثة الأنبياء ونحن ورثة أولي العلم من الرسل....)^(٢). ومن ثم فمصدر العقيدة

(١) سورة النور، الآية ٥١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦٦/٣٢.

والشريعة الله تعالى الذي شرع للبشر ما يزكي أنفسهم ويسمو بأخلاقهم ويرتقي بها، ويوطد علاقات الناس بعضهم البعض بروابط العقيدة والأخوة الإنسانية، فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع ربّاني بخلاف المجتمعات الغربية التي ابتعدت عن أخلاقيات الشريعة وتعاليم الدين وركنت إلى شرائع وضعيّة لم تزدها إلاّ خسارةً وانحطاطاً في الأخلاق والقيم.

إن الالتزام والقيام بما تأمر به شريعة المجتمع، هو الجانب العملي في العقيدة، هو دليل قوة الاستمساك بالعقيدة، إذ العمل جزء من العقيدة مرتبط بها، يعلو بعلوها وينحط بانحطاطها، وهذا ما يجعلنا نشدد على أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على أساس العقيدة، وأن أثرها فيه تفوق كل أثر، وأنها أكبر ميزة تميزه عن غيره من المجتمعات.

إن هذا الالتزام والذي يجعل المجتمع الإسلامي متميزاً، يجعله كذلك عرضة للنقد والهجوم من قبل أعداء الإنسانية الطاهرة وهو ما ينبغي أن يتنبه له أفراد المجتمع الإسلامي.

السمة الثانية: أنه مجتمع جاد:

في المجتمع الإسلامي مظاهر عدة تشهد على أنه مجتمع جاد لا مكان فيه لصغائر الأمور وسفاسفها، ويمكن أن نعد الحرص على العلم النافع والسعي إلى العمل الصالح، أبرز مظهرين يتضح من خلالهما جدية هذا المجتمع.

١- المظهر الأول: العلم النافع:

إن العلم النافع هو كل علم يحقق مرضاة الله تعالى ويجلب النفع لعباده، فالمجتمع الإسلامي يرحب بهذا العلم ويهيئ المناخ المناسب له، لأنه الوسيلة الفاعلة لتحقيق مقاصد ثلاثة يحرص المجتمع عليها وهي:

١- تنمية العقل وبناءه بالمعلومات.

٢- اتقان العمل والمهن.

٣- تقوية الضمير وصلاح النفس.

إن المجتمع الإسلامي يرفض كل علم لا يكون وسيلة لتحقيق إحدى الغايات السامية للمجتمع، ويصنفه على أنه علم لا ينفع، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الفهم حين استعاذ ﷺ من هذا العلم، فكان يقول: (نعوذ بالله من علم لا ينفع)^(١)، وقال الإمام علي عليه السلام: (واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه)^(٢)، هذا النوع من العلم، يسعى المجتمع الإسلامي إلى محاصرته والتضييق على أهله أيًا كان الوعاء الذي يظهر فيه هذا العلم، لأن محصلته واحدة وهي الترويج للعبث وإضاعة الوقت، والتشكيك في الثوابت، وإثارة الشبهات، وهي أمور يجب أن يخلو المجتمع الإسلامي منها.

المظهر الثاني: العمل الصالح:

يتبع العلم النافع العمل الصالح إذ أنهما متلازمان، ولا يتصور انفصالهما، إذ لا يكون العمل صالحاً ما لم يبين على علم نافع، ولهذا قدّم الله تعالى الأمر بالعلم على الأمر بالعمل في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣)، ولا قيمة لعلم نافع، ما لم يتبعه عمل صالح، فقد نم الله تعالى هذا الانقسام النكد في قوله سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤).

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٣٢/٢.

(٢) نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ٤٠/٣.

(٣) سورة محمد، الآية ١٩.

(٤) سورة الصف، الآية ٣.

أنّ المجتمع الإسلامي هو مجتمعٌ مدرّكٌ لأهميّة العمل والإنتاج ودورها في نهضة الأمة وتقدّمها، لذلك ترى كلّ فردٍ في المجتمع الإسلامي يعمل بجد ويتعاون مع غيره في الأعمال التي تتطلب العمل الجماعيّ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١)، وبرزت في رؤية الإمام علي عليه السلام المساواة في التمكن من اسباب العيش والعمل والرفاه للإنسان بغض النظر عن أي انتماء او وصف اخر حيث كانت فكرته ان: (الناس في المعاش اسوة)^(٢).

إن مفهوم العمل الصالح، مرتبط بمفهوم العبادة كما يفهمها المجتمع الإسلامي، فدائرة العمل الصالح واسعة، فكل عمل يؤدي إلى مرضاة الله ويجلب النفع إلى البشرية، فهو عمل صالح يرحب به المجتمع الإسلامي، ويفتح له أبوابه ويشجع عليه أصحابه، وليس من طبيعة المجتمع الإسلامي تصنيف الأعمال إلى رفيع ووضيع، ولا التفرير من عمل قط ما دام صالحاً وتدعو الحاجة إليه^(٣)، في الوقت نفسه يضيق المجتمع الإسلامي على الأعمال العبيثية بكل أنواعها، لأنها مضيعة للوقت، مهذرة للجهد، مشغلة عن الجد، ولا مكان في مجتمع أنيطت به مهمة الخلافة في الأرض لمثل هذه الأعمال مهما حاول أهلها تزيينها للناس، ذلك أن المجتمع الإسلامي يقظ بكل أفراد.

السمة الثالثة: أنه مجتمع متسامح:

وأصل السماحة: السهولة في المخالطة والمعاشرة مع الآخرين وبكلام طيب ووجه بشوش وسلوكيات قابلة للمرونة والتلازم معهم، وهذا يُعد من الفضائل الأخلاقية المؤثرة إيجاباً في تعميق الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الإسلامي وغيره.

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) الليثي، عيون الحكم والمواعظ، ٢٦٩/١١٩.

(٣) ذكر الفقهاء أن أبناء المجتمع الإسلامي جميعاً يأتّمون إذا احتاج المجتمع إلى حجام ولم يجده.

إن السماحة صفة بارزة من صفات المجتمع الإسلامي، لأنها ظاهرة في ثنايا الإسلام كله، فالأحكام الشرعية مبنية عليها، فهذا قول الله تعالى ينطق بها: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١)، والله تعالى يصف رسوله ﷺ بالسماحة ويوجهه للمداومة عليها، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)، ويلخص هذا القول النبي ﷺ: (لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية ولكن بعثني بالحنيفة السهلة السمحة)^(٣).

تظهر السماحة في المجتمع الإسلامي جليلة في المواطن التي يظن فيها ظهور ضدها كالانفعال والمشادة والغضب والأناية، وذلك في حالات البيع والشراء والاختلاط في أماكن المنافع والاحتكاك في الطرق العامة، فإن أبناء المجتمع الإسلامي يمثلون قول النبي ﷺ: (غفر الله عز وجل لرجل كان من قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا قضى، سهلاً إذا اقتضى)^(٤)، فالسماحة بمفهومها الواسع، صفة مصاحبة لتصرفات أفراد المجتمع الإسلامي، فهم يعيدون عن الانفعالات، حذرون من المشاحنات، معرضون عن التجاوزات، وهذا ما تقتضيه الأخوة في الدين.

ولا يعني هذا أن السماحة محصورة بين المسلمين فيما بينهم، فقد أمر الله تعالى بها مع المخالفين في الدين، فأمر بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، وأذن سبحانه ببر المخالفين ما لم يكونوا محاربين، وأجاز المعاملات الدنيوية مع اليهود والنصارى، وهذه هي السماحة بعينها، وهذا غير الولاء الذي لا يكون إلا لله وفي الله. ولعل مثالنا هنا

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٣) الكليني، الكافي، ٤٩٤/٥.
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٤٥٠/١٧.

الأمر الإلهي لنبيين كريمين ان يقولوا لكافر متغطرس قولاً هادئاً في سياق دعوتهما له الى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)، فهذا الأمر يبيّن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الحق لا بد أن تكون مقرونة بالليونة واللفظ والتعامل من موقع المحبة والرحمة لا سيما مع الاشخاص المنحرفين بأمل أن يؤثر هذا السلوك الأخلاقي والإنساني في قلوبهم.

وليس يُعذّر المسلم بترك السماحة والإعراض عنها بحجة أن غيره لا يعنى بها أو بحجة كثرة الهموم وضغط العمل وسوء الأحوال، فإن الله تعالى وصف عباد الرحمن بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

وسيرة المعصوم عليه السلام حافلة بالأحداث التي تؤكد سماحته مع كل من تعامل معهم، فهذا الإمام الحسين عليه السلام يصف لنا رسول الله صلى الله عليه وآله مع جلسائه، فيقول عليه السلام: (كان صلى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مزاح، ولا مداح، يتعافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والاكثر، ومالا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عثراته ولا عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث وإذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المسألة والمنطق حتى أن كان

(١) سورة طه، الآية ٤٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

أصحابه ليستجلبونهم ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فإفدوه، ولا يقبل الشفاء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام^(١).

وكلما كان المجتمع إلى الإسلام أقرب ومتمتع بالصبر وبالحظ الوافر من الإيمان والتقوى والتوفيق كان باب السماحة فيه أوسع وأرحب، فيحسن بالمرء أن يجاهد نفسه لتصبح السماحة خلقاً لازماً له: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢).

السمة الرابعة: انه مجتمع قائم على العدل:

أنّ المجتمع الإسلامي مجتمعٌ يقوم على العدل في التعامل مع حقوق أبناءه، ويفسر الإمام علي عليه السلام العدل وسموه في الحياة عندما سئل ايهما افضل الجود ام العدل؟ اجاب الإمام عليه السلام: (العدل يضع الامور مواضعها، والجود يخرجها الى جهتها)^(٣). ويعلق المفكر (مرتضى المطهري) على هذا الجزء من رؤية الإمام فيقول: (ان معنى العدالة في نظر الإمام ان تلاحظ الحقوق الواقعية والطبيعية فيعطى لكل شخص ما يستحقه بحسب استعداده وعمله، وحينئذ يجد كل شخص مكانه في المجتمع، ويصبح المجتمع كمصنع جاهز منظم، اما الجود فهو وان كان معناه ان يهب الجواد ما يملكه بالمشروع - المجتمعي - للأخرين ولكن لا ينبغي الغفلة عن انه عمل غير طبيعي للمجتمع اذ احسن للمجتمع ان لا يوجد فيه عضو ناقص يستدعي سائر الاعضاء الى العون والمساعدة)^(٤).

(١) المجلسي، بحار الانوار، ١٦١/١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ٦٩٥.

(٤) في رحاب نهج البلاغة، ص ٨٢.

السمة الخامسة: انه مجتمع يدعو الى المساواة:

ان المجتمع الإسلامي يدعو الى المساواة، ولا يعرف التمييز بين البشر بناء على ألوانهم أو أعراقهم، فكلّ أفراد المجتمع الإسلامي هم سواسية لا تمييز بينهم، وقد جعل الإمام دستور سياسته في المساواة كلمة قصيرة الصياغة بعيدة الدلالة تهدف للإصلاح وإعادة بناء الإنسان فيقول عليه السلام: (الناس اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)^(١)، فشعار الإمام كان المساواة (بين جميع الناس وان تباينوا في الاديان واختلفوا في العناصر والالوان مساواة ميسرة قاصدة بغير تقصير سمحة بغير مغالاة، نسبية بغير اطلاق تتعايش في الممكن المتاح)^(٢).

ومن أول ما رفضه منهج الإمام التقسيم على أساس العرق او العنصر القومي مع انه شخصياً من أكرم الاصول، وفي ذلك ورد عنه قوله عليه السلام: (من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ... والذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه)^(٣). ويوجه كلامه للباحثين عن الجنس النقي وسلالات العوائل والاقوام فيقول عليه السلام: (اطهر الناس اعراقاً احسنهم اخلاقاً)^(٤)، بل ان مقياس الأفضلية في الناس يكون في خدمة الناس عامة، فيقول عليه السلام: (افضل الناس انفعهم للناس)^(٥).

السمة السادسة: انه مجتمع متكافل مترابط

أنّ المجتمع الإسلامي هو مجتمعٌ متكافل مترابط، فأفراد المجتمع الإسلامي يتكافلون فيما بينهم ويسعون لخدمة أنفسهم وقضاء حاجاتهم ملتزمين من وراء ذلك الأجر والثواب من الله تعالى، قال الإمام علي عليه السلام: (من كفارات الذنوب العظام

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٧.

(٢) د. نوري جعفر، فلسفة الحكم عند الإمام، ص ٧-٨.

(٣) نهج البلاغة، ٦/٤.

(٤) الليثي، عيون الحكم والمواعظ، ٢٦٩١/١١٩.

(٥) المصدر نفسه.

إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب^(١)، وإنّ هذا الترابط والتكافل بلا شكّ يعطي المجتمع الإسلامي القوّة والمنعة اتجاه المخطّطات التي تحاك ضده من قبل الأعداء فلا يستطيعون التسلل إليه لأنّ جميع الأفراد فيه على قلب رجلٍ واحد.

السمة السابعة: انه مجتمع تشيع بين أفرادهِ المحبة

أنّ المجتمع الإسلامي هو مجتمعٌ تشيعٌ بين أفرادهِ معاني المحبّة والمودّة والرّحمة، وهو مجتمعٌ لا يعرف الشّحناء والبغضاء والحسد وغير ذلك من آفات النّفس المدمّرة لوحدة المجتمعات وتماسكها. قال الرسول الأكرم ﷺ: (من مشى في عون أخيه ومنفَعته، فله ثواب المجاهدين في سبيل الله)^(٢).

وعن حسين بن نعيم الصّحّاف قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (أتحبّ إخوانك يا حسين؟ قلت: نعم، قال: تنفع فقراءهم؟ قلت: نعم، قال: أما إنه يحقّ عليك أن تحبّ من يحبّ الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً حتى تحبه. أتدعوهم إلى منزلك؟ قلت: نعم، ما أكل إلاّ ومعني منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر، فقال أبو عبدالله: أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم، فقلت: أطعمهم طعامي وأوطنهم رحلي ويكون فضلهم عليّ أعظم؟! قال: نعم، إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك)^(٣).

السمة الثامنة: انه مجتمع له خصوصيته (هويته):

أنّ المجتمع الإسلامي له هويته الخاصّة وثقافته المميّزة الذي يسعى للحفاظ عليها وتعريفها للعالم، وهو ليس بالمجتمع الذي يتبع أفرادهِ تقاليد وأعراف المجتمعات

(١) نهج البلاغة، ٧/٤.

(٢) الكليني، الكافي، ٤٦/٤.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠١/٢.

الأخرى. فميز الله تعالى المجتمع الإسلامي بهوية فريدة في مصادرها، وأصولها وفروعها، وكل متعلقاتها، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(١).

لأن التمسك بهذه الهوية وازدهارها يبعث على الفخر، والاعتزاز، والشموخ، والثقة بالنفس ولهذه الأهمية العظمى ان (أهتم أهل البيت عليهم السلام في موضوع تشخيص هوية الجماعة الصالحة وتحديد معالمها اهتماماً بالغاً، لما يشتمل على ذلك من آثار ونتائج مهمة تنعكس على السلوك العام للجماعة، وتوضح الأهداف لها ولمسيرتها وتضبط وتنظم محتوى ومضمون شعائرها)^(٢)، والمجتمع الذي ليس له هوية يتمسك بها، ويتميز بها هو مجتمع ضعيف البنية، حيران، وتائه الرؤية، يترنح تارة نحو الشرق، وتارة نحو الغرب.

السمة التاسعة: انه مجتمع يأخذ بأسباب القوة والمنعة:

أنّ المجتمع الإسلامي يُدركُ أسباب القوة فيأخذ بها، ومن تلك الأسباب الإعداد العلمي والمادي والبدني الذي يعز المجتمع الإسلامي ويُرهب أعداء الله والدين وبه (حفظ المجتمع من العدو الذي يهدده في نفسه وأعراضه وأمواله)^(٣)، ومن ثمّ فلا يكون مطمع للأمم الاستكبارية فيه، فالأخذ بأسباب القوة والمنعة مما ندب إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٤).



(١) سورة الزخرف، الآية ٤٣ - ٤٤.

(٢) محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ٢٣٩/١.

(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٠/٩.

(٤) سورة الانفال، الآية ٦٠.

الفصل الخامس

أسباب تقوية الروابط الاجتماعية
في المجتمع الإسلامي



أسباب تقوية الروابط الاجتماعية

في المجتمع الإسلامي

سبق الحديث عن الروابط الاجتماعية باعتبارها واحدة من الأسس التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي، وعلى هدي من هذا، حرص الشارع الحكيم على هذه الروابط بتعاهد الفراسة ومداومة الحراسة، حتى لا يخبو نورها، ولا يضعف أثرها، ذلك أنه على الرغم من أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يألف ويؤلف، ويحرص على لقاء الآخرين، ويغشى تجمعاتهم، إلا أن الإسلام لم يركن إلى هذا الدافع الذاتي وحده، لأن في الإنسان ضعفاً ينسيه وميلاً إلى شغل يلهيه.

يضاف إلى هذا تشريعات وأحكام تتصل بالواجبات الاجتماعية والأخلاق الفاضلة، كانت كلها أسباباً لتقوية الروابط الاجتماعية. وسوف نعرض في هذا المبحث إلى بعض هذه الأسباب، والتي منها:

أولاً: تشريع الإسلام للفرائض العبادية وأثرها في المجتمع الإسلامي

يُعد التشريع العبادي الدعامة الأساسية في بناء الإنسان في المجتمع الإسلامي، وهذا البناء إنما ترجمة عملية للبناء العقائدي، فالإنسان يعتقد أولاً ومن ثمة يؤدي الطقوس العبادية طبقاً لأوار معتقداته.

وسنقتصر في هذا المقام على الفرائض العبادية فقط، وعلى آثارها من دون التعرض إلى التفاصيل الفقهية؛ لأن ذلك ليس من صلب بحثنا، وإن العبادات التي سيكون البحث فيها هي العبادات ذات الارتباط الأزمني بفواصل زمنية متفاوتة (الصلاة والزكاة والصيام والحج) من دون العبادات الأخرى التي تفرضها الظروف والحاجة الموضوعية في واقع الإنسان.

والسبب في هذا أن العبادات ذات الارتباط الزماني المكلف بها الإنسان يحتاجها (في حركته التكاملية إلى الله **عجل**... ولذلك فإن الله تعالى يفرضها على الناس في كل الظروف، مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج، وهي التي نقصدها من (الرواتب)، وهي العبادات التي يحتاجها الإنسان لتكامله النفسي، والروحي، والعقلي، بغض النظر عن أية ظروف موضوعية وفي كل الظروف، وهي على أقسام حسب حاجة الإنسان إليها^(١).

١: آثار إقامة الصلاة على الفرد والمجتمع الإسلامي:

الصلاة أول فرائض الإسلام، وهي نهج متكامل في تربية الإنسان، تظهره ظاهراً وباطناً، وتروي فيه شجرة الفطرة الإنسانية بماء الوضوء، ونور الذكر وروعة التجرد لله تعالى، فكل ما تنتشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة وقوة وأدب في واقع ملموس، تراه في أصوات الساجدين المتبتلين والداعين والذاكرين والمتجهين لربهم.

فالصلاة غذاء روحي: إذ إن القلق النفسي يفتك بالمجتمعات البشرية في الوقت الحاضر، وهو يزداد ضراوة يوماً بعد يوم، نظراً لتعقد الحياة وتشابك المشاغل ويسلك طريقة إلى القلوب في سهولة ويسر؛ لأن الطرق أمامه معبدة عدا الطرق المؤدية إلى قلوب المؤمنين المقيمين الصلاة، إذ مداخلة أمام هذه القلوب مسدودة، لذلك فإن القلق لا يظفر بها، فإن تسرب منه شيء إليها، فإنه يذوب ويتلاشى أمام الإيمان المتولد من صلة الإنسان بربه في صلاته كل يوم^(٢)، وذلك أن الإنسان المؤمن ينظر إلى ما بعد هذه الحياة الدنيا، فيكون فكره وهمه به فقط، فلا يحزن ولا يغتم لما توجه به بكل جوارحه إلى معبوده الخالق، وهو بهذا يغذي روحه ويتفاعل مع الصلاة بحضور القلب، يقول أمير المؤمنين علي **عليه السلام**: (إن من أحب عباد الله إليه عبداً تخلى من

(١) محمد مهدي الأصفى، كيف نحافظ على مكاسب الحج؟، مجلة ميقات الحج، طهران، السنة ١٦، ذو الحجة، ١٤٣٠هـ، العدد ٣٢، ص ٩٩ .

(٢) ظ: نظام الدين عبد الحميد، العبادة وآثارها النفسية، مكتبة القدس، بغداد، ص ٥٥.

الهموم إلا هماً واحداً انفرد به^(١)، أي لا يكون له هم وحزن سوى ما كان لأمر الآخرة، فلا يمكنه إدراك أهمية الصلاة إلا بعد أن يعتقد بفساد الدنيا، وزوال نعيمها المادي، ويتيقن من بقاء الآخرة ودوامها، ثم يعلم بأن الصلاة هي أفضل وسيلة للحصول على ذلك الثواب والنعيم الدائم^(٢)، بما تغذيه في رح المصلي من إيمان وتوجه .

وإقامة الصلاة سبيل يؤهل القائمين بها أن يتآخوا في الدين ويتقرر لهم ما تفرضه الأخوة من حقوق وواجبات قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فنلاحظ أن المشركين بمجرد الإتيان بهذه الصلاة وإقامتها مع الركن الآخر، يكونوا إخوان المسلمين على الرغم من العداوة السابقة، فهذا (نص في أن أخوة الدين تثبت بهذين الركنين ولا تثبت بغيرهما من دونهما ... وهل يتعارف الأخوان في الدين إلا بإقامة الصلوات في المساجد وسائر المعاهد)^(٤)، فهي عنوان للأخوة في المجتمع الإسلامي.

كما عرض لها على أنها عنوان للتمسك بالكتاب وسبيل للحصول على أجر المصلين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٥) إلى غير ذلك من المواطن التي تقرر أن المقيم للصلاة كما أرادها الله والمتفاعل معها إنسان تتحقق فيه العناصر المكونة لشخصية الإنسان المؤمن، وإذا وجدت هذه الشخصية المؤمنة داخل المجتمع فإنها بالطبيعة تندفع نحو الخير والترابط

(١) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده: ١٥٢/١ .

(٢) عبد الحسين دستغيب، صلاة الخاشعين ، دار المعارف ، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣٥ .

(٣) سورة التوبة: الآية ١١ .

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ١٧٤/١٠ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٠ .

والتعاون، إذ الإيمان الذي تؤسس له الصلاة وتثبته يتعامل بأوامر الإسلام القاضية بلزوم أخوة من يتماثل معها في الدين والعقيدة .

إن الصلاة بمواعيدها المحددة وأسلوب أدائها المتميز بحركاته وأفعاله وأقواله، تدريب على حب النظام والالتزام به في جميع شؤون الحياة، كما يتيح الفرصة لنشأة أعراف سلوكية ذات شأن عظيم، بل أسلوب الدعوة إلى الصلاة، والذي نسميه الأذان يعطي صورة راشدة وكريمة للإعلام الإسلامي في أمثل ظواهره، وإذا تفاعل كل مسلم مع هذه الأمور حقق مثالية السلوك، إذ يمكنه أن يتعامل مع الأهداف الخاصة والمصلحة العامة بشكل مضبوط متزن لا يضيع معه هدف الفرد ولا تضيع معه مصلحة الجماعة.

وإذا عاش المجتمع بهذا الأسلوب من السهل أن يتحد أفراده ويتعاونوا في تحديد معالم الأهداف العامة ويحققها بالنظام والالتزام مع مراعاة الأهداف الخاصة، وذلك من خلال توعية راشدة ودعوة كريمة تطرح على الأفراد مراعيًا فيها ظروف المجتمع والأفراد سواء بسواء.

وأبرز مثال على هذه التربية يظهر عن طريق صلاة الجماعة التي ينبغي على المصلي أن يؤديها في صفوف مستقيمة وحركات منتظمة وبكيفية خاصة، فهو يعرف أنه إذا لم يستوف صلواته في صفوف منتظمة، فإن الله لا ينظر إليه، فهذا العمل العبادي للخالق سبحانه الذي يعلو شأنه شأن القائد الأعلى كما هو حال التنظيم العسكري.

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (فكما تنمي وترسخ روح الطاعة والارتباط في نفس الجندي خلال التدريب العسكري، بتوجيه أوامر إليه وتكليفه بأن يمتثلها

تعبداً، وبدون مناقشة، كذلك ينمي ويرسخ شعور الإنسان العابد بالارتباط بربه بتكليفه بأن يمارس هذه العبادات بجوانبها الغيبية انقياداً واستسلاماً^(١).

ونفس الثمار نقتطفها من صلاة الجمعة أيضاً ف(ما النهي عن البيع في وقتها إلا لتحقيق غرض أسمى وهو اجتماع المسلمين في عبادة جماعية تدرّ عليهم بنفع معنوي لا يُقدّر بثمن، بحيث لا قيمة لما يريحونه من أعمال تشغلهم عن هذا المكسب العظيم)^(٢).

ونلاحظ أثر الصلاة النفسي في واقع الإنسان وبناءه الاجتماعي أن يبدأ الإنسان (بالتأمل والتطهير الفردي، ويمتد ليشمل النزعة الجماعية التي تشيعها الصلاة في صلوات الجماعة والاجتماع لها في المساجد في الأيام العادية وفي المناسبات، مما يعمق المفهوم الاجتماعي لهذه الشعيرة الهامة من شعائر الإسلام)^(٣)، فليس بمجتمع مسلم ذلك الذي لا تحتل الصلاة من برامجه التعليمية والثقافية والإعلامية مكاناً يليق بأهميتها في دين الله، وفي حياة المسلمين.

ونلاحظ أن السنة الشريفة توضح أثر الصلاة على الإنسان، فالقرب منه سبحانه يبعد عن الفحشاء والمنكر، والعكس صحيح أيضاً، فالإنسان القريب من الفحشاء والمنكر بالتالي هو بعيد عن الله تعالى، وأن صلاته شكل لا مضمون فيها، يقول النبي ﷺ: (من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً)^(٤)،

(١) نظرة عامة في العبادات، ص ٥٣ .

(٢) لجنة التأليف، دليل الحياة في القرآن الكريم، ص ٧٢.

(٣) د. احمد محمد فارس، النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٦٤.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٨/٧٩ .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل ؟ فلينظر هل منعتة صلاته عن الفحشاء والمنكر وبقدر ما منعته قبلت منه)^(١).

٢: اثر فريضة الزكاة في المجتمع الإسلامي^(٢):

جاءت كثير من النصوص والآثار التي تبين فضائل هذه العبادة الجليلة على بناء المجتمع الإسلامي، والتي منها:

١- إن الزكاة طهارة للمجتمع كـلّه: أغنيائه وفقرائه، من عوامل التفرقة والصراع والفتن والهدم، ولهذا قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣).

فالزكاة تطهر الفرد من تلك الرذائل الأخلاقية والنفسية، وكذلك تطهر المجتمع من التلوث الذي يتولد نتيجة الفقر والتفاوت الطبقي الذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة من الامتيازات، وعليه سيقوى التكافل الاجتماعي في دفع الزكاة، وتنمو وتتطور عجلة الاقتصاد في ظل هذه الفريضة. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو أنّ الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولأستغنى بما فرض الله له، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء)^(٤).

٢- الزكاة تساعد على تربية النفس عن طريق الشعور بآلام الآخرين، والإحسان إليهم والسعي في إيصال الخير إليهم، ودفع النكبات والآفات عنهم.

٣- تساعد الزكاة على توفير محبة الفقراء للأغنياء، لأن الأنفاق يستدعي حبههم، مما يؤدي إلى الدعاء لهم بالخير والتوسعة، فيصير الدعاء سبباً لبقاء الإنسان في

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٠٤/١٦ .

(٢) ننظر الى مقام عبادة فريضة الزكاة هنا بآثارها النفسية على المسلم، وسيتم القول عنها لاحقاً في مقام التكافل الاجتماعي، ص ١٢١ من هذا الكتاب.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٣ .

(٤) الصدوق، من لا يحضره الفقيه ، ٧/٢ .

النعمة، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله) (١) .

٤- الزكاة سبب من أسباب حصول الألفة والمودة بين المسلمين، وزوال الحقد والحسد الذي يسببه الفقر والتفاوت الطبقي في المجتمع، وبها يحافظ على هوية المسلم من الترهل والانحدار، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله عجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلاّ بأدائها وهي الزكاة، بها حقنوا دماءهم، وبها سُموا مسلمين ...) (٢) .

٥- الزكاة رافعة للبلاء عن المجتمع الإسلامي، يقول الرسول صلى الله عليه وآله: (إذا مُنعت الزكاة منعت الأرض بركاتها) (٣)، ويقول أيضاً صلى الله عليه وآله: (لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانة وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين) (٤).

فالإنسان بفضل الزكاة يكون بمنجى من البؤس والحزن والهوان، وكانت الحياة كريمة على كل فرد في المجتمع، وكانت الزكاة حلاً يخفف من الأحقاد ويلطف من حدة الصراع ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين، والتاريخ يشهد أن المجتمع الإسلامي عن طريق الزكاة قد نجح في تحقيق السلام بين الطبقات، وتحقيق الكفاية للمحتاجين، وانعدمت صور الفقر والمسكنة في كثير من البلاد.

ففي عهد خلافة الإمام علي عليه السلام رأى عليه السلام رجلاً شيخاً كبيراً أعمى يستجدي الناس، فقال عليه السلام: (ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال) (٥)، فنلاحظ أن

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٧/٢ .

(٢) الكليني، الكافي، ٤٩٨/٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٠٥/٣ .

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٤/٩٣ .

(٥) الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، ٦٦/١٥ .

الإمام علي عليه السلام قال: ما هذا؟، ولم يقل: من هذا؟ فالسؤال كان عن وجود تسوّل في مدينة الكوفة مع أنها كانت تضم أربعة ملايين نسمة يومذاك .

٣: اثر فريضة الصيام في المجتمع الإسلامي:

أن الهدف من الصوم ليس الحرمان من الطعام والشراب وحسب، بل تكمن وراء ذلك حكمة سامية هي غرس مبدأ المراقبة الداخلية والصبر والعزيمة، وبهذه الصفات العالية يتصدى الصائم لجميع حوادث الدهر وعقباته، ويعدّه إعداداً نفسياً لتقوى الله سبحانه فيترى على ترك المحرمات والنهوض بالطاعات والثبات على العبادة، فالمراقبة والخوف من الله تعالى يخلق في نفس الصائم وازعاً دينياً يمنع التفكير في الجرائم والشور، لأنه يمنع من داخل نفسه، ولذلك يفعل الوازع ما لا تفعله القوة والسلطان لأنه يغرس المراقبة الذاتية في نفس الإنسان ليقينه بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١) .

فنلاحظ أن الإنسان الصائم ينفرد بالطعام والشراب وهو جائع لا يمنعه منه إلا إيمانه العميق ووازعه الذاتي المبني على الإخلاص العبادي، لذا يجب أن يكون الشعور بالرقابة شعوراً فردياً شخصياً داخلياً من الإنسان نفسه، وبعيداً عن أي رادع أو وازع خارجي، فرقابة الإنسان الداخلية على نفسه هي التي تبني مساره في الحياة، وأن هذا الشعور بالرقابة الداخلية مما لا يمكن أن تبلغ إليه أي رقابة خارجية أخرى لسلطان أو قانون، يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (إن الضمانات الموضوعية لها دور كبير في السيطرة على سلوك الأفراد وضبطه، فإنها لا تكفي في أحيان كثيرة بمفردها ما لم يكن إلى جانبها ضمان ذاتي، ينبثق عن الشعور الداخلي للإنسان بالمسؤولية؛ لأن الرقابة الموضوعية للفرد مهما كانت دقيقة وشاملة لا يمكن عادة أن تضمن الإحاطة بكل شيء واستيعاب كل واقعة)^(٢).

(١) سورة غافر، الآية ١٩ .

(٢) نظرة عامة في العبادات، ص ٤٤ .

فالقراءة الداخلية النابعة من هذه العبادة لها دور مهم في بناء الإنسان خارجياً، إذ سرعان ما تتعكس على ظاهره، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، فدلالة هذه الآية الكريمة على أن التغيير الداخلي للإنسان يسهم بدور كبير في تغيير بناء الأمة، ومن الخطأ بين الناس أن التغيير والإصلاح إنما يحدث ويبدأ من المجتمع نحو الأفراد، بل إن عملية البناء والتغيير إنما تحدث من الأفراد أنفسهم متجهة نحو الآخرين، وبتظافر الجهود الفردية واجتماعها تحدث عملية البناء والتغيير الاجتماعي للأمة، وبالتالي متى ما يحدث التغيير الداخلي يحدث التغيير الخارجي، فإن كان خيراً فخير أو شراً فشر^(٢). وكذلك ما نلاحظه في قول الرسول ﷺ: (من أصلح باطنه أصلح الله ظاهره)^(٣).

ومن مظاهر حكمة زكاة الفطرة ومشروعيتها بناء الإنسان على إسعاد أخيه المحتاج، وذلك أن (من حكمة إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد أن الناس تمتنع عن الكسب في العيد، ولا يجد الفقير من يستعمله، لأنها أيام سرور وراحة عقب الصوم، فيأتيه من زكاة الفطر غالباً كفايته)^(٤).

ومن ثمّ فهو سبحانه يبني الإنسان وفق منهج متكامل الأبعاد من خلال فريضة عبادة الصيام فهي مدرسة روحية وخلقية واجتماعية وصحية يتزود منها الإنسان الصائم ما يحتاجه في حياته كلها، وفي كل شؤونه ومسؤولياته نحو نفسه، ونحو خالقه ونحو أسرته فهو بناء متكامل.

(١) سورة الرعد، الآية ١١ .

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٥/٦، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/٩ .

(٣) الكليني، الكافي، ٣٠٧/٨ .

(٤) محي الدين مستو، عبادات الإسلام فقهها وأسرارها، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١١ هـ،

٤: اثر فريضة الحج في بعدها الاجتماعي: في موسم الحج تُصقل الخبرات الاجتماعية عند المسلمين، ويساعد على ذلك هذا التوحد المنتظم في المكان والزمان والشروط، فيتعلم المسلمون الوافدون من أنحاء الأرض العادات والتقاليد الاجتماعية التي تؤدي حتماً إلى تقارب وجهات النظر الفردية والجماعية، وعندما نستعرض آيات الحج في القرآن الكريم منذ أن رفع الخليل إبراهيم عليه السلام القواعد من البيت، نجد اهتماماً كبيراً بحضور الناس في هذا البيت وفي هذا الموسم ، وأبلغ ما في ذلك تعبير القرآن عن بيت الله تعالى بأنه بيت الناس: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(١)، فأول خصيصة ذكرها لهذا البيت هي الشمول إذ (وضعه الله للناس ولم يجعله لفئة دون فئة، لأنه وضع لعبادة الله التي لا يختص بها أحد، فلا معنى لاختصاصه بأحد معين، وقد نستوحي منه ان لا تشير المساجد لتكون لعائلة معينة أو لجماعة معينة، بحيث تُمنع منها بقية العائلات أو الجماعات؛ لان المسجد لم يوضع ليتحدد، بل ليكون شاملاً لكل الناس تبعاً لشمولية دوره في أن يكون محلاً لعبادة الله رب العالمين)^(٢).

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام نجد أنه عليه السلام عندما أودع أهله وذريته بهذا الوادي القاحل غير ذي زرع، دعا الله تعالى أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٣)، فنلاحظ رقة التعبير في (تصور القلوب رفاة مجنحة، وهي تهوى إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب، إنه تعبير نديّ يندّي الجذب برقة القلوب...)^(٤).

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٦ .

(٢) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٦٢/٦ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٣٧ .

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢١١٠/٤ .

ومن ثم يتحقق البُعد الاجتماعي لهذا التجمع الأكبر للناس فيكون (الحج وسيلة لتعاون الشعوب الإسلامية واتصالها ببعضها، فالمسلمون على تباعد أقطارهم، وتناهي ديارهم وتشتتهم في جميع أنحاء الأرض، هياً الله - تعالى - لهم مؤتمراً دينياً عاماً يجتمعون فيه، فيقع بينهم أولاً التعارف الذي دعا إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، ثم بعد ذلك التعارف يقع التحدث عن حالة كل شعب من شعوب الإسلام، والبحث في تحسينها، والنهوض بها أعلى مراتب الكمال، وتبسط آمال كل شعب وآلامه، وتوضع البرامج لتحقيقها، ويكون كل شعب مهيناً لإعانة بقية الشعوب بما في طوقه وبما يقدر عليه)^(٢).

وفي البناء الاجتماعي للحج يُبنى البُعد النفسي من خلاله أيضاً، إذ إن الإنسان غير قادر ان يتجاوز الأنا وان يتحرر من الهوى والشهوات والرغبات عن طريق الاعتزال عن الناس من غير الدخول في الحياة الاجتماعية المتمثلة صورتها في الأفتدة المجتمعة في موسم الحج .

ومما يلفت النظر في الحج المساواة، حيث نرى فيه أعلى صورة وأتمها، فالجميع قد اطرّحوا الملابس والأزياء المزخرفة، و(لبسوا جميعاً ذلك اللباس البسيط الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى، يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير)^(٣)، ولا تقف المساواة عند هذا الحد، بل تتعداه إلى جميع مناسك الحج. والحج إجمالاً كله دروس عملية في المساواة، ومن هذه الدروس ما وجهه النبي الخاتم ﷺ إلى أمته في خطبته الجامعة المانعة، يوم أن خطب الناس في موسم الحج في حجة البلاغ -

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

(٢) د. محمد بن موسى الشريف، المقالات النفسية في الحج، دار الأندلس، جدة، ٢٠٠٠م، ص ٤٢٠ .

(٣) ظ: د. أحمد محمد برج، أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي، ص ٢٥٥ .

الوداع -، فقال ﷺ: (يا أيها الناس، إن ريكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ) (١).

واللافت للنظر هنا أيضاً تنكير المنافع في الآية، وهذا التنكير لجليل مقامها وكبر خطرهما، وهذه المنافع مما لا نلاحظها في عبادة غير عبادة الحج، يقول الرازي: (إنما أنكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات) (٢).

فالمراد إذن من هذه المنافع الدنيوية والأخرية معاً، وذلك لإطلاق لفظ منافع من غير تقييد، والمنافع الدنيوية (هي التي تتقدم بها حياة الإنسان الاجتماعية ويصفوا بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير ... ومنافع أخروية وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحج بما له من المناسك يتضمن أنواع العبادات من التوجه إلى الله...) (٣).

ثانياً: تشريع الإسلام للواجبات الاجتماعية الخاصة

عمل الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية بتشريع العديد من الواجبات الخاصة في دائرة الإنسان المحيطة به مباشرة، ومن ذلك ما يلي:

١: بر الوالدين وطاعتهما:

جعل الإسلام برَّ الوالدين قولاً وفعلاً وخاصة الأم لضعفها ووفرة عاطفتها - فرض عين على كل ابن وابنة؛ لأن الأبوين سبب في وجود الولد، فقد تحملا العبء

(١) احمد، مسند احمد، ٤١١/٥، ظ: المجلسي، بحار الأنوار، ٣/٣٥٠.

(٢) مفاتيح الغيب، ٢٣ / ٢٦.

(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٦/١٤ - ٣١٧.

الكبير والشيء الكثير في رعايته وتربيته، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١).

ولم تشترط الآية الكريمة في بر الوالدين ان يكونا مسلمين، بل جعلت برهما مطلقاً من غير قيد أو شرط سوى ما أمرا به من معصية الله سبحانه، وما خلا ذلك وان كانا غير ملتزمين بتعاليم الإسلام في نفسيهما كان برهما أيضاً واجبا، وفي ذلك يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين)^(٢).

بل وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن فعل المباح ينقلب إلى واجب إذا أمر به أحد الوالدين أو كلاهما، وأنه لا يجوز للابن أن يسافر في مباح إلا بإذن والديه^(٣).

والأصل في هذا، ان أتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل تكن حياً عند الله ترزق وإن تمت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ففر مع والديك فو الذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة)^(٤).

(١) سورة الاسراء، الآية ٢٣-٢٤.
(٢) الكليني، الكافي، ١٦٢/٢.
(٣) ظ: الغزالي، إحياء علوم الدين ٢ / ٢١٨.
(٤) الكليني، الكافي، ١٦٠/٢.

بل ان المشرع الإسلامي لم يكتفي ببر الوالدين في حياتهما حتى ندب الى برهما بعد موتهما، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية عدم قطع الصلة بهما، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً)^(١).

وهكذا يكون بر الوالدين والإحسان إليهما من أسباب الترابط في بيئة الإنسان الخاصة المحيطة به، وهو لا تزال آثاره مشهودة في المجتمع الإسلامي، وهو جزء من دين الإنسان المسلم وواجب يأثم تاركه ويُشكر بالإحسان فاعله^(٢)، بينما تفتقدها المجتمعات الغربية كما هو مشاهد، حيث يهجر الأبناء آباءهم ولا يسألون عنهم، وربما مرت الشهور وهم لا يعرفون شيئاً عن أخبارهم وأحوالهم، وما إذا كانوا في مرض أو عجز أو حاجة إلى إعانة.

٢: صلة الأرحام والإحسان إليهم:

الأرحام هم: أقارب الإنسان من جهة أبيه أو أمه (أصوله)، كأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأبنائهم جميعاً (فروع أصوله)، وفروع كل أصل الى ما نزلوا فيشمل الاخوة والأخوات وأولادهم^(٣). وقد أوجب الله تعالى برّهم وحبّهم والتعاطف معهم، ودعا إلى صلتهم بالكلمة الطيبة والهدايا، وإمدادهم بأنواع الخير والمعروف، ومواساتهم في كُرباتهم، كما حرّم إيذاءهم ونهى عن مجافاتهم ولو كانوا غير مسلمين، قال الله تعالى:

(١) الكليني، الكافي، ١٦٣/٢.

(٢) ظ: الفصل الرابع، حقوق الآباء، ص ٢٩٩ من هذا الكتاب.

(٣) ظ: علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الأصول، ص ٥٣٥.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(١).

إن صلة الأرحام تعود على فاعلها بالخير العميم في المال والعمر والعافية في الدين والدنيا، وهذا ما أكدته سنة المعصوم عليه السلام، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (صلة الأرحام تزكي الأعمال وتتمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسى في الاجل)^(٢).

وفي المقابل نجد أن قطيعة الرحم شؤم على صاحبها، فهي تبعده عن رحمة الله تعالى، وتحرمه من نعيم الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشريف: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)^(٣).

وإذا كانت صلة الأرحام على هذه الشاكلة الحميدة والمنافع العديدة، فهي تعتبر بحق سبباً من أسباب التآلف والترابط الاجتماعي التي عني بها الإسلام وأولها رعايته واهتمامه.

٣: الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذائهم:

الجيران هم: من يساكنوننا في الحي، ولو كانوا على بُعد أربعين داراً كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله)^(٤)، وكما أن الجار يكون في السكن فقد يكون في العمل.

(١) سورة محمد، الآية ٢٢-٢٣.

(٢) الكليني، الكافي، ١٥٠/٢.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٩٠/٧١.

(٤) الكليني، الكافي، ١٦٩/٢.

والجيران على ثلاث درجات كما تدل عليه النصوص الشرعية العامة: جار له حق واحد، وهو الجار الكافر، له حق الجوار، وجار له حقان، وهو الجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم ذو الرحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

وقد دعا الإسلام إلى إكرام الجار في سبيل زيادة التآلف الاجتماعي، وأوجب له حقوقاً كثيرة، ومن ذلك: الابتداء بالسلام، وإظهار السرور معه، وغيض البصر عن حرماته، والتلطف مع أولاده، وحفظه في غيبته، والصبر عليه، وستر زلاته وما انكشف من عوراته، ومشاركته أفراحه، ومواساته في مصيبتيه، ودلالته على الخير والمعروف، وبذل ذلك له^(١). والأصل في هذه الحقوق حديث الإمام الصادق عليه السلام قال: (قرأت في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه، - الحديث مختصر -)^(٢).

ولعل هذه المعاني تشمل تعاون الجيران فيما بينهم على رعاية الحي الذي يسكنون فيه، والارتقاء به، وتنمية مرافقه، بما يعود عليهم وعلى حيهم بالخير.

وفي المقابل من ذلك، حرّم الإسلام إيذاء الجار، ومنع من التعدي على حقوقه، أو الاستعلاء على داره بزيادة البنیان؛ مخافة الاطلاع على عوراته، أو حجب الهواء أو نور الشمس عن مسكنه، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (المؤمن من آمن جاره بوائقه، قلت: وما بوائقه؟ قال: ظلمه وغشمه)^(٣).

(١) ظ: الغزالي، الإحياء علوم الدين، ٢ / ٢١٣.

(٢) الكليني، الكافي، ٦٦٦/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦٦٨/٢.

بل وذهبت تعاليم الإسلام في الحفاظ على الترابط الاجتماعي الى الصبر على أدى الجار وعدم المقابلة بالمثل في الاساءة، وهذا ما نلحظه في الحديث الشريف: (ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى)^(١).

هذه نماذج وصور من الواجبات الاجتماعية تجاه الجيران، فإذا قام كل إنسان بحقوق جيرانه، أصبح أفراد المجتمع جميعاً متحابين متعاضدين؛ لأنهم جميعاً جيران، سواء في السكن أو في العمل والأسواق أو في المزارع.

ثالثاً: دعوة الإسلام إلى أسباب التآلف الاجتماعي العام تقوية للروابط الاجتماعية:

يحتاج الإنسان في أي عصر من العصور، إلى أن يعيش حياته الاجتماعية العامة في وفاق وتآلف وتعاون مع الآخرين، وقد حرصت سنة المعصوم عليه السلام على تحقيق هذا المعنى وتطبيقه عملياً ولا سيما سيد آل البيت عليهم السلام النبي الأكرم صلوات الله عليه منذ أول هجرته إلى المدينة، وذلك من خلال مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

ثم توالى تعاليم الإسلام تسقي شجرة هذه المؤاخاة وتغذيها بأسباب التآلف الاجتماعي، التي انقلبت إلى حقوق ثابتة للمسلم على أخيه المسلم، لا يسعه التساهل فيها أو تركها، ومن ذلك ما يلي:

١: إنشاء السلام:

معناه: نشره وتعميمه على الناس بالصيغة المأثورة: (السلام عليكم) لا بغيرها من الصيغ الوافدة كقول: "صباح الخير" أو "مرحبا" أو تحريك الرأس أو العينين، أو نحو ذلك مما فيه هجر للتوجيهات والشعائر الإسلامية، ولا يمنع من ذكر هذه الألفاظ ونحوها بعد السلام.

(١) الكليني، الكافي، ٦٦٧/٢.

وهذه الشعيرة مما يحبها الله سبحانه وسبب في استحصال رضوانه، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله عز وجل يحب إفشاء السلام)^(١).

والبدء بالسلام سنة من سنن الإسلام، والحكمة منه: بذل الأمان للمسلم عليه، وهو وسيلة ممهّدة لتعارف الناس بعضهم على بعض.

وقد أكد الإسلام على ابتداء الآخرين بالسلام ومصافحتهم إن أمكن ذلك؛ لما فيه من تعميق معاني المودة والتآلف، والفوز بمغفرة الله تعالى، ففي الحديث الشريف: (أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام)^(٢).

ومن أحكام السلام وآدابه: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير)^(٣). وأن يكون باللفظ لا باليد والأصابع فقط؛ احتراماً للآخرين وتقديراً لهم. ومنها: بذله عند مفارقة الآخرين، إشعاراً لهم بالذهاب، واحتراماً لهم، ودلالة على استمرار حسن العلاقة، وفي الحديث: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة)^(٤).

أما رد السلام: فهو واجب ديني باتفاق الفقهاء، يأثم تاركه ويحاسب عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٥). قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (السلام تطوع والرد فريضة)^(٦).

(١) الكليني، الكافي، ٦٤٥/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٦٤٤/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦٤٥/٢.

(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢٣٠/٢.

(٥) سورة النساء الآية ٨٦.

(٦) الكليني، الكافي، ٦٤٤/٢.

وفضلاً عن هذا، فإن عدم المبالاة برد السلام، سلوك اجتماعي شاذ، بل محرّم وهو يدل على اضطراب في المزاج وجفاء في الطبع، ومن أجل تلافي ذلك، شرع الإسلام إفشاء السلام وأوجب رده؛ لما فيه من تقوية للتآلف الاجتماعي العام ونشر للمودة بين الناس.

٢: توقيير الكبار والعطف على الصغار:

ليس من دين ولا نظام حث على توقيير الكبار، ورحمة الصغار، كما فعل الإسلام، فقد عدّ هذا طاعة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، ففي حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا)^(١).

فكان سنة النبي صلى الله عليه وآله تدعو الى التلطف بالصغار؛ لما في ذلك من إدخال السرور عليهم، وتقوية تآلفهم الاجتماعي، فكان الحث على رحمتهم لما كان من شيمهم الخطأ، فقال صلى الله عليه وآله: (من لا يرحم لا يُرحم)^(٢).

٣: أسباب أخرى تقوي التآلف الاجتماعي:

شرع الإسلام العديد من الأسباب الأخرى في التآلف الاجتماعي، وجعلها من الحقوق الثابتة للمسلم على المسلم، بحيث لا يسعه تركها من غير عذر، ومن ذلك: الدعاء له، وإجابة دعوته، وتبادل الزيارة معه، وتشميته إذا عطس، وعيادته إذا مرض، وبرّ قسمه، وستر عثراته، والصفح عنه، وإسداء النصيحة له، وإيثاره على النفس، وصدقه في الحديث، والذب عنه في غيبته، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن يكون قلبك سليماً عليه، وأن تشهد جنازته إذا مات. والأصل في هذا حديث معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له: (ما حق المسلم على المسلم؟

(١) الكليني، الكافي، ١٦٥/٢.

(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٨٠/٤.

قال له ﷺ سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب، قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل، قال: قلت له: لا قوة إلا بالله، قال ﷺ: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظماً ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه، والحق السابع أن تبر قسمه وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك^(١).

ومن أسباب التآلف الاجتماعي التي شرعها الإسلام: التزاور فيما بين الجيران والأصدقاء، وكفالة اليتيم، والإحسان إلى الأرملة والمسكين... إلخ. والأصل في هذا كله قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢).

رابعاً : دعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة تقوية للروابط الاجتماعية:

اهتم الإسلام بالأخلاق اهتماماً فاق كل تصوّر، وقد بلغ من عنايته بها أن جعل تحقيقها من غايات البعثة النبوية: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣). وفي هذا الحديث إشارة بيّنة إلى أن مكارم الأخلاق من الأمور المكتسبة غالباً لا الجبليّة المحضة، وهي أيضاً من أهداف دعوة النبيين أجمعين، بل لقد كثرت توصيات

(١) الكليني، الكافي، ١٦٩/٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٢١٠/١٦.

الرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام بها في كل زمان ومكان حتى قال رسول الله ﷺ: (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق)^(١).

هذا، وليس الخلق المطلوب في الإسلام مجرد معرفة أن الصدق فضيلة، والكذب رذيلة، وأن الإخلاص سمو، والخداع انحطاط، ولا مجرد الحديث فيما بين الناس عن ذلك، إنما الخلق هو تفاعل النفس وتأثرها بما ينبغي أن تكون عليه، وتتصف به من مكارم الأخلاق ابتغاء رضوان الله تعالى، وما ينبغي أن تهجره وتتركه من ذميمها وفاسدها ابتغاء رضوان الله أيضاً؛ فالإيمان غايته ما يظهر من الأخلاق الحسنة على جوارح الإنسان في تعامله مع الآخرين، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)^(٢)، لأن إصلاح الباطن حقيقة هو أساس لكل إصلاح ظاهري، وإن الأخلاق الكريمة هي الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ومن أجله، لا من أجل الأعراف والعادات والأنظمة.

فالأخلاق الحسنة في التعامل مع الناس أمر ليس بالهين أو المستساغ بسهولة التطبيق، بل يحتاج إلى مجادة في تحقيقها على الواقع العملي، ولهذا قرنت في أهميتها وخطورتها وثوابها بالمجاهد تحت وطأ السنان والحراب، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى يُعطي العبد من الثواب على حُسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه ويروح)^(٣).

• أصناف الأخلاق:

صنف بعض الباحثين المعاصرين الأخلاق في خمسة أقسام على النحو الآتي^(٤):

١. الأخلاق الفردية: كالصبر، والعفة، وضبط النفس...

(١) الكليني، الكافي، ٩٩/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٩٩/٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٠٤/٢.

(٤) ظ: د. عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٨٩.

٢. الأخلاق الأسرية: كبرّ الوالدين، والإحسان للزوجة، وصلة الأرحام...
 ٣. الأخلاق الاجتماعية: كإفشاء السلام، وعيادة المريض، والوفاء بالعهد، والإصلاح بين المتخاصمين، وإماطة الأذى عن الطريق...
 ٤. الأخلاق المتصلة بحق الله تعالى: كالصدق مع الله تعالى، والقيام بحقوقه، وشكره على نعمه، ومناصرة دينه، وحسن التوكل عليه...
 ٥. أخلاق الدولة: كالرفق بالرعية، والعمل بالشورى، وحماية النفوس والأعراض والأموال، وتحريّ المصالح العامة، والوفاء بالمعاهدات.
- هذا، ومن المكارم الأخلاقية المهمة التي دعا إليها الإسلام ما يلي:

١ : **الصدق**: هو التزام الحقيقة دائماً، ظاهراً وباطناً، في الأقوال والأفعال، وهو جزء رئيس في بناء أي علاقة اجتماعية، وهو أهم من ذات الحديث ومقدم عليه، فجمال الحديث بصدقه لا بغيره، قال الإمام الصادق عليه السلام: **(تعلموا الصدق قبل الحديث)**^(١).

والصدق منار يهدي للرشد والصلاح في الدارين، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين فإذا صدق قال الله عز وجل: صدق وبر، وإذا كذب قال الله عز وجل: كذب وفجر)^(٢).

ولا يخفى أن للصدق مظاهر يتجلى فيها، ومن ذلك: الصدق في المعاملة، والعمل، والحديث، والوعد، وردّ الأمانة، وعليه ترشدنا سنة المعصوم الى تقييم الناس ومعرفة مقامهم يكون مقرون بصدقهم في القول وحفظهم للأمانة بكل مصاديقها، وهذا واضح جلي في قول الإمام الصادق عليه السلام، إذ قال: (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل

(١) الكليني، الكافي، ١٠١/٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٤/٢.

وسجوده، فإن ذلك شئ اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته^(١).

ومنها أيضاً: صدق الحال والسريرة مع الناس، قال النبي ﷺ: (مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمَ بِوَجْهِينَ وَلِسَانَيْنِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ)^(٢). وهذا ما يسمى اليوم: النفاق الاجتماعي، وهو من أخطر الأمور على مسيرة أي مجتمع ونهضته.

إن للصدق ثمرات يسعد بها الفرد والمجتمع، ومن ذلك راحة النفس ومنها حصول البركة ومنها الفوز برضوان الله ودخول جنته، ومنها استقرار التعامل بين الناس، وكسب ثقتهم، ونحوها مما يزيد في تقوية الروابط الاجتماعية.

٢: الحياء: وهو: انقباض النفس من شيء، وهو نوعان: نفساني خلقه الله في عامة الناس، كالحياء من كشف العورة، وإيمان يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى^(٣).

والحياء غير الخجل المذموم الذي هو ضعف في النفس والشعور بالحرَج والاضطراب عند مواجهة للناس عموماً، وعلى هذا فهو يختلف عن الحياء الذي هو شعور بالانقباض والحرَج عن فعل ما يشين أو ذكره، وعلى هذا فالحياء محمود والخجل مذموم.

وقد عدَّ الرسول ﷺ: (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة)^(٤). والإيمان كله خير، وهو قوام حياة الإنسان السوي؛ ويبعث على الفضائل والخيرات، ويصرف عن المعاصي والمنكرات، سواء فيما يتعلق بحقوق الله تعالى أو بحقوق الناس، وكذلك

(١) الكليني، الكافي، ١٠٥/٢.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٢١٨/٧.

(٣) ظ: الجرجاني، التعريفات، ص ٨٤.

(٤) الكليني، الكافي، ١٠٦/٢.

الحياء الذي هو فرع منه، كلُّه خير، فإذا تخلَّق به المرء، أحبه الله وكتب له المحبة عند الناس.

وإنه كما يستحيي الإنسان من الخلق، ينبغي أن يستحيي من الخالق، بل إن الله تعالى أحق أن يُستحيا منه: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾^(١).

أما نقيض الحياء: فهو الوقاحة والبذاء في القول أو الفعل، وهي من صفات أهل النار: (إن الفحش من البذاء، والبذاء في النار)^(٢).

ولما كان الحياء هو القاعدة الأساسية لتماسك المجتمع الإسلامي كان تركيز دعاة الحرية الحمقاء على الاستخفاف به كصفة من الصفات التي يعيش بها الناس سعداء حتى يستهينوا بها، ويقفلوا من قيمتها ومنزلتها في نفوسهم، ولكن الناس جبلوا على حب الحيي اللطيف، وكراهة البذيء الفاحش.

٣: البشاشة وطلاقة الوجه: هي من الصفات التي تدل على حُسن في الخلق، واعتدال في المزاج، وسلامة في الصحة النفسية، كما أنها من أهم الأسباب التي تقربك من الناس، وتوثق علاقتك بهم، وتكسبك محبتهم وثقتهم، وبها يتعاشر أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾^(٣).

والبشاشة وطلاقة الوجه من وصايا رسول الله ﷺ، فقد أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال ﷺ: (اللق أخاك بوجه منبسط)^(٤)، وانبساط الوجه والابتسام مما ندبت إليه آداب المعصوم، لما فيه من

(١) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٢) الكليني، الكافي، ١٠٦/٢، ظ: احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥٠١/٣.

(٣) سورة عبس، الآية ٣٨-٣٩.

(٤) الكليني، الكافي، ١٠٦/٢.

النفع الاجتماعي والمكسب الآخروي، ومنها ما نلحظه في حديث الإمام الصادق عليه السلام:
(صنائع المعروف وحسن البشر: يكسبان المحبة ويدخلان الجنة والبخل وعبوس الوجه
يبعدان من الله ويدخلان النار)^(١).

أما صاحب الوجه العبوس والجبين المَقْتَبُ فغالباً ما يعاني من اضطرابات
نفسية، ويعيش في حالة من الاكتئاب والهموم التي لا نهاية لها، وهو لا يُبقي له على
صديق؛ لسوء خلقه وكثرة شروره، فيتحاشاه الناس ويستعيذون منه.

٤: **المدارة والتلطف بالآخرين:** لعل من أهم عوامل البناء الاجتماعي بين الأفراد
هو رعاية الناس والتلطف بهم، فهذا مما يبعد عن الشحناء والبغضاء، ويشد من
أواصر المحبة بينهم، فتوثق عرى الوئام .

والمدارة هي: التلطف بالإنسان للحد من ضرره، وهي من الدَرءِ والدفع، أو من
المداورة والمجارة للوصول إلى الخير^(٢). وهي غير النفاق والمداهنة بقصد إقرار
الإنسان على باطله. والغاية منها: تجنّب إثارة الخلاف مع الآخرين للوصول بهم إلى
الحق، وهي تدل على كمال في العقل وحسن في الخلق، وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وآله: (أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض)^(٣).

وفي ترسيخ هذا المفهوم الاجتماعي التربوي نلحظ أنّ الإمام علي بن موسى
الرضا عليه السلام يبلغ في التشديد عليه بان اقترن بالفرائض وعلى وجه التأكيد والأهمية من
حيث الثمار التي يمكن أن تجنى منه، فنلحظه عليه السلام يقول: (إن الله تبارك وتعالى
أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني آخذك بمدارة الناس، كما آخذك بالفرائض)^(٤).

(١) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.

(٢) انظر: المعجم الوسيط: مادتي: دَرَأٌ و دَارَ

(٣) الكليني، الكافي، ١١٧/٢.

(٤) علي بن بابويه (ت ٣٢٩هـ)، فقه الرضا، ص ٣٦٨.

فهذه المداراة ضرورية لاندماج الفرد بالمجتمع فأى فرد لا يمكن أن ينجح في حياته في المجتمع إذا عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن ان تنجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن (حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية وورجسية مقيته تتأزم بها بنية المجتمع وتتفكك أوأصره وتسوده الأثانية)^(١)، فكانت التربية على مداراة الناس والعناية بهم من أسس الدعوة المحمدية عموماً .

والمداراة علامة على بُعْدِ النظرِ، وسَعَةِ الحِلمِ، لأن النفوس غالباً ما تشمئز ممن يعاكس مرادها ويستفزها، والمداراة توقف ذلك، وتمنصُ الانفعال والنفور.

ومن اجل هذا البناء الاجتماعي وديمومته جعل الإمام الرضا عليه السلام التواصل مع الناس نصف العقل، إذ قال عليه السلام: (التودُّدُ إلى الناس نصف العقل)^(٢).

وهذا بطبيعة الحال لا يتأتى إلا من خلال التربية العملية، ومداراة قابلياتهم النفسية والجسدية معاً، وهكذا يستطيع المسؤول أن يحقق الأهداف الكبرى، وتسير عجلة الحياة الأسرية منها كمؤسسة اجتماعية أولى، وكذلك المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبهذه المداراة يتجنب المجتمع إرهاصات الخلافات وأزماتها، ومن ثم تتربى في (كل فرد من أفراد هذا المجتمع روح التعلق بالجماعة وعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يضر هذا المجتمع أياً كان لون هذا الضرر أو شكله، وانه يُؤثر مصلحة المجتمع على مصلحته الخاصة)^(٣)، جراء رسوخ القناعة ومما ناله من مداراة الداعية إلى الفكرة أو المشروع البنائي.

(١) د. محمد كاظم الفتلاوي، المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (ع) - دراسة تفسيرية-، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م، العدد ٢٠، ص٤٢٨.

(٢) الكليني، الكافي، ٦٤٣/٢.

(٣) د. مقداد بالجن، دور التربية الأخلاقية، ص٧٣.

وهذه النتيجة تحتاج إلى كثير من الحكمة والدراية، كما نحصل على هكذا تربية بنائه تجمع التنوع والتعدد في بوتقة واحدة، وخلق مجتمع متعايش وسلمي تكون المداراة ودمائة الخلق والتلطف بالناس من أساسيات بناءه في جذب وكسب للآخرين، فهي تحبب صاحبها إليهم فيثقون به، ويعتمدون عليه، ويرتاحون إليه.

٥: أخلاق أخرى دعا إليها الإسلام وأخلاق حذر منها: هناك قيم إنسانية وأخلاق فاضلة أخرى . لا تقل أهمية عما سبق بيانه . دعا إليها الإسلام أيضاً، ومن ذلك: طيب الكلام، والتواضع، والأمانة، والحلم، والكرم، والعدل، والإحسان، والإيثار، ومواساة الآخرين، وترك المراء والجدال، والقناعة، وبذل الجاه والمعروف للآخرين، وإغاثة الملهوف، والإصلاح بين الناس، والأمر بكل خير وبر، والنهي عن كل إثم وشر...

وفي مقابل ذلك حذر الإسلام ونهى عن كل خلق لئيم سيئ، يسخط الله تعالى، ويجلب الشرور والآثام على صاحبه، ويضر بالمجتمع، ويفقده الأمان والاستقرار، ويفسد الحياة العامة، ومن ذلك: السرقة، والزنى، والرشوة، والخيانة، والشح، والكبر، والتجسس على الناس، وسوء الظن بهم، والنميمة، وكثرة الحلف، ونشر الإشاعات، واليأس من رحمة الله... والأصل في عموم ما سبق من الأخلاق الحسنة وضدها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

خامساً : تشريع الإسلام للتكافل الاجتماعي تقوية للروابط:

مما انفرد به الإسلام عن غيره من النظم، أنه حفظ للفرد حقه في العمل والكسب، وحفظ للمجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن؛ لذا دعا إلى الكسب، ورغب في

طلب الرزق وأوجبه، وذلك من خلال العمل الجاد المنتج النافع، لا فرق في ذلك بين الجهد البدني والجهد الذهني.

وطالب كل قادر على العمل أن يعمل، وأن يُعان على عمله، ليكفي نفسه وأسرته، قال الإمام علي عليه السلام: (إن الله عز وجل يحب المحترف الأمين)^(١).

وعن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وببده مسحة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتصاب عن ظهره فقلت: جعلت فداك أعطني أكفك، فقال لي عليه السلام: (إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة)^(٢).

وبهذا عدَّ الإسلام العمل والكسب عبادة يؤجر عليها الإنسان، لما يترتب على ذلك من الكفاية الذاتية، وتحقيق حاجات المجتمع وتنمية موارده، وفي الحديث الشريف: مرَّ على النبي صلى الله عليه وآله رجل، فرأى الصحابة من نشاطه وجَلَدِهِ، فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال لهم الرسول صلى الله عليه وآله: (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها، فهو في سبيل الله)^(٣). وبذلك نرى أن النبي صلى الله عليه وآله جعل العمل مكافئاً للجهاد في سبيل الله، وهذا من أوضح العبادات.

أما العاجزون الذين لا يستطيعون العمل لمرض أو شيخوخة، أو القادرون الذين لا يجدون عملاً، أو لا يكفيهم دخلهم لتحقيق معيشة لائقة بهم، أو الذين أضرت بهم الحروب والكوارث، فلم يتركهم الإسلام لأنياب الفاقة والحاجة، بل شرع لهم العديد من التدابير الحاسمة في التكافل الاجتماعي لرعايتهم والنهوض بهم، وتأمين الحياة

(١) الكليني، الكافي، ١١٣/٥.

(٢) المصدر نفسه، ٧٦/٥.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٣٢٥/٤، الريشهري، ميزان الحكمة، ٣٤١٥/٤.

المعيشية اللائقة بهم، وبعض هذه الوسائل هي على سبيل الوجوب والفرض، وبعضها الآخر على سبيل الترغيب والندب، وبيان هذا فيما يأتي:

١: تشريع فريضة الزكاة^(١):

الزكاة: عبارة عن (ضريب مالي خاص مجعول من الشارع في أموال خاصة لأشخاص معينين بشرائط معلومة..)^(٢). وهي من فروض الإسلام، ومن حقوق الفقراء ونحوهم في أموال الأغنياء، ليست على سبيل المنحة والمنة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٣).

ومن أهدافها وغاياتها: طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره، وتطهيرُ المال مما داخله بغير حق بدون علمه، وتطهيرُ نفس الغني من الشح والبخل والمغالاة في حب المال، ودفعه إلى البذل والعطاء، وتطهيرُ نفس الفقير من الحسد والتطلع إلى ما في أيدي الناس، فضلاً عن إقامة المصالح العامة للمسلمين.

ولا شك أن الزكاة تحد من انتشار الجرائم وخاصة الجرائم المالية؛ لأنها توفر سيولة كريمة بين أيدي الفقراء والمحرومين، فيرعون عن جرائمهم واعتداءاتهم على أموال الآخرين، وفي جميع هذا يصدق قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٤).

(١) تقدم القول عن أثر فريضة الزكاة على نفس المسلم ظ: ص ٩٨، ونفصل بقدر القول عنها

بُعدها التكافلي في المجتمع الإسلامي .

(٢) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٢٨١.

(٣) سورة المعارج، الآية ٢٤-٢٥.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

والزكاة وسيلة مهمة من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية، تُذهب الغلّ والطمع من نفوس الذين لا يملكون ما يكفيهم تجاه الذين يملكون ويتنعمون، وتحقق التوازن الاقتصادي النسبي حال صرف بعض أموال أغنياء الأمة إلى الأمة نفسها، ممثلة في فقرائها وبقية مصارف الزكاة المعروفة، وفي هذا السياق جاء التعبير القرآني: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(١).

وما اليد المعطية واليد الآخذة إلا يدان لكيان واحد، كلتاهما تعمل لخدمة ذلك الكيان، ألا وهو كيان الأمة المسلمة، التي لا قوام لها ولا بقاء إلا بتكافل جميع أفرادها وتعاطفهم مع بعضهم.

٢: تشريع زكاة الفطر:

هي واجبة على كل مسلم، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، عنده قوتٌ يوم العيد، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾^(٢). قال بعض أهل التفسير: نزلت في زكاة الفطر التي تؤدى قبل صلاة عيد الفطر^(٣).

وقد شرعت طهرة للصائم، وتلافياً لتصرفٍ قد يُنقص أجر صيامه، ففي الحديث الشريف عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفطرة، فقال عليه السلام: (على الصغير والكبير والحر والعبد عن كل إنسان صاع من حنطة أو صاع من تمر أو صاع من زبيب)^(٤). كما شرعت سداً لحاجة المحتاجين ومعونة لهم؛ ليشاركوا بقية أفراد المجتمع بفرحة العيد، بعيداً عن الحاجة والسؤال في هذا اليوم.

(١) سورة النور، الآية ٣٣.

(٢) سورة الاعلى، الآية ١٤.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٠، ٣٣١، قطب الراوندي، فقه القرآن، ٢٥٢/١، الشوكاني، فتح القدير، ٤٢٥/٥.

(٤) الكليني، الكافي، ١٧١/٤.

ويُلاحظ أن هذه الوسيلة من التكافل الاجتماعي تلزم مئات الملايين من المسلمين الميسورين، ويستفيد منها مئات الملايين أيضاً من المسلمين الفقراء والمحرومين، مهما كانت صعوبة الأوضاع الاقتصادية، ولذلك فإن زكاة الفطر تغني الآخذين ولا تفقر المعطين.

٣: تشريع النفقات الواجبة:

فرض الإسلام لبعض الأقرباء أنواعاً من النفقات يلزم دفعها إليهم عن طواعية واختيار، فإن امتنع أقرباؤهم الأغنياء عن أدائها، ألزموا بها جبراً عن طريق القضاء. ونشير هنا إلى نوعي هذه النفقات الواجبة على النحو الآتي:

النوع الأول: النفقة على الزوجة: نفقة الزوجة مقدمة على الأقارب، فما فضل عن قوته صرفه إليها، ثم لا يدفع إلى الأقارب إلا ما يفضل عن واجب نفقة الزوجة، لأنها نفقة معاوضة، وتثبت في الذمة^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢). لأن الزوجة تفرغ أوقاتها، وتحتبس نفسها للقيام بشؤون الزوج والأولاد ورعاية البيت والأسرة، وتهيئة المناخ المناسب لحياة سعيدة وهانئة. وكل هذا مما يقوي الروابط الاجتماعية ويحقق التكافل الأسري.

وهذا الذي تقدم خلاف ما عليه العمل في المجتمعات غير الإسلامية، حيث امتنع الزوج من إعالة الزوجة بتأييد من القانون، وفرض عليها المجتمع أن تعمل وتختلط بالناس؛ لتعول نفسها وتبحث عن لقمة العيش ولو كانت في مقتبل العمر، فتتهربت من الحمل والولادة، وتمزقت العلاقات الأسرية، وكثرت المشكلات الاجتماعية والأخلاقية...

(١) ظ: المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ٥٧٣/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

النوع الثاني: النفقة على الأقارب: هي واجبة على الرجل الموسر لوالديه وأولاده وأقربائه المحتاجين، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١). وقوله ﷺ لزوجة أبي سفيان: (خذي . أي من مال زوجك . ما يكفيك وولدك بالمعروف)^(٢) .

ويُجبر الرجل على نفقة والديه وولده الذكور والإناث إذا كانوا فقراء وكان له ما ينفق عليهم. عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال: (قلت له: من يلزم الرجل من قرابته ممن ينفق عليه؟ قال ﷺ: الوالدان والولد والزوجة)^(٣).

وبناء على هذا، تجب النفقة في مال القريب الموسر للمحتاجين إليها من أصوله وفروعه، وإخوته وأخواته، وأعمامه وأبنائهم، ونحو هؤلاء من الوراثين أصحاب الفروض والعصابات، لا العمات والخالات اللواتي لهن أقرباء من ذوي الفروض والعصابات ينفقون عليهن .

وهكذا نرى أن الإسلام نظم صورة تكاملية . ليس لها مثيل في الأنظمة الأخرى . لتحقيق مزيد من التكافل الاجتماعي وتقوية الروابط بين أطراف المجتمع؛ الذي هو في حقيقة يتكون من مجموعات الأسر والتي تمثل نواته.

٤ : تشريع واجبات مالية أخرى تكافلية:

حرص الإسلام على تحقيق أكمل صورة من التكافل الاجتماعي، وذلك حين أوجب تشريعات مالية أخرى على المسلمين من مثل: الخمس^(٤)، والندور، والكفارات،

(١) سورة الاسراء، الآية ٢٣ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ٣/٣٦، المجلسي، بحار الانوار، ٢٣٢/٧٢ .

(٣) الكليني، الكافي، ١٣/٤ .

(٤) تعريف الخمس: (اسم لحق يجب في المال يستحقه بنو هاشم)، المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٢٢٩ . وهم بهذا - بني هاشم - لا يستحقون شئ من الزكاة والصدقات، يوضح السيد محسن الأمين(ت ١٣٩٠ هـ) سبب هذا الحرمان من الزكاة والعوض البديل عنه لبني هاشم في قوله:

والهَدْيِ الواجب في الحج، والأضاحي ودية القتل الخطأ، والموايرث ونحوها مما تقوم عليه منظومة التآلف والتكافل الاجتماعي في الإسلام من أجل سد الخلل قدر الإمكان.

٥: تشريع الصدقات التطوعية:

لم يقتصر الإسلام في تشريع ما يحقق التكافل الاجتماعي على الزكاة والنفقات الواجبة، بل عضد ذلك بالدعوة إلى البذل الاختياري المفتوح دون حدود، وذلك من خلال ما يعرف بالصدقات التطوعية: النقدية والعينية، التي يبذلها المسلم للفقراء والمحتاجين ونحوهم، ابتغاء ثواب الله تعالى ورضوانه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). وفي سنة المعصوم نلحظ الحث على التصدق أيضاً واضح جلي، إذ قال النبي ﷺ: (تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة ولو بتمر ولو بتمرة ولو بشق تمره..)^(٢).

إن لا ينبغي لأحد أن يحتقر الصدقة القليلة؛ لأن القليل يصير بمثله كثيراً، فينقذ أسرة من جوع ومرض وعُريٍّ، أو يمول مشروعاً لأسرة محتاجة، فيفتح لها طريق الغنى والاعتماد على النفس، وللمتصدق منافع آخروية ومنها دنيوية، ونلحظ ذلك في قول

(وحرمة الصدقة على النبي وأهل بيته تنزيه عظيم لهم من الأوساخ أما انه تنزيه من ريبة فلا. والنقصان الذي يلحقهم بحرمانهم من الزكاة نقصان مالي لا نقصان أدبي فجبر بالخمس). الشيعة بين الحقائق والأوهام، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م، ص٤٢٥.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٤.

(٢) الكليني، الكافي، ٤/٤.

النبي ﷺ: (أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإن صدقته تظله)^(١). وفي البُعد
الديني قال النبي ﷺ: (إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله)^(٢).

ويقسم العلماء الصدقاتِ التطوعية إلى أنواع، منها ما يلي:

النوع الأول: الصدقة النافلة المطلقة: يجوز أن تكون نقدية أو عينية، كطعام أو
كساء أو علاج أو أدوات، قليلة أو كثيرة، وهي لا ترتبط بزمان ولا مكان، وفيها
يصدق قول النبي ﷺ في وصيته لأمر المؤمنين علي عليه السلام: (وأما الصدقة فجهدك
جهدك حتى يقال: قد أسرفت ولم تسرف)^(٣).

النوع الثاني: الصدقة الجارية: هي: الوقف، ومعناه: (تحبيس الأصل وإطلاق
المنفعة)^(٤). أي: التنازل عن ملكية ذات المال لله تعالى، من أجل أن ينتفع به الناس،
وذلك كوقف المساجد ولوازمها، والمدارس والمكتبات والمستشفيات والبيوت والمزارع
ومياه الشرب وغيرها، قال النبي ﷺ: (ذا مات المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث:
صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٥).

وقد بلغ المسلمون الذروة في الإقبال على الوقف الخيري العام، والوقف الذري
الأهلي، على الذرية والأهل فما تجد بلداً إلا وفيها مساجد أو مدارس أو مساكن أو
مستشفيات أو مياه موقوفة، رغبة في ثواب الله تعالى، وبذلاً لأسباب التكافل
الاجتماعي، وإعانة للناس على العيش في سعادة ورخاء .

(١) الكليني، الكافي، ٣/٤.

(٢) المصدر نفسه، ١٢١/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣/٤.

(٤) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٥٦٦.

(٥) المجلسي، بحار الانوار، ٢٢/٢.

النوع الثالث: الوصايا: هي تبرعات مالية مضافة إلى ما بعد الموت في (مقدار الثلث والزايد يتوقف على إجازة الورثة)^(١)، تُصرف لأصحابها بعد وفاء الديون، ممَّا لا يزيد على ثلث التركة، حتى يستدرك بها الإنسان ما قد يكون فاتته من أعمال البر والخير، ثم يُوزَّع الباقي بين الورثة، وهي تسهم في تقوية الروابط الاجتماعية وزيادة التآلف بين الناس، وفي الحديث الشريف: أن النبي ﷺ عاد سعد بن أبي وقاص في مرضه، فسأله: أَفَأُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قال: لا... قال: فبِالْثُلُثِ؟ قال: الثلث والثلث كثير^(٢). وعن شعيب بن يعقوب قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن الرجل يموت ماله من ماله؟ فقال: (له ثلث ماله وللمرأة أيضاً)^(٣).

النوع الرابع: العواري^(٤) والمناجح والقروض الحسنة والأعطيات والهدايا والهبات: هي من صور التكافل الاجتماعي وأعمال البر والإرفاق، التي يُقصد بها التيسير على الآخرين، وتفريج كرباتهم، والتحبُّب إليهم، طمعاً في ثواب الله وحده وحسن جزائه، قال النبي ﷺ: (من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه فليزرعها)^(٥). وقال أيضاً ﷺ في الهبات ونحوها: (تهادوا تحابوا، تهادوا فإنها تذهب بالضعائن)^(٦). وقال الإمام الصادق ﷺ: (عد من لا يعودك، وأهد إلى من لا يهدي إليك)^(٧)، وفي عموم ما تقدم في هذا النوع يصدق قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٨).

(١) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٥٥٧

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ١٨٧/٣.

(٣) الكليني، الكافي، ١١/٧.

(٤) العارية: هي إنشاء إباحة الإنتفاع بعين بلا عوض فهي من العقود المحتاجة الى الإيجاب والقبول. المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٣٦٣.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ٢١٧/٣.

(٦) الكليني، الكافي، ١٤٤/٥.

(٧) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٠٠/٣.

(٨) سورة المائدة، الآية ٢.

وهكذا يتضح: مدى حرص الإسلام على استكمال أسباب الروابط الاجتماعية، من خلال تشريع معالم للتكافل الاجتماعي، على سبيل الوجوب، أو على سبيل الاستحباب، وهذا مما لم يعرف في أي تشريع أو نظام آخر.

سادساً : دعوة الإسلام إلى الحوار والجدال بالتّي هي أحسن تقوية للروابط:

وبيان ذلك في النقاط الآتية:

١ : الإسلام دعوة عالمية: مما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لكل البشر، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٢)، يقول الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في تفسيرها: (دلالة على أنه خاتم الأنبياء، ومبعوث إلى الناس كافة)^(٣).

وفي سنة المعصوم نلحظ قول النبي ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)^(٤).

ويتصف المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع منفتح على المجتمعات والأفكار الأخرى مادامت بعيدة عن الخرافات والأوهام، مسابرة للفطرة السليمة، متفقة مع منهج الله، وهو لا يمنع من الجهر بتلك الأفكار وإعلانها؛ لأن الغاية من الدعوة الإسلامية . كانت ولا تزال . صلاح حال الإنسان وسعادته، ومن أجل ذلك وُجّهت إليه التشريعات والإرشادات، وتعلقت به الأحكام والحكم أمراً ونهياً.

(١) سورة الاعراف، الآية ١٨٥ .

(٢) سورة الانعام، الآية ١٩ .

(٣) مجمع البيان، ٢٢/٤ .

(٤) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣٥٠/٢ .

٢: اعتماد الإسلام طريق الحوار الحسن في تبليغ رسالته: اعتمد الإسلام في عرضه لدعوته أسلوب المجادلة والتي هي أحسن، وجعل ذلك فريضة لا يسع المسلم تركها، قال الله تعالى بصيغة الأمر: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

وإن الهدف من الحوار، هو التوصل إلى بيان الحقيقة الكبرى، وهي صدق الإسلام وصحة تعاليمه وتشريعاته، وحرصه على تحقيق مصالح الناس وسعادتهم، وهذه لا تحتاج في غالب الأحوال إلا إلى عرض الدليل وبيان الفضائل والمكرامات، كما فعل جعفر بن أبي طالب عليه السلام مع النجاشي ملك الحبشة في قصته المشهورة.

بل إن من يراجع أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، يجد كثيراً من الوقائع التي أثار فيها الحوار والجدال الحسن، في تخلي كثير من الأفراد والجماعات عن معتقداتهم وقناعاتهم وسلوكياتهم الخاطئة، واعتناق الإسلام والرضا بتعاليمه وتشريعاته، ففي سنة المعصوم عليه السلام نلحظ موقف النبي الأكرم عليه السلام من فتى شاباً أتى إليه عليه السلام فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه (أي: ماشأئك؟ وما وراءك؟). فقال له النبي عليه السلام: أدنّه مني، فدنا منه قريباً فجلس، فقال له: أتحبّه لأمك؟ فقال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أفنحبّه لابنتك؟. فقال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفنحبّه لأختك؟ فقال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أتحبّه لعمتك؟ فقال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعلماتهم، قال: أتحبّه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال:

ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع ﷺ يده على صدره، وقال: اللهم اغفر ذنبيه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

وهكذا صبر النبي ﷺ على هذا الفتى وحاوره وحرك عواطفه وحميته الفطرية بالحسنى، وعرض له الحجج، وتعاطف معه بوضع يده على صدره والدعاء له، حتى تمكن من نزع قناعاته وسلوكياته الخاطئة، وإبدالها بقناعات وسلوكيات حسنة.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: (إن علياً لما كاتب معاوية وحكم المحكمين^(٢))، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: أنسلخت من قميص الله، ولا حكم إلا لله - فلما ان بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر فأذن مؤذن الآ يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلاً قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيديه، ويقول: «أيها المصحف حدث الناس»، فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا عنه فماذا تريد؟ قال: «أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(٣)، فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ ان كاتب معاوية - كتب علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف تكتب؟ قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ:

(١) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٥/ ٢٥٧.

(٢) حول مسألة التحكيم للتوسعة ظ: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ١٦٠ - ١٦٨، وفي توضيحها ظ: د. نوري جعفر، علي ومناوئوه، مطبوعات النجاح بالقاهرة، ط٤، ١٩٨٦، ص ١٦٨ - ١٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٥.

اكتب، فكتب، فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾^(١).

ويؤكد السيد محمد تقي الحكيم عند تتبعه لسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وحواره مع أعدائه وجدالهم بالحسنى بقوله: (وما رأيناه، ولا حدثنا التاريخ - على كثرة ما عني بخبره - من انه اجبر أحداً على عقيدة، أو (عمل سلطته في الحد من نشاط بشري منطقي، وقد رأينا كيف كان يستقبل في عهد خلافته، والعهود التي سبقته أئمة وعلماء الأديان الآخر لمجادلتهم في اعتقادهم بالتي هي أحسن، حتى إذا آمن منهم من آمن تقبله بقبول حسن، وإلا عاد إلى أهله ليمارس طقوس مبدئة بحريته)^(٢).

٣: حقيقة الحوار "المناظرة" وأقسامه ولوازمه: الحوار والجدل، والمحاورة والمجادلة، ألفاظ متقاربة المعاني اللغوية، ويراد بها: المناقشة والمناظرة والمراجعة في الكلام^(٣). ومنه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾^(٤).

وهي في الاصطلاح: (حوار ومناقشة، أو محاضرة): يشترك فيها اثنان أو أكثر، بحيث يتبنى كل واحد رأياً مخالفاً يحاول ان يعرضه مع براهينه تأييداً لرأيه، ودحضاً لرأي خصمه، والفائز من المناظرين صاحب البراهين الدامغة، والأسلوب الرشيق، والبراعة في الحديث^(٥).

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢١.

(٢) مع الإمام علي في منهجه ونهجه، ص ٢٧.

(٣) المعجم الوسيط: مادة: جَدَل، حَوْر

(٤) سورة المجادلة، الآية ١.

(٥) د. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب واللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢،

١٩٩٩م، ٢/٨٢٨.

وقد قسّم العلماء الحوار والجدل قسمين: ممدوح ومذموم، فالأول الممدوح: ما يوصل إلى الحق بأسلوب صحيح مناسب. وأما الثاني المذموم: فما لا يوصل إلى الحق، وقد تصاحبه المغالطة أو الانفعال، ويؤدي إلى الكراهية والضعينة.

والنوع الأول من الجدل مشروع، بل هو فرض محكم غير منسوخ، يجب استصحابه والالتزام به في أي حوار؛ للآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). وتأمل أداة الحصر في الآية: (إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). أما النوع الثاني: فهو حرام منهي عنه، لمآلاته العقيمة الضارة، وفيه ورد حديث: (إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ، الْأَلْدُّ الْخَصِمَ)^(٢). وقال الإمام علي عليه السلام: (من بالغ في الخصومة أثم)^(٣)، أشار عليه السلام في هذا الكلام إلى أن الخصومة داء لا دواء له، ولا يحصل منها إلا الضرر والخسار، فإنّ الداخل فيها إذا بالغ يَأْثُمُ وَيَبْتَلِي بِالْخَسَارِ الْأَخْرَوِيِّ، فمن أراد النجاح فلا بدّ له من عدم الدخول في الخصومة والوقوف دائماً على الصلح والصلاح. وذلك ان الجدل والخصومة: (مظنة المباهاة وطلب الرئاسة والغلبة، والمجادل يكره أن يقهره خصمه، فلا يستطيع أن يتقي الله)^(٤).

وهناك ضوابط وقيود جعلتها التعاليم الإسلامية وهي من لوازم الجدل ومتطلبات الحوار والمناظرة، بحيث يقف في سبيلها إذا ما استهدفت الفتنة أو خيف منها الفرقة أو ألحقت ضرراً بالآخر أو خدشاً لكرامته أو تعريضاً به، نوجزها في^(٥):

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.
(٢) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٥٥/٦.
(٣) نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ٧٢/٤.
(٤) نهج البلاغة، شرح: ابن ابي الحديد، ٢٠٤/١٩.
(٥) للتوسعة بالمصادر: ط: د. محمد كاظم الفتلاوي، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي (رسالة ماجستير)، ص ١٢٢.

- ١- النهي عن العبث بمقومات المجتمع: فقد ورد أن الرسول ﷺ قال: (سنة لعنتهم، ولعنتهم الله، وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله ﷻ، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليزل من أعز الله، ويعز من أذل الله، والمستحيل حرمة الله، والمستحل من عترتي ما حرم، والتارك السنة^(١)).
- ٢- الإيمان العميق بما يدعو إليه ويُناظر فيه: وذلك لئلا يشمله قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢).
- ٣- العلم بقضية الحوار ومعرفتها معرفة علمية تامة: وإلا كان الحوار بغير علم، وهو مذموم للآية: ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٣).
- ٤- التزام الهدوء والسكينة والبعد عن الانفعال: كما في محاوره النبي ﷺ. الآنفه. للشاب الذي جاء يستأذنه في الزنى، وموقف الإمام علي عليه السلام من الخوارج والمخالفين له، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ﴾^(٤).
- ٥- الحرص على الوصول إلى الحق ونصرته: وذلك لقوله ﷺ: (لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون حُمر النعم)^(٥).
- ٦- استقامة السلوك والتخلق بالخلق الحسن: إذ لا خير فيمن لا يوافق حاله مقاله، قال الله تعالى عن نبيه شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(٦).

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ١٧٦، ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣، ١٣/٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ١/ ١٨٤.

(٦) سورة هود، الآية ٨٨.

٧- إحصان الظن بالطرف الآخر واحترامه: وهذا مما يسهل الوصول إلى قلبه وتملكه وإقناعه، قال الله تعالى: «بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»^(١).



الفصل السادس

أهم المشكلات الاجتماعية العامة
(الوقاية والعلاج)



أهم المشكلات الاجتماعية العامة وسبل الوقاية منها وعلاجها

تتميز رسالة الإسلام بأنها منهج شامل للحياة بامتدادها الدنيوي والأخروي: ﴿قُلْ: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١). ولقد اعتورت المسلمين في حياتهم الحاضرة أسباب الضعف والتفكك، وعوامل الانحراف والتقلت حتى ذبل في نفوسهم وسلوكهم الفردي والاجتماعي ذلك التصور الشمولي للإسلام باعتباره منهجاً للحياة، ودستوراً لحركة الإنسان والمجتمع في هذا الكون.

ولا تخلو حياة المسلمين المعاصرة من مشكلات تنتظر التشخيص وبيان سبل الوقاية والعلاج، ومن هذه المشكلات ما يأتي:

أولاً: انحراف بعض الشباب:

لا يخفى أن الشباب الصالح مصدر قوة للمجتمعات، فعليهم تُعقد الآمال، وباراداتهم الجادة وسواعدهم المنتجة، تتحقق الطموحات السامية، أما إذا كانوا فاسدين، فإنهم يكونون سبباً في تدمير أنفسهم ومجتمعهم وتحطيم آمالهم وآماله.

ويمكن ان نلاحظ ان من أهم أنواع انحراف الشباب ما يلي:

١. **الانحراف الفكري:** وهو أخطر أنواع الانحراف، حيث يعتنق الشباب أفكاراً غير سوية تهدم معالم الدين نتجت من تيارات ومذاهب فكرية وسياسية علمانية كالتيار القومي والتيار الوطني ودعاة الأممية ودعاة التغريب وغيرهم^(٢)، وانتقاص أحكام

(١) سورة الانعام، الآية ١٦٢-١٦٣.

(٢) ظ: محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٠م، ١٢-٩/٦، د. عبد الرحمن بن مبارك، بناء المجتمع الإسلامي، ص ١٢٣.

الإسلام، أو اعتقاد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله، أو انتقاص العلماء والمراجع العاملين، أو التشكيك في الحضارة الإسلامية ومقوماتها^(١)، أو الفهم الخاطئ لمعنى القضاء والقدر، أو التشدد في الأخذ بتعاليم الدين وأحكامه أو الابتداع في بعض الممارسات في الشعائر الإسلامية. وغالباً ما يترتب على هذا الانحراف الفكري، التسبب في هدم الدين من داخله أو من خارجه.

وقد نبّهت سنة المعصوم عليه السلام إلى هكذا انحراف منذ زمن بعيد إذ ورد أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فهموا تعاليم الدين فهم خاطأ، فقال احدهم: أنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟. أما والله إنني لأخشاكم لله وأنقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(٢).

وهكذا استطاع النبي صلى الله عليه وآله ببيانه أن يحقق الأمن الثقافي للمجتمع المسلم، ويحميه من الانحراف الفكري والغلو في الدين وإن كانت دواعيه سامية؛ لئلا يصير هؤلاء النفر قدوة لغيرهم، في الخروج على سنن الاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام، وحينئذ يُضِلُّون غيرهم بغير علم ولا هدى، ويكونون سبباً في تشدد المجتمع وانغلاقه على ذاته، فيهدمون الإسلام من داخله و ينفرون الناس عنه.

إن مما لا يخفى على أحد أن هذه الأفكار التي مزقت الأمة لم تتبع داخل العالم العربي والإسلامي، وإنما جاءت من الخارج، يقول برنارد لويس وهو أحد قادة الاستشراق والفكر التغريبي: (إن العالم العربي والإسلامي لم يكن يعلم عن القومية كأيدلوجية إلى منتصف القرن التاسع عشر ولكن الغرب هو الذي أصدرها إلى العالم الإسلامي، وساندها النصارى في العالم العربي واليهود في تركيا فنشأ الصراع بين

(١) ظ: د. عبد الله سليمان المشوخي، مجتمعنا المعاصر، ص ١٣٥ و١٥١ و٣٠٢ و ٣٠٥.

(٢) ظ: البخاري، صحيح البخاري، ٢/٧.

القومية الطورانية، والقومية العربية وساندت الأخيرة بريطانيا وفرنسا بدعمها للثورة العربية الكبرى، فأدى إلى سقوط الدولة العثمانية^(١)، إن وجود الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي والإسلامي هو بمثابة جرثومة تعمل ليلاً ونهاراً للقضاء على كل ما يجمع الأمة، ويحقق لها الخير والحضارة والتقدم.

ومعلوم ان تعاليم النبي الأكرم هي تعاليم السماء، والسائر على هديها يرشد ويفلح والمخالف ضال ومضل عن النهج القويم، قال الإمام علي عليه السلام: (إن الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قائم، لا يهلك عنه إلا هالك. وإن المبتدعات المشبهات هن المهلكات)^(٢).

ولا يفهم أحد أن الإسلام يمنع من الابتكار والتجديد والانفتاح على العلوم والثقافات الأخرى النافعة، إذ لا يخفى ما حفلت به آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله من الدعوة إلى العلم النافع الذي ينمي المجتمعات، ويرفع من شأنها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣). وقول الإمام علي عليه السلام: (الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)^(٤).

٢. **الانحراف السلوكي**: لا يخفى وجود بعض مظاهر الانحراف السلوكي عند بعض المسلمين في المعاملات المالية وفي الأخلاق، وقد نتج عن ذلك ازدياد أعمال الفساد والجريمة، من نصب، واحتيال، وسرقة، وأكل للمال بالباطل، ومحاباة، ونفعية، فضلاً عن التبرج، والاختلاط، وتبادل النظرات والمحادثات المحرمة بين الشباب

(١) د. سعدون محمد الساموك، الصهيونية والإرهاب، المطبوعة ضمن كتيب: الدين والإرهاب، الرشاد، بغداد، ص ٤٩.

(٢) نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ١/٢.

(٣) سورة طه، الآية ١١٤.

(٤) نهج البلاغة، ١١٨/٣.

والفتيات، والجرأة على اقتراف المنكرات، والتناصر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستهتار بالآخرين وعدم الاستحياء منهم...

كما نشط التشبه بغير المسلمين في الأعياد، والمناسبات، والمواسم، والاجتماعات، والمهرجانات، وأزياء الملابس (الموضات)، وفي حفلات الزواج، ونحو ذلك مما فيه ابتعاد عن هدي سيرة المعصوم عليه السلام، وينطبق عليه حديث النبي صلى الله عليه وآله: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(١). وكذا ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: (فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم)^(٢).

ومن هذا النهي الأخذ والاتباع لأهل الكتاب (النصارى واليهود) فنجد في الحديث الشريف: (أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله! إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! فو الذي نفسي بيده! لقد جئتم بها بيضاء نقية، لا تسألوه عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده! لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)^(٣).

هذا.. وإنما نُهينا عن التشبه بغير المسلمين؛ تجنباً لحبهم وموالاتهم، وتقصص شخصيتهم، وحفاظاً على الهوية^(٤) الإسلامية التي تمثل بامتياز الشخصية المسلمة

(١) ابو داوود، سنن أبي داوود، ٢٥٥/٢.

(٢) نهج البلاغة، شرح: محمد عيده، ٤٧/٤.

(٣) بن ابي شيبه الكوفي، مصنف ابن ابي شيبه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ٣١٢/٥.

(٤) عرف علم الاجتماع الهوية: (عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية). أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٨٥.

المتميّزة بعقيديتها وسلوكها وعاداتها وولائها لدين الله تعالى القائل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(١).

هذا، ولا ينبغي الخلط بين عبادات غير المسلمين وعاداتهم، وبين إنجازاتهم التي فيها مصلحة للمسلمين في حياتهم الدنيوية، كالابتكارات والاختراعات والمصالح الأخرى المشابهة، فإنه ينبغي الاستفادة منها والعمل بها، وهي ليست من التشبه بهم في شيء، وبشهاد لهذا: اقتراح الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله حفر الخندق لصد هجوم الأحزاب على المدينة، وقوله للنبي صلى الله عليه وآله: كانت الفرس تصنع مثل هذا إذا حز بهم البأس، فأقر النبي صلى الله عليه وآله هذا الاقتراح، وأمر المسلمين بحفر الخندق...^(٢).

ثانياً: انتشار وسائل الإعلام المضلّة:

يواجه المجتمع الإسلامي اليوم في مختلف أقطاره ومواطنه غزواً فكرياً وثقافياً وحضارياً رهيباً. ولم يعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصوراً على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة. لقد انتهى عصر الغزو الاستعماري الاستشراقي المباشر. إن الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة، وأساليب جديدة. إن الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة، بل إلى العقول المنقّفة، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي، أو الاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة. والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المنقّفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش، وعن طريق شريط الفيديو، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق. والرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقن. والرسالة الغازية

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٨.

(٢) للقصة كاملة ظ: المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٨/٢٠.

تعبّر إلى العقول المتقفة والأجيال الصاعدة عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم، معللة بدعاوى العلم والتقدم والاكتشافات الحديثة!!

ويكاد يتفق الباحثون على أن الإعلام بمعناه الصحيح هو: تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة، والترفيه عنهم بنشر الأخبار الصادقة، والإبداعات المفيدة، والحقائق والحوادث وغيرها، مما يساعد على فهم المشكلات وتكوين رأي صائب ينمي المجتمع ويرتقي بأفراده. فإذا خلت وسائل الإعلام من هذه المعاني، صارت وسائل تضليل وتدمير للناس^(١).

وقد تعددت وتتنوعت وسائل الإعلام المعاصرة من مقروءة ومسموعة ومرئية، وإن كثيراً من مواقع "الإنترنت" وقنوات "التلفزيون" من أخطر هذه الوسائل الإعلامية، فهي قد أخذت مكان الصدارة في شؤون التربية والتعليم والترفيه والتوجيه والتأثير وخاصة على الناشئة، بما فيها من إمكانيات متنوعة وفائقة وجذابة، يسهل التعامل معها والوصول إليها في أغلب الأحيان والأماكن.

ولا يخفى أن النسبة العظمى من هذه الوسائل الإعلامية بما هي عليه الآن، تقوم بعملية غسيل المخ بعيداً عن القيم الإنسانية النبيلة، والسلوك الفطري السوي، وعن تعاليم الإسلام وهدية ومقاصده، حيث تُعرض فيها على جميع أفراد الأسرة والمجتمع . كباراً وصغاراً، نساء ورجالاً، مثقفين وغير مثقفين . الأفكار والقيم الضالة المحطمة للعقيدة والمدمرة للأخلاق، تحت ستار: حرية الرأي، أو البحث العلمي، أو النقاش الموضوعي، أو التجديد والتطوير، أو الترفيه، وتزين فيها الأقوال والأفعال القبيحة من غمز ولمز وغيبة ونميمة، وتكشّف واختلاط ورقص، وتشاهد في برامجها وتمثلياتها وحفلاتها صور الخلاعة والميوعة والمجون، وزرع

(١) ظ: مروان كحك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ص ١٢.

الرديلة والعنف والجريمة، والسخرية من الحجاب، والتهمم بعلماء الإسلام وبالمعلمين وغيرهم، باسم الترفيه!

ولعل هيمنة المادة الإعلامية الغربية في المجال التلفزيوني، والمضمون البرامجي المنتج في بيئات غربية على النطاق الدولي. من خلال سيطرة أربع شركات غربية رئيسة، هي وكالة الأخبار المصورة البريطانية، واليونائتد برس، والنيوز فيلم الأمريكيتان، والوكالة الألمانية - على مجال الأخبار التلفزيونية المصورة. كما تتضح من خلال حجم الأفلام والبرامج والمسلسلات والمواد الإعلامية التي تتبعها الدول الغربية - والولايات المتحدة بشكل خاص - لدول العالم .. فشركة (سي بي اس) الامريكية مثلاً، توزع برامجها وأفلامها في (١٠٠) دولة في العالم. بينما تصل شركة (أي بي سي) الى ٦٠% من تليفزيونات العالم. وقد حدث هذه الظاهرة الباحث البريطاني (جيرمي تنستال) الى تأليف كتاب هام أسماه: (أمركة الإعلام) يحلل فيه ظاهرة (أمركة العالم تليفزيونياً)، كما ألف الباحث الأمريكي (هربرت شيلر) كتابه الشهير والمثير: (الاتصال الجماهيري والامبراطورية الأمريكية).

هذا، وقد أجرى الدكتور محيي الدين عبد الحلیم دراسة جادة بحث فيها الآثار السلبية للتلفزيون على مجموعات من الشباب في ست جامعات مصرية، فتبين له: أن كفة السلبيات رجحت على كفة الإيجابيات، وأن كثيراً من التمثيليات لا تقدم ما يفيد، وأنها تحطم قيم المجتمع الدينية وأخلاقه الفاضلة، وتساعد على الانحراف، وتدفع إلى الرديلة، وتقتل الوقت، ولا تتناول قضايا المجتمع ومشاكله، وأن الجمهور وإن كان

يُقبل على مشاهدة وسائل الإعلام هذه، فليس معنى ذلك أنه مقتنع بها أو راض عن هذه الأعمال، وإنما يراها لقوة تأثيرها وانعدام البدائل الأخرى...^(١).

وفي دراسة أخرى أجراها الدكتور عبد الرحمن العيسوي على مجموعات من الشباب اللبناني، أظهرت النتائج: أن الغالبية من هذه العينات وهي (٧٢%) يعتبرون أن ضرر القنوات التلفزيون الفضائية أكثر من نفعها، بناء على ما لمسوه مما يقدم من خلال الشاشة، مما فيه مناظر مثيرة تشجع على المعاكسة، وطلب اللذة المبتذلة، وتحث على العنف والجريمة، وتهدم الأخلاق الاجتماعية السوية، والقيم الإنسانية النبيلة^(٢).

• سبل الاحتراز من البرامج الضارة:

لا يسع المسلم أمام هذه الأخطار المحدقة به من وسائل الإعلام المضللة، إلا أن يعتمد إلى ما يلي:

١. مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وطلب رضوانه من خلال العمل على مقاطعة الوسائل والمواقع والقنوات الإعلامية التي اشتهرت بالانحراف والفساد، والعمل أيضاً على دعوة الآخرين إلى مقاطعتها والتحذير منها وعدم الترويج لها. قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به، و لا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلالة كان عليه وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً)^(٣).

٢ . تنظيم الأوقات في مشاهدة وسائل الإعلام فيما فيه جدية ظاهرة ونفع وفائدة، وعدم الانجرار وراء وسائل الإعلام والانغماس في مسلسلاتها وبرامجها عموماً، وعدم

(١) ظ: د. محي الدين عبد الحلیم، الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي، ص ١٥٤ و ١٧١ و ٢٥٣.

(٢) ظ: مروان كحك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ص ٢٤٨.

(٣) الكليني، الكافي، ٣٤/١.

تضييع الأوقات فيما لا جدوى فيه. إذ ان الفراغ والشباب (الطاقة) والغنى وبال على الإنسان ان لم يستثمرها^(١).

٣ . ملء أوقات الفراغ بالأعمال والهوايات المفيدة، كالقراءة الهادفة، والرياضة المناسبة، وزيارة الأقارب والأصدقاء، وتقوية الوازع الديني بحضور المحاضرات والمجالس الحسينية والندوات ونحوها من النشاطات الثقافية والاجتماعية والتطوعية النافعة.

٤ . عدم السكوت على هذه المواقع والمشاهد والمواقف المنحرفة والمضللة، بل مناقشة أفكارها، وبيان أخطارها . للصغار والكبار . وتحذيرهم منها، وتجلية الموقف الصحيح الذي تحجبه عن الناس^(٢).

وذلك ان الله تعالى توعد المروجين للفاحشة بعذاب أليم لما فيها من آثار وخيمة على المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ثالثاً: ضعف صلة كثير من الشباب بعلماء الإسلام:

من أخطر المشكلات الاجتماعية أثراً، ابتعاد كثير من الشباب عن علماء الدين وضعف الصلة بمجالسهم، وعدم الاهتمام بها، ظناً منهم أنهم قادرون بأنفسهم على تكوين مشاعر إيمانية، وأخلاق دينية، وثقافة إسلامية كافية من الكتب التي تقع عليها أيديهم، أو من وسائل الإعلام.

(١) قال الشاعر: (إن الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أي مفسده). ابو العتاهية، ديوان ابو العتاهية، ص ٣٤٦.

(٢) ظ: د. عبد الرحمن العبودي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص ٦٨ و ١٤٧.

(٣) سورة النور، الآية ١٩.

والواقع غير ذلك؛ لأن علماء الأمة الريانيين، هم منارات الهدى في أي مجتمع؛ بما أعطاهم الله تعالى من العلم النافع، الذي يُعرَف به الحلال من الحرام، والصواب من الخطأ، وهم الحصانة للأفراد في السراء والضراء، ولهذا فضلهم الله تعالى على غيرهم فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

إن العلماء هم ورثة الأنبياء والأوصياء، وإن صحبتهم من أقوى العوامل في إصلاح الفرد المسلم، وتعميق إيمانه، وتطبيع أخلاقه على الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط، وتفقيهِه أمور الدين، وإعدادهِ روحياً، وتكوينه تربوياً، والأخذ بيده نحو الكمال المنشود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

وفي وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: (يا علي من لم تنتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته..)^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله: أيُّ جلسائنا خير؟ قال: (من ذكركم الله رؤيته، وزاد في عملكم منطقتُهُ، وذكركم بالآخرة عملُهُ)^(٤).

إن مما ينبغي على شباب هذه الأمة، توثيق صلتهم بالعلماء الريانيين المخلصين ونقويتها، والإكثار من زياراتهم، وحضور مجالسهم والتعلم منهم، واحترامهم وإكرامهم، وعرض المشكلات عليهم، والاستماع إلى آرائهم وتوجيهاتهم، وتلك الصفات . بحق . من أهم أسباب الحصانة من الانحراف بكافة أنواعه وصوره، وهي أيضاً من أبرز عوامل الارتقاء بالأمة، وتحقيق آمالها وطموحاتها، وبخاصة في هذه الظروف

(١) سورة الزمر، الآية ٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٥٤/٤.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٦/١٠.

العصيبة التي يمر بها المسلمون، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (لمجلس أجلسه إلى من أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنة)^(١).

• **سبل الوقاية من هذه المشكلات وعلاجها:** فضلاً عما تقدم ذكره من سبل

الوقاية والعلاج للمشكلات الاجتماعية الآتية، يجدر التنويه بسبل أخرى منها:

١- تحصين الشباب بالثقافة الإسلامية الواعية من خلال الاهتمام بالرعاية الأسرية والبرامج الإعلامية الدينية والتربوية، وربطهم بالمساجد، وتعريفهم بالأحكام الشرعية لتلك المشكلات، والخطورة المترتبة عليها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

٢- الإكثار من ذكر القصص والنماذج والمواقف التاريخية لرجالٍ وشبابٍ ونساءٍ كانوا في موضع القدوة الصالحة لا سيما سيرة ومواقف النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وقد قيل: إن الحكايات جند من جنود الله تعالى، يثبت بها قلوب أوليائه، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٣).

٣- حث الشباب والفتيات على الزواج المبكر، وتيسير أسبابه لهم، وتقليل المهور ونفقات الأعراس؛ لتحصينهم ضد الإغراءات والمفاسد: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(٤).

٤- الحث على انكار التبرج، ومنع الخلوة والمحادثات الفاتنة، والاختلاط المحرم، في المجالس والمنديات ونحوها، والعمل على تجنب ما يثير الغرائز، ومحاسبة من

(١) الكليني، الكافي، ٣٤/١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) سورة هود، الآية ١٢٠.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ١١٧/٦.

يجتزئ على ذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٢). قال ابن عاشور: (وهذا يقتضي النهي عن كل ما من شأنه ان يذكر الرجل بلهو النساء ويثير منه إليهن من كل ما يرى أو يسمع من زينة أو حركة كاللثني والغناء وكلام الغزل، ومن ذلك رقص النساء في مجالس الرجال ومن ذلك التلطح بالطيب الذي يغلب عبيقه)^(٣).

٥- إنزال العقوبة الشرعية بالمفسدين والمجرمين، وعدم التهاون معهم؛ لما يسببونه من أضرار ومفاسد دينية وأخلاقية وصحية ومعيشية، تُدمر المجتمع ومكتسباته عاجلاً أو آجلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

رابعاً: فشو الفواحش الأخلاقية:

لم يقتصر المنظور القرآني في بناء الإنسان - الفرد والمجتمع - على وضع الأسس السليمة، بل شفع ذلك بتوجيه من يزاولون عملية البناء، إلى العدالة^(٥) التي ينتج منها السلوك الأمثل الذي من ثمراته: ضمان استمرار البناء، وتنمية قدرته على العطاء، تحقيقاً للهدف الكبير، وهو تقديم الإسلام وأحكام الإسلام وأخلاق الإسلام خالية من الشوائب، كي تُمثل الصورة الحركية على أرض الواقع، لا أن يظل الإسلام حبيس الأوراق وعقول أصحابه المنحصرين عن العمل راضين أو مغلوبين على أمرهم بقهر الظلمة والطغاة. ويكون بهذا بعيداً عن الوجه التي أرادها المنهج القرآني من هذا

(١) سورة النور، الآية ٣٠.

(٢) سورة النور، الآية ٣١.

(٣) التحرير والتنوير، ١٧١/١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٥) والتي هي درجة عالية من الاستقامة على جادة الشرع، أو الملكة النفسية التي تمنع الإنسان من الوقوع في المحرمات أو ترك الواجبات، أو تدفعه إلى التوبة من ذلك عند الوقوع في الذنب). محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ١١١/٢.

البناء، ومن ثم ظهور الانحرافات (التي نجدها عند المسلمين في القرون الأخيرة - في - إهمال الجانب الاجتماعي من الدين، وإبراز الجانب الفردي، فقد أصبح النموذج المثالي للإنسان المسلم هو ذلك الإنسان المنعزل عن الناس..)^(١).

فحرم الله سبحانه وتعالى الفواحش بشتى أنواعها، ليبقى المجتمع سليماً نظيفاً نقياً، مادياً ومعنوياً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(٢). ومن هذه الفواحش (الانحرافات): (الزنا، واللواط، والقذف والاختلاط..) والتي سنبين حكمها وحكمة تحريمها، والأخطار المترتبة عليها في المجتمع.

١- جريمة الزنا:

حكم الزنا: الزنا محرم تحريماً قطعياً بالكتاب والسنة الشريفة، وهو من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣). وفي الآية أكثر من إفادة في تشديد حرمة هذا العمل القبيح، يقول السيد الطباطبائي: (نهى عن الزنا وقد بالغ في تحريمه حيث نهاهم عن أن يقربوه، وعلله بقوله: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) فأفاد أن الفحش صفة لازمة له لا يفارقه، وقوله: (وَسَاءَ سَبِيلًا) فأفاد أنه سبيل سيئ يؤدي إلى فساد المجتمع في جميع شؤونه حتى ينحل عقده ويختل نظامه وفيه هلاك الإنسانية)^(٤).

وفي سنة المعصوم نلاحظ اقتران الزاني بالشرك، قال الرسول ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،...، فإنه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص)^(٥).

(١) د. محمد بن لطف الصباغ، الإنسان في القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(٣) سورة الاسراء، الآية ٣٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ٧٣/١٣.

(٥) الكليني، الكافي، ٣٢/٢.

الحكمة من تحريم الزنا: تتجلى الحكمة من تحريم الزنا، بإظهار مفسده وأضراره على الفرد والمجتمع، بل وعلى الإنسانية كلها في حال معاشهم ومعادهم ومن هذه الأضرار والمخاطر التي حُرِّم الزنا من أجلها^(١):

- ١- الزنا يسبب أمراضاً فتاكة تعصف بحياة أفراد المجتمع، كالسيلان والزهري والأيدز وغيرها، كما أنه سبب في العذاب الأليم يوم القيامة، لأنه من الكبائر.
 - ٢- الزنا يفسد نظام البيت ويقطع العلاقة بين الزوجين، ويعرض الأولاد لسوء التربية والتشرد والانحراف، كما أنه يسبب ضياع النسب.
 - ٣- الزنا وإن أشبع الرغبات الجنسية، إلا أنه لا يشبع الرغبات الروحية، والتي هي من مقاصد الزواج الشرعي.
 - ٤- الزنا يكون سبباً في العزوف عن الزواج الشرعي، وهو عملية حيوانية مؤقتة لا تبعة وراءها، يمجه الطبع السليم، وينأى عنها الإنسان السوي الشريف.
- وقد نصّت عقوبة الزنا في القرآن الكريم بالجلد وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿
- الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وسبب هذه القسوة في العقوبة، هو أنّ هذه الجريمة لا يُنظر فيها إلى مقدار الاعتداء الشخصي الواقع على المزني بها، فإنه إذا كان برضاها فليس ثمة أذى حسي واقع عليها، وإنما يُنظر فيها إلى ما يترتب من شيوع هذه الفاحشة من نتائج خطيرة بالنسبة للمجتمع، فيترتب على هذا الشيوع ألا يُقبل الناس على الزواج، مكتفين بتلك العلاقات، وبذلك تتحل الأسرة، وبانحلالها تذهب أقوى رابطة في بناء المجتمع الفاضل.

(١) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المنظور القرآني في بناء الإنسان، (اطروحة دكتوراه)، ص ٢٤٨.
(٢) سورة النور، الآية ٢، مما يلفت النظر هنا أن القرآن الكريم قدم ذكر المرأة الزانية على الرجل الزاني وذلك لأن الشهوة فيهن أكثر وعليهن أغلب، بخلاف السرقة، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٤٩/٧.

٢- جريمة اللواط:

اللواط فعلة قذرة وانحراف عن الفطرة، وشذوذ في السلوك، ومن أبشع المنكرات وأخطرهما على الإنسانية من جميع الجوانب، وقد فعله قوم لوط عليه السلام، فعاقبهم الله عقاباً شديداً.

حكم اللواط: هو حرام من كبائر الذنوب، ودليله من الكتاب والسنة واضح، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(١). وفي سنة المعصوم عليه السلام قال الإمام الصادق عليه السلام: (حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج إن الله أهلك أمة بحرمة الدبر ولم يهلك أحدا بحرمة الفرج)^(٢). وعقوبته مفصلة عند الفقهاء^(٣).

عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام: رجل أتى رجلاً قال: (إن كان محصناً فعليه القتل وإن لم يكن محصناً فعليه الجلد، قال: فقلت: فما على الموطئ؟ قال: عليه القتل على كل حال محصناً كان أو غير محصن)^(٤).

الحكمة من تحريم اللواط: حرّم اللواط لأنه من أكبر الجرائم والفواحش التي تسبب فساد الدين والخلق، والفطرة والدنيا، والحياة نفسها، ولهذا كان عقاب مرتكبيها مناسباً لبشاعة فعلهم، فحسف الله الأرض بقوم لوط، وأمطر عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا

(١) سورة الاعراف، الآية ٨٠-٨١.

(٢) الكليني، الكافي، ٥/٤٣٥.

(٣) قال الفقيه القطب الراوندي: (ومن ثبت عليه حكم اللواط بفعله الايقاب كان حده أحد خمسة أشياء: اما برمي من مكان عال، أو يرمى عليه جدار، أو يضرب رقبتة، أو يرمم، أو يحرق بالنار. وان أقيم عليه الحد بأحد الأربعة ثم يحرق جاز ذلك تغليظاً وتشديداً للعقوبة وتعظيماً).
فقه القرآن، ٢/٣٧٨.

(٤) الكليني، الكافي، ٧/١٩٨.

جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ، مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ ﴿١﴾.

ومن الأخطار والأضرار المترتبة على هذا الفعل:

- ١- مقت الله سبحانه وتعالى ولعنته، ثم مقت الناس وازدراؤهم لمن يتجرأ على مثل هذا الفعل.
 - ٢- يسبب هذا الفعل انصراف الرجل عن المرأة، وعجزه - أحياناً - عن مباشرتها، وبهذا تتعطل وظيفة الزواج وإنجاب الأولاد، وقد قال قوم لوط له عندما عرض عليهم نكاح بناته وترك أضيافه: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٢).
 - ٣- يسبب لفاعله أمراضاً فتأكدة، منها الحمى التيفودية، والدوسنطاريا، والايديز وغيرها، كما يسبب تمزق المستقيم، وهتك أنسجته، وارتخاء عضلاته (٣).
- اللواط لوته أخلاقية، ومرض نفسي، وفساد للطباع، فصاحبه لا يميز بين الفضيلة والرذيلة، عديم الوجدان ميت الضمير، لا يتحرج من السطو، وارتكاب الجرائم، واختطاف الأبرياء وإن كانوا صغاراً، فكانت الوقاية منه أمر ضروري فعمدت السنة المطهرة ان حرمت بواده وهذا ما نلاحظه في قوله ﷺ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: من قبل غلاماً من شهوة أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) (٤).

(١) سورة هود، الآية ٨٢-٨٣.

(٢) سورة هود، الآية ٧٩.

(٣) للتوسعة: انظر: المصادر الطبية: د. محمد وصفي، الإسلام والطب.

(٤) الكليني، الكافي، ٥/٤٨٥.

٣- جريمة القذف:

تعريف القذف في الاصطلاح: هو قذف المرأة بالزنا أو ما كان في معناه^(١).
حُكْمُ الْقَذْفِ: القذف محرم في الشريعة الإسلامية، وقد دل القرآن المجيد على حرمة دلالة واضحة وعد القاذف فاسقاً، ورتب على ذلك عقوبة الجلد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

عقوبة القاذف: القاذف الذي يرمي محصناً (رجل أم امرأة) بالزنا، ولم يأت بأربعة شهود، وعقوبته بصريح القرآن الكريم ثمانين جلدة، ولا تقبل للقاذف شهادة أبداً، وبعد فاسقاً عند الله سبحانه وعند الناس^(٣)، فهو بهذا - القرآن الكريم - يجمع العقوبات الثلاث لهم: (الجلد وردّ الشهادة والتفسيق)^(٤). وحقيقة لا نجد عقوبة صارمة على اللسان في التشريعات الإسلامية كجريمة القذف!

والكتاب العزيز يشدد على بشاعة هذه الجريمة وضرورة الاقلاع عنها وعدم ذكر أعراض الناس بالسوء وحفظ اللسان وعدم أتباع الهوى فهذا موجب لللعن الله تعالى عليه في الدارين وهو إنذار شديد اللهجة يوجهه للذين يرمون المحصنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥)، والآية عامة في رمي الرجال والنساء على حدٍ سواء، وذكرت النساء من

(١) ظ: المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الأصول، ص ٤١٦ .

(٢) سورة النور، الآية ٤ .

(٣) ظ: الجصاص، أحكام القرآن، ٣/٣٤٨-٣٦٧، المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ٤/٤٠٧ .

(٤) الكاشاني، زبدة التفاسير، ٤/٤٧٩، ظ: القمي، تفسير القمي، ص ٤٥٥ .

(٥) سورة النور، الآية ٢٣ .

دون الرجال لأن رميهم بالفاحشة أشنع وأنكى للنفوس، ففذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى^(١).

وفي السنة الشريفة نلاحظ قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (وحرّم الله وِجْذَ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ لِمَا فِيهِ مِنْ فُسَادِ الْأَنْسَابِ وَنَفْيِ الْوَلَدِ وَإِبْطَالِ الْمَوَارِيثِ وَتَرْكِ التَّرْبِيَةِ وَذَهَابِ الْمَعَارِفِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالْعُلَلِ الَّتِي تُوْدِي إِلَى فُسَادِ الْخَلْقِ)^(٢).

ويدرج في ذلك كل عمل وقول فاسد ينشر السموم في المجتمع ويسئ الى حرمة ويدفعه نحو الهاوية والإنحطاط في استسهال الذنوب واقترافها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣). وقال الإمام الصادق عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ومن غير مؤمناً بشئ لم يمت حتى يركبه)^(٤).

حكمة تحريم القذف: تقدم الكلام على الحكمة من تحريم الزنا واللواط، ولبشاعة هذه الجرائم كان الرمي والالاتهام بها شنيعاً أيضاً فيضاف هنا القذف إليهما وذلك للحيلولة دون انتشار المفاصد الاجتماعية والأخلاقية التي يُبتلى المجتمع بها عن هذا الطريق، ولحماية الأعراض وصونها عن التهم والطعون، والمحافظة على سمعة الإنسان وصيانة كرامته، ومنع ضعاف النفوس من إشاعة الفاحشة في الأبرياء الغافلين، والمحافظة على مشاعر أفراد الأسرة والعمل على تماسكها، وبالتالي تماسك أفراد المجتمع بشكل عام^(٥).

(١) ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١٩/٧، الثعالبي، الجواهر الحسان، ٤٣٨/٢.

(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٥٦٥/٣، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٧٤ / ٢٨ .

(٣) سورة النور، الآية ١٩.

(٤) الكليني، الكافي، ٣٥٦/٢.

(٥) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠/١١.

أن القذف يؤدي إلى حقوق العار والمعرفة بالمقذوف والمقذوفة، ومن يقربهما وتشعب ظنون الناس حوله، ويؤدي إلى التشكيك في نسب الأولاد، ويتسبب في تفكك الأسر وانهارها، كما يؤدي إلى الأحقاد والعداء بين أفراد الأسرة، وأحياناً إلى المشاجرات وسفك الدماء.

٤- الاختلاط غير المنضبط:

لا شك أن المجتمعات البشرية المعاصرة لا تتمكن من الفصل التام بين الرجل والمرأة في حركة الواقع الاجتماعي، ولكن يمكن توقي الاختلاط في الموارد غير الضرورية وبذلك يتسنى للمجتمع التوصل إلى حفظ العفة الاجتماعية والتقوى الجنسية، أما الاختلاط غير المنضبط فحُكمه: هو النهي عنه، لما له من أضرار ومخاطر، وذلك كالاختلاط في الحفلات العامة أو المناسبات، واستقبال الضيوف، أو ميدان العمل، أو المدارس، والجامعات، والمستشفيات والأسواق ونحوها.

ومن أدلة النهي عنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١)، وقوله ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)^(٢). وتوجيه الحديث ان النساء المتبرجات وغير المنضبطات بتعاليم الشرع المقدس هنه فتنة في دين الرجل، والأمر ذاته في وجود الرجل غير المنضبط مع المرأة فتنة عليها وامتحان صعب ومما لا تحمد عقباه.

حكمة تحريم الاختلاط غير الشرعي:

- ١- سد باب الفتنة، ومنع وقوع الفواحش، من تبرج، وعري، وزنى ونحوها.
- ٢- حفظ الأعراض، والبقاء على الحياء عند الرجال والنساء على حد سواء.

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ١٢٤/٦.

- ٣- تحقيق الطمأنينة، والمحافظة على السلامة العقلية والنفسية والصحية.
- ٤- المحافظة على تماسك الأسرة، وحفظها من الشكوك، والتهتك والتفكك.

الأخطار المترتبة على هذا الاختلاط، ومنها ما يأتي:

- ١- فساد الأخلاق وإماتة الضمائر، وقتل الغيرة لدى الناس.
- ٢- ظهور الفواحش، من تبرج وعري، وزنى، إذ يكون كل جنس حريصاً على أن يظهر في أعين الجنس الآخر بأجمل مظهر وأحسن لباس، ويؤدي هذا التسابق إلى وجود الفجور والزنى^(١).
- ٣- تدمير الأسرة، وبالتالي تفكك المجتمع وسقوطه وحلول القلق والتوتر، والأمراض النفسية والعصبية.

ومن جميل ما نلخص به في هذا المقام (إننا نفترض أنّ العمل إذا كان مختلطاً من الرجال والنساء في أوضاع موافقة لأحكام الشريعة «لا مخالفة لها كما في السفور والميوعة ووجود الريبة والاختلاط المحرم» فالاختلاط الحاصل من العمل إذا فرض في حدود الشريعة الإسلامية وآدابها، فلا دليل على انتهائه إلى الفساد وإثارة الغرائز، فلا دليل على حرمة، على أنّ هذا إذا كان دليلاً على الحرمة فهو يدلّ على حرمة بيع الرجال للنساء في الأسواق الإسلامية.

بالإضافة إلى أننا نرى لا بدّية أن يحرص ربّ العمل أو الجامعة أو الحكومة على تهيئة ظروف نقيّة عند حصول الاختلاط، بحيث لا يكون أيّ مناخ للنزوات المريبة والممارسات غير الشرعية واللقاءات المريبة البعيدة عن علاقات الدراسة أو العمل^(٢).

(١) ظ: أخطار الزنى وقد تقدمت ص ١٥٠.

(٢) حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ١٤٢٩هـ، ٢٨٥/٦.

خامساً: المخدرات ، والمسكرات:

١- **المخدرات:** وتعريفها: هي ما يغيب العقل والحواس، دون أن يصحب ذلك نشوة^(١).

وفي المفهوم الطبي: هي كل مادة تؤثر على الجهاز العصبي بدرجة تضعف وظيفه أو تفقدها بصفة مؤقتة^(٢)، ومن أنواع المخدرات: الحشيش، والهيروين، والكوكايين، والأفيون، والقات، والبنج، وجوزة الطيب^(٣).

٢- **المسكرات:** ومنه الخمر (المسكر) وهو في اصطلاح الفقهاء: يقول المشكيني في تعريفه: (هي الشراب المسكر كان من العنب أو التمر أو غيرها، وأما إطلاقها على كل مسكر مزيل للعقل في وقت محدود مايعاً كان أو جامداً، فهو صحيح بحسب اللغة.. كما أنه موضوع للحرمة قطعاً)^(٤).

فالمخدرات والمسكرات فهي جميعها تشترك في تخدير العقل، وإحداث فتور عام في البدن - على ما مرَّ في التعريفات - مع وجود تخيلات فاسدة، وأفكار غير حقيقية، قد يترتب عليها بعض الجرائم والجنايات^(٥)، وبناء على هذا تلحق المخدرات بالمسكرات لاشتراكهما في علة تحريم المسكر^(٦).

(١) ظ: القرافي، الفروق، ٢١٧/١.

(٢) ظ: مصطفى الرافي، أحكام الجرائم في الإسلام، ص ٤٤.

(٣) ظ: د. عبد الله الطيار، المخدرات في الفقه الإسلامي، ص ٣٥ وما بعدها.

(٤) المشكيني، مصطلحات الفقه وأصوله، ص ٢٢٨.

(٥) ظ: عبد الله الطيار، المخدرات في الفقه الإسلامي، ص ٨٠.

(٦) ظ: المصدر نفسه.

حكم المخدرات والمسكرات:

المخدرات والمسكرات، وإن اختلفت أنواعها وتفاوتت في تأثيرها على العقل، إلا أنها محرمة، فيحرم تناولها وتعاطيها، والاتجار بها، وترويجها ونحوه، ومن أدلة تحريمها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). وقد تضافرت الروايات على حرمة كل مسكر، فيقول النبي ﷺ: (كل مسكر حرام)^(٢)، وانه لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وساقبها وآكل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه^(٣)، وقال ﷺ: (شارب الخمر كعابد الوثن)^(٤). واتفق العلماء قديماً وحديثاً على تحريم المخدرات ومنها الحشيش^(٥).

فالمتعاطي لها إن كان معترفاً بحرمتها وشربها فهو مسلم عاص، مع بقاءه على إسلامه؛ لعدم إنكاره لهذه الحرمة التي تثبت بالكتاب والسنة، وحكم هذا أن يُحد على شربها مع بقاءه على الإسلام.

وأما إن كان منكرًا لحرمتها أي مستحلاً لها بعد علمه بأدلة التحريم، فهو كافر؛ لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، ولا مسوغ لهذا الإنكار إلا الكفر^(٦).

(١) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٢) الكليني، الكافي، ٤٠٧/٦، البخاري، صحيح البخاري، ١٠١/٧.

(٣) ظ: المصدر نفس، ٣٩٨/٦، أحمد، مسند أحمد، ٣١٦/١.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٩ / ٢٥٤.

(٥) ظ: د. عبد الله الطيار، المخدرات في الفقه الإسلامي، ص ١٠٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

الحكمة من تحريم المخدرات والمسكرات: حرمة الشارع لحكم منها:

- ١- حفظ الكليات الخمس، الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، والتي جاء الشرع بحفظها.
 - ٢- حفظ كرامة الإنسان، والمحافظة على المنزلة التي تليق بإنسانيته، والبُعد عن الذلة والصغار.
 - ٣- حفظ الأسرة من التفكك والضياع، والمجتمع من الانحلال والدمار.
- أخطار المخدرات والمسكرات وأضرارها^(١): إن لتعاطي المخدرات أضراراً كثيرة وخطيرة على الفرد والمجتمع منها:

- أضرار دينية: تعاطيها يصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، وباقي العبادات والطاعات.
- أضرار اجتماعية:

١- يوقع العداوة والبغضاء والتدابير والتقاطع بين أفراد الأسرة الواحدة، وبين المجتمع بشكل عام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢).

٢- كثرة الحوادث المؤلمة التي يذهب ضحيتها كثير من أبناء المجتمع.

٣- يؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة وتشرذم الأطفال.

- أضرار صحية:

وهي كثيرة جداً وقاتلة، كالتسمم الكحولي، وضمور المخ والمخيخ، والنوبات الدماغية، والتهابات الأعصاب، والعمى، والتهاب البلعوم وسرطان المرء، وفقدان

(١) ظ: د. مصطفى الرافي، أحكام الجرائم في الإسلام، ص ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩١.

الشهية، والتهابات الأمعاء بأنواعها، وتضخم الطحال. ونقص المناعة^(١)، فهو يُحوّل الانسان الجميل الباسم، إلى هيكل عظمي شاحب اللون كئيب المنظر.

• أضرار اقتصادية ومنها:

- ١- ضعف جسم الإنسان وانهيار قواه مما يجعله يتسبب في ضعف الإنتاج.
- ٢- ابتزاز الأموال ونهب ثروة الأمة من قبل الأعداء الذين يروجون المخدرات والمسكرات، وبالتالي سيطرتهم على الأمة مادياً ومعنوياً.
- ٣- علاج المدمنين، وملاحقتهم، يضيف عبئاً على الدولة ويكلفها أموالاً كثيرة.
- ٤- ذهاب بركة الأموال وزوال النعم وحلول النقم بالأمة أفراداً وجماعات.

سادساً: الغش وأثره في المجتمع:

هو خلاف النصح الذي هو: (إخلاص العمل عن شوائب الفساد)^(٢)، وقد نهى القرآن المجيد عن هذه الرذيلة، لما فيها من أثر واضح على أفراد المجتمع، ومن أمثلته التي نهى القرآن الكريم عنها، قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٣).

ومن اللافت للنظر في هذا النهي أن نزول هذه السورة في مكة، وهذا بطبيعة الحال تأكيد ضمنى لبغض الدين الإسلامي لهذه الحالة - التطفيف -، وكذلك شمول منهجه للحياة الواقعية وشؤونها العملية، وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة المنهج الإلهي القويم، فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقي في التعامل، وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الاجتماعية، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة، وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل

(١) ظ: د. البار، الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات، د. عبد الله الطيار، المخدرات في الفقه

الإسلامي، ص ٦١.

(٢) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٩٤.

(٣) سورة المطففين، الآية ١-٣.

على المطففين، وهم يومئذ سادة مكة، - أصحاب السلطان المهيمن - .. ورفع صوته عالياً في وجه الغبن والبخس الواقع على الناس وهم جمهرة الشعب المُستغلين لكبرائه المتجرين بأرزاقه.

وبهذا لا يقف الحد عند التطفيف في الميزان، فمن مصاديق الغش، غش الحاكم لرعيته والمتمثل بظلمهم ومنعهم حقوقهم، ومن مصاديق الحاكم كل مسؤول تولى شيء من أمور المسلمين سواء أكان رب أسرة أو رب دولة، ومن ذلك النهي عن الغش ما ورد عن النبي ﷺ قوله: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة)^(١).

إذن لا يتفشى الغش في الميزان والمكيال إلا إذا اختل ميزان العدل في نفس الإنسان، فيكون اختلال الميزان والمكيال انعكاساً لاختلال ميزان العدل في نفس الإنسان، ولو شاع هذا الأمر لاختلت الموازين ليس فقط في مجال الموزونات المادية، ولكن في كل معاملة بين طرفين من حيث الحقوق والواجبات.. ليس فقط بين البائع والمشتري، ولكن بين العبد وربه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين العامل ورب العمل، وبين الزوج وزوجته، وبين التلميذ وأستاذه، وبين الأسرة ورب الأسرة، وبين المالك والمستأجر وبين الرئيس والمرؤوس.. وهكذا، فاضطراب المعاملات بين كل هذه الأطراف كيف نتوقع ان يستقيم بناء المجتمع؟!!

(١) مسلم، صحيح مسلم، ٨٨/١ .

سابعاً: الرِّشوة وأثرها في إفساد العلاقات الاجتماعية:

الرِّشوة مأخوذة من الرِّشاء: وتعريف الرشوة هو: ما يُعطى لحاكم أو غيره لإبطال حق، أو لإحفاق باطل^(١).

حكم الرشوة: هي محرمة، وتعد من كبائر الذنوب على الآخذ والمعطي والوسيط بينهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وإذا أخذ الحاكم الرشوة ليقضي له بباطل، فإن الحاكم بهذا فاسق وذلك (من وجهين، أحدهما: أخذ الرشوة، والآخر: الحكم بغير الحق؛ وكذلك الراشي)^(٣).

أما في سنة المعصوم نلاحظ التشديد على حرمة الرشوة، قال النبي ﷺ: (لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما)^(٤)، فعلى الحكام وأصحاب الأمر - أنى كان موقعهم كبر أو صغر - الالتزام بما شرع الله تعالى من أحكام وعدم الركون إلى أعوان الشيطان، والتلاعب في العدل وفق الأهواء نتيجة مؤثرات خارجية وتحت وسائل متنوعة، وهذا التصلب في دين الله وعِزِّه وعدم الركون إلى المفسدين من الراشين دليل إجلال وإعظام لله ﷻ وسمو بالنفس.

ونستلهم ذلك من موقف ربيب القرآن العظيم فهذا أحدهم^(٥) يتوسل بطريقة بإرسال حلوى إلى بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام، آملاً في ان يستعطف الإمام تجاه قضية رفعها إليه، وسمى ما قدمه تحت عنوان (هدية)، فيأتيه جواب الإمام صارماً قاطعاً، قال عليه السلام: (هبلتكَ الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ ... والله لو أعطيت الأقاليم

(١) ظ: الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ٩١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٨.

(٣) الجصاص، أحكام القرآن، ٥٤١/٢ .

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧٤/١٠١، ظ: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢١٢/٢ .

(٥) هو الأشعث بن قيس الكندي. ظ: نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢١٨/٢ .

السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلت،
وأنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضّمها، ما لِعليّ ونعيم يفنى ولذة لا
تبقى!؟) (١).

إذن الرشوة تؤدي إلى نقشي الظلم والفساد والتمييز بين الأفراد في المجتمع
الإنساني، وتصادر العدالة في جميع مؤسّساته، فأدان القرآن المجيد إياها وقبحها
وعدها من الكبائر.

الهدية: تعريفها و حكمها:

تعريفها: هي ما يعطى من غير طلب أو شرط، بقصد إظهار المودة وحصول
الألفة، والثواب، للأقرباء والأصدقاء والصلحاء، ومن يحسن الظن بهم (٢)، وهي
مستحبة، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل الهدية ولا يأكل
الصدقة ويقول: تهادوا فإن الهدية تسل السخائم وتجلي ضغائن العداوة والاحقاد) (٣).
وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: (تهادوا تحابوا، تهادوا فإنها تذهب بالضغائن) (٤). وهي من اللياقات
ذات الأثر المهم في المجتمع الإسلامي - كما سيمر علينا في مقامه - (٥).

الفرق بين الرشوة والهدية:

- الرشوة محرمة باتفاق، والهدية في الأصل مستحبة باتفاق .
- الرشوة ما يعطيه بشرط أن يعينه، والهدية لا شرط معها.

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢/٢١٨.

(٢) ظ: حسين مذكور، الرشوة، ص ١٣٧، د. الطريقي، جريمة الرشوة في الشريعة، ص ٦٨.

(٣) الكليني، الكافي، ٥/١٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ٥/١٤٤.

(٥) ظ: الفصل السابع، ثالثاً: اللياقات في المجتمع الإسلامي، ص ١٨٣ من هذا الكتاب.

-الرشوة ما أخذت طلباً، والهدية ما بذلت عفواً، وقد تطلب ولكن تقابل بمثلها أو حسن منها.

فالأصل أن الهدية جائزة، بيد أن سدَّ الذريعة يقتضي عدم قبولها من قبل القضاة والولاة ومن في حكمهم، والتعفف عنها خشية الوقوع في الحرام، وذلك لأن النبي ﷺ (استعمل رجلاً .. يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي قال: فهلاً جلس في بيت أبيه - أو بيت أمه - فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأخذ أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر - ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه - اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثاً)^(١).

مضار الرشوة وأثرها في إفساد العلاقات الاجتماعية^(٢):

لا شك أن الرشوة تعد مرضاً اجتماعياً خطيراً، يتسبب تفشيهِ إفساد حياة الأفراد والجماعات، واضطراب نظامهم، ومن آثارها السيئة:

- ١- إهدار القيم الإسلامية العليا، كالعدل، فينتشر الظلم.
- ٢- تولية الوظائف العامة والمراكز المهمة في الدولة لغير مستحقيها، وانتشار الحقد بين الناس، واستيلاء الخوف واليأس على قلوب الضعفاء.
- ٤- أكل المال بالباطل، وانحصار المصالح ورؤوس الأموال لدى فئة معينة من الناس.
- ٥- الإعانة على ضياع حقوق من لا يقدر على الرشوة لصالح الذي تعود أن لا ينجز الحقوق إلا بالرشوة.

(١) البخاري، صحيح البخاري، رقم ٢٥٩٧.

(٢) ظ: الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، ص ٧٨.

الفصل السابع

المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي



المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي

بيّن الإسلام مبنى العلاقة الصحيحة بالآخرين من خلال قول الإمام علي عليه السلام في حديثه عن الناس بأنهم: (إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق)^(١)، على أساس هذه القاعدة دعا الإسلام الى جملة من الاخلاقيات وآداب في التواصل مع الناس.

أولاً: الآخر في المجتمع الإسلامي (النظرة والتعامل)

إنّ النظرة إلى الآخر والتعامل معه ينطلقان من خلفيّة الناظر إليه، والتي قد تكون أمراً يتعلّق بالتكوين كالجنس واللّون والعمر، أو بالطبقة الاجتماعية كالحالة الماديّة والموقعيّة الهرميّة، أو بالانتماء القبليّ أو القوميّ، أو يتعلّق بالفكر كالعقيدة التي يؤمن بها، أو يتعلّق بالسلوك العمليّ الذي يمارسه.

وقد هدّب الإسلام هذه الخلفيّة، مشيّدًا المباني الإنسانيّة التي لا بدّ من مراعاتها في النظرة والتعامل مع الآخرين، وهذا ما يتّضح ممّا يأتي.

١- جنس الآخر:

كان أهل الجاهليّة في الجزيرة العربية ينظرون إلى البنت بنظرة سوداوية يعبر عنها القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢) وجاء الإسلام ليلغي التمايز الكماليّ بين المرأة والرّجل، ليجعلهما في

(١) نهج البلاغة، ٨٤/٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٥٨-٥٩.

سلوك الكمال على حدّ المساواة مع الرّجل، قال تعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (١).

وجاءت تعاليم النبي ﷺ لتؤكد الإيجابية في الفتاة من بين الأولاد، فعنه ﷺ: (خير أولادكم البنات) (٢)، وعنه ﷺ: (من دخل السوق فاشتري تحفة، فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور) (٣).

٢- لون الآخر

صعد النبيّ الأعظم ﷺ المنبر طارحاً رؤية الإسلام من الآخر بقوله: (إن الناس من عهد آدم ﷺ إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربيّ على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالنقوى) (٤).

ولتنشيط هذه النظرة اختار ﷺ بلالاً الحبشيّ ذا اللون الأسود مؤدّباً لأشرف فريضة وهي الصلاة. قال المستشرق النمساويّ أوبرمان جوزيف (١٨٨٤ - ١٩٥٦م): (إن سيرة محمّد من أشق الأمور على الدارس أو الباحث؛ لأنّ نبوغه من النوع المركّب الغريب، فهو بحقّ، أوّل من أنهى التفرقة العنصريّة في قول بسيط شامل: (المسلم أخو المسلم). (لقد حل القضية في ثلاث كلمات، أما اليوم، فمشكلة العنصريّة انعقدت بشأنها عشرات المؤتمرات، ومئات الكتب دون جدوى، وبقيني أنّ الحلّ لن يأتي إلّا في القرن القادم، لكنّ محمّداً حلّها منذ ثلاثة عشر قرناً) (٥).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٩١/١.

(٣) الصدوق، ثواب الأعمال، ص ٢٠١.

(٤) الكوفي إبراهيم، تفسير الفرات، تحقيق: جلال الدين الأرمون، إيران، (دت)، ٢/ ٨٢٣.

(٥) الصفار، سالم، سيرة الرسول، ص ٢٦٠.

٣- عُمر الآخر

لعل ما يختصر نظرة احترام الإسلام للآخر من ناحية عمره قول الرسول الأكرم ﷺ: (وقرّوا كباركم، وارحموا صغاركم)^(١). وقد أكد النبي ﷺ تقديره العملي لسُنَّ الشباب، حينما عيّن أسامة بن زيد الذي لم يتجاوز ثمانية عشر عاماً قائداً للجيش الإسلامي، رغم اعتراض البعض بقولهم: (أمر غلاماً على جَلّة المهاجرين والأنصار)^(٢).

٤- الحالة المادية للآخر

لم يضع الإسلام علامة السلب على الغنى، ولا علامة العيب على الفقر، بل دعا الغني أن يجعل ماله في سبيل تكامله، ودعا الفقير إلى السعي وحسن التدبير والصبر، وأن لا يكون الغنى بذاته أو الفقر بنفسه ميزة تفضيل البعض على الآخر. بل القاعدة في ذلك هي التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شيء)^(٣).

٥- الموقع الهرمي للآخر

رفض الإسلام اعتبار الموقع الهرمي والمسؤولية معياراً لأفضلية الآخر، رافعاً شعار: (كلكم راجع، وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٤)، مؤكداً على أن قيمة المسؤولية تكون باعتبار ما يقع في إطار خدمة الناس ونفعهم على القاعدة النبوية: (الناس كلهم عيال لله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)^(٥).

(١) الصدوق، الأمالي، ص ١٥٤.

(٢) ابن هشام محمد، سيرة النبي، تحقيق: عبد الحميد، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ٤/ ٣٢٨.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/ ٢٩٩٠.

(٤) زين الدين علي، منية المريد، تحقيق: رضا المختاري، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ص ٣٨١.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨/٧٢..

٦- الانتماء القبلي للآخر

دعا الإسلام إلى الاهتمام بقرابته وعشيرته، فعن الإمام عليه السلام: (أكرم عشيرتك؛ فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول)^(١)، لكنه رفض أن تكون العشيرة هي المعيار المطلق الذي يحدّد الفضل والموقف الصحيح، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم)^(٢).

٧- الانتماء القومي للآخر

تقدّم قول النبي صلى الله عليه وآله: (... لا فضل للعربي على العجمي... إلا بالتقوى)^(٣). وقد طبّق الإسلام هذه القيمة في ذمّ القرآن الكريم لعمّ النبي صلى الله عليه وآله بقوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٤)، وفي مدح النبي صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي (رض) بقوله: (سلمان منا أهل البيت)^(٥). قال الشاعر^(٦):

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشُّركُ الشريف أبا لهب

٨- عقيدة الآخر

مع تأكيد الإسلام أنه يمثل العقيدة الصحيحة، وأن الحقيقة تنحصر به دون غيره من الأديان، إنه لم يطرح حتمية وقوع عذاب الله تعالى على كل إنسان غير مسلم،

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٥/٧١.

(٢) الكليني، الكافي، ٣٠٨/٢.

(٣) الكوفي، الفرات، ٨٢٣/٢.

(٤) سورة المسد، الآيتان ١-٣.

(٥) المفيد، الاختصاص، ص ٣٤١.

(٦) الطبرسي، نفس الرحمن في فضائل سلمان، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة الأفاق،

١٤١١هـ، ص ٥٢١.

بعض النظر عن المقدمات التي أدت به إلى اعتقاده الخاطيء، لا سيما أن العقل الإنساني القطعي يرى قبح تعذيب القاصر لم يقصر في أية مقدمة من مقدمات النتيجة التي وصل إليها، وقد أكد القرآن الكريم هذا الطرح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾^(١). وقد علق العلامة الطباطبائي على هذه الآية بقوله: (يتبين بالآية أن الجهل بمعارف الدين إذا كان عن قصور وضعف ليس فيه صنع للإنسان الجاهل كان عذراً عند الله سبحانه)^(٢).

وعلى هذا الأساس رفض أهل البيت عليهم السلام ثقافة فرز الناس على أساس النتائج بعض النظر عن مقدماتها، فقد ورد عن زرارة أنه زار مع احد أصحابه الإمام الباقر عليه السلام وقال له: إنما نمد المطمار، قال عليه السلام: ما المطمار؟ قال زرارة: التمر (أي خيط البناء)، فمن وافقنا من علويّ أو غيره تولينا، ومن خالفنا من علويّ أو غيره برئنا منه، فقال عليه السلام: (يا زرارة، قول الله اصدق من قولك، فأين الذين قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾؟! ^(٣) أين المرجون لأمر الله؟! أين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؟! أين أصحاب الأعراف؟! أين المؤلفة قلوبهم؟! ^(٤).

(١) سورة النساء، الآيتان ٩٧-٩٩..

(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٥١/٥.

(٣) سورة النساء، الآيتان ٩٨-٩٩..

(٤) الكليني، الكافي، ٣٨٣/٢.

وخلاصة الأمر في مصير الآخر عند الله تعالى من حيث عقيدته تتجلى
بالحالات الأربع الآتية:

الحالة الأولى: أن يكون الآخر عالماً بالحق، عارفاً به، ومع ذلك ينكره ويجحده
لسبب ما كالحسد والاستكبار ونحوهما، وقد ورد في هذا النوع من حالات الكافر قوله
تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾^(١)، فهذه الآية واضحة في جحود فرعون وأتباعه، مع يقينهم بأن
ما رأوه هو من آيات الله عز وجل.

الحالة الثانية: أن يكون غير مطلع أصلاً على العقيدة الحقّة، أو مطلع، لكنه لم
يبحث مع توفر الداعي إلى ذلك، فيكون الكافر في هذه الحالة مقصراً، فهو، وإن لم
يصل إلى حالة علم بالعقيدة الحقّة، لكن دواعي وظروف البحث والوصول إلى النتيجة
توفرت له، ومع ذلك، لم يكلف نفسه مؤونة البحث ليصل إلى نتيجة موضوعية.

الحالة الثالثة: أن يكون غير مطلع أصلاً، أو مطلع، لكنه لم يبحث بسبب وجود
يقين تامّ بخلاف ما يتطلبه الإيمان.

الحالة الرابعة: أن يكون غير مطلع أصلاً، أو مطلع، لكنه لم يبحث بسبب قصور
معرفي، ينتفي معه أي داعٍ للبحث عن الحقيقة.

أما الحالة الأولى والثانية (الجحود والتقصير)، فالحكم فيهما هو استحقاق العقاب
للجاحد بسبب جحوده، والمقصر بسبب تقصيره. ولكن استحقاق العقاب لا يعني
وقوعه الحتمي؛ إذ العقل يحكم بأن الله تعالى إذا وعد بثوابٍ يجب منه أن يفِي بوعده،
أما إذا توعدَّ بعقاب، فيمكن أن يسقطه من باب رحمته وفضله وإحسانه.

(١) سورة النمل، الآيات ١٢-١٤.

قال المحقق نصير الدين الطوسي من علماء الشيعة الإمامية: (... ودوام العقاب مختص بالكافر، والعمو واقع؛ لأنه حقّه تعالى، فجاز إسقاطه، ولا ضرر عليه في تركه، مع ضرر النازل به، فحسّن إسقاطه، ولأنه إحسان، وللمسمع^(١)، والمراد من السمع أنه بالإضافة إلى الدليل العقلي على إمكانية سقوط العقاب عن الكافر، يوجد نصوص دينية دلّت على ذلك أيضاً.

أما الحالة الثالثة وهي حالة وجود يقين تام بما يعتقد الكافر حقاً، مما يفقده الدافع للبحث عن اعتقاد آخر، فهي كسائر حالات اليقين عند الإنسان التي لا يمكن أن يصحح فيها عقاب الإنسان على تبعات عدم إيمانه بعقيدة يتيقن بخلافها، فالخطاب بتلك العقيدة لا يمكن أن يتوجّه إليه، فكيف يحاسب عليه؟! إن العقل القطعي الدال على الحكمة الإلهية، بناءً على الإيمان به لا يجوز عقاب ذلك المتيقن، وحسابه على أمر يقطع بخلافه.

أما الحالة الرابعة، وهي حالة القصور المعرفي، فهي مشابهة للحالة الثالثة من ناحية حكم العقل القطعي بقبح العقاب من الله تعالى، باعتباره نوعاً من الظلم، فمن كان قاصراً عن إدراك الحقيقة، غير مقصّر في السعي للوصول إليها، ولم يعتقد بها بسبب هذا القصور، فكيف يمكن للعادل أن يعاقبه؟! أليس عقابه يشبه عقاب المجنون أو الطفل الصغير على ما يرتكبه من دون وعيه لذلك؟!^(٢)

(١) الطوسي، تجريد الاعتقاد، تحقيق: محمد جواد الحسين الجلاي، قم، مكتب الإعلام الإسلامي،

١٤٠٧، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) للمزيد من الاطلاع ظ: أكرم بركات، التكفير، بيروت، دار الأمير، ٢٠١٤، ص ٢١١، ولسائر

مباحث هذا الفصل ظ: المؤلف ذاته، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ١٠٦.

٩- سلوك الآخر

اعتبر الإسلام أن عقيدة الإنسان هي الأساس في استحقاقه لثواب الله تعالى، إلا أنه ورد في عدة نصوص شريفة ما يفيد أن الله تعالى يحترم الصفات الإنسانية التي تتبثق منها إعمال حسنة، وانه تعالى بمنه وتفضله يتعامل مع اصحاب هذه الإعمال برفق ورحمة، وهذا ما نقرؤه في الروايتين الآتيتين:

عن الإمام الباقر عليه السلام: (إن مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به، فهرب منه الى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك، فأضله وإرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه: وعزتي وجلالي لو كان في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار، هيديه، ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار..)(^١).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (كان في بني إسرائيل رجل مؤمن، وكان له جار كافر، فكان يرفق بالمؤمن، ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرها، ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتوليه من المعروف في الدنيا)(^٢).

كلمة أخيرة: اعتبر الله تعالى المعيار الأساس للتفاضل بين الناس هو التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣)، والتقوى هي صفة للقلب، لذا كانت نسبتها القرآنية بقوله عز وجل: ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٤)، وبما أن هذا المعيار غير ظاهر، فينبغي اللفت في التعامل مع الآخرين، بغض النظر عن ظواهرهم، فعن الامام علي عليه السلام: (إن الله تبارك

(١) الكليني، الكافي، ١٨٩/٢.

(٢) الصدوق، ثواب الاعمال، ص ١٦٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) سورة الحج، الآية ٣٢.

وتعالى ... أخفى وليّه في عبادته، فلا تستصغرن عبداً من عباد الله، فربما يكون وليّه وأنت لا تعلم^(١).

ثانياً: أخلاقيات التواصل مع الناس:

وقبل بيان أخلاقيات التواصل مع الناس، نرى من الضرورة بمكان بيان الفائدة الكبيرة والأهمية العظيمة، النابعة من التواصل، فهو الذي يجب أن تكون أولوية من أولويات كل إنسان؛ ذلك أن التواصل مع الآخرين **يتمتع بالمزايا والفوائد الآتية:**

- يكتسب الفرد خبرة جيدة في الحياة ويعرف معادن الناس بشكل يمكنه من التعامل مع مستجدات الأمور التي تطرأ عليه خلال حياته. يمكن الإنسان من خلال تواصله مع الناس أن يكون علاقات اجتماعية تكون سنداً له خلال مسيرته الحياتية.
- يمكن للفرد أن يستشعر بحب الناس له، الأمر الذي يعطي للنفس طاقة عجيبة من نوعها تكون دافعاً له لإكمال طريقه والوصول إلى ما يطمح إليه.
- يفيد في عملية تطوير شخصية الإنسان واكتساب مهارات التحدث والنقاش مع مختلف أصناف الناس.
- مكسباً حقيقياً لكل من لديه فائض كبير من الإنسانية؛ فمعرفة أحوال الناس وكيف يقضون أوقاتهم وكيف يصمدون أمام ما يواجههم من تحديات يعطي الإنسان أملاً كبيراً، ودافعاً للعيش على الأقل لمساعدة المحتاجين منهم.
- كفيل بأن يذهب الهم والغم عن الإنسان، حيث يجعل الإنسان يبدو بحالة أفضل خاصة إذا ما فرغ ما بداخله، لكن لمن يثق بهم فقط وليس لأي شخص.

(١) الصدوق، معاني الاخبار، ص ١١٣.

- يهذب الإنسان ويكسبه الكياسة واللباقة في الحديث، ممّا يحبّب إليه الجميع، ويجعله مرغوباً ومحبوّباً من كل من يراه.
- يجعل الإنسان يقبل على الله أكثر، فالتواصل مع الناس وإجراء الحديث معهم، خاصة أولئك الذين حباهم الله تعالى بالعقول الجميلة القادرة على إدخال مفاهيم الجمال وحب الله تعالى قلوب من يحدثونهم.
- يُوسّع آفاق الإنسان، حيث يمكنه زيادة إبداعاته وتحسين تطلعاته وأشواقه، إذ إنّ التواصل بإمكانه أن يكسب الإنسان القدرة على التفكير بشكل أفضل وبالتالي الوصول إلى أفكار خلاقة ومبدعة تساعد على انتشار نفسه ومجتمعه وأمته مما أصابهم جميعاً من المشاكل.

بعد ان اتضحت الفوائد المرجوة من التواصل مع الناس، نقف على جملة من أخلاقيات التواصل معهم والتي أكدتها التعاليم الإسلامية وحثت المجتمع الإسلامي الى التحلي بها، والتي منها:

خدمة الناس: أكد النبي ﷺ أن مقدار حبّ الله تعالى للإنسان يحدّده عمله في نفع الناس الذي له مصاديق كثيرة، كتأمين لقمة عيش الفقير، وتعليم الجاهل، وإقراض المحتاج، وعلاج المريض، وتزويج العازب، وإعمار الطرقات، وبناء المدارس، ... الخ، فعنه ﷺ: (الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم الى الله عز وجل أنفعهم لعياله)^(١)، وفي حديث آخر، سئل الرسول الأكرم ﷺ: أي الناس أحب إلى الله؟ فقال ﷺ: (أنفع الناس للناس)^(٢).

- **ثواب خدمة الناس:** أكدت الاحاديث الشريفة على الثواب الجزيل الذي يقابل به الله تعالى في الآخرة من خدم الناس، وقضى حوائجهم، كقول الرسول الأكرم ﷺ:

(١) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ١٦/٣٤٥..

(٢) الكلينيّ، الكافي، ٢/١٦٤.

(من قضى حاجة لأخيه، كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح، والا شفعت له)^(١)، وقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله عبداً من خلقه، يفرغ العباد اليهم في حوائجهم، أولئك هم الآمنون يوم القيامة)^(٢)، وقول الإمام الباقر عليه السلام: (من مشى في حاجة لأخيه المسلم حتى يتمها أثبت الله تعالى قدميه يوم تزل الأقدام)^(٣).

ب: مداراة الناس: مر علينا فيما تقدم من هذا الكتاب موضوع المداراة ضمن "أسباب تقوية الروابط الاجتماعية"^(٤) ونظراً لأهميتها في أخلاقيات التواصل مع الناس نذكرها هنا لمعرفة الشخصية الأخلاقية المطلوبة في التعامل مع الآخرين فنعرض عناوين خمسة تتوزع بين الناس أثناء تعاملهم مع الآخرين، وهي:

١- **الفظاظة:** إن بعض الناس يتصفون بالغلظة والشدة والفظاظة والخشونة في تعاملهم، بما يُسبب نفور الناس منهم، وقد بيّن الله تعالى سلبية هذا السلوك بقوله عز وجل: ﴿..وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥).

مع الأخذ بنظر الاعتبار ان هذه الغلظة والفظاظة لم يمارسها رسول الله صلى الله عليه وآله مع خصومه والمعادين له! فما بالك فيمن هم تحت ولايته ومحبيه فحريّ بنا نحن كمسلمين التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله في تعاملنا مع مَنْ نختلف معهم بوجهات النظر أو ممن لنا معهم خصومة من غير فظاظة أو غلظة، إذ ان صفتي (الفظّ، والغلظة) وان كانتا (بمعنى واحد هو الخشونة، إلا أن الغالب استعمال الأولى في الخشونة الكلامية، واستعمال الثانية في الخشونة العملية والسلوكية، وبهذا يشير سبحانه الى ما كان يتحلّى به الرسول الأعظم من لين ولطف تجاه المذنبين والجاهلين)^(٦).

(١) الطبرسي، مستدرك الوسائل، بيروت، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٧م، ٤٠٥/١٢.

(٢) الطبرسي، مستدرك الوسائل، ٤٠٩/١٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ظ: المداراة والتلطف بالآخرين، ص ١١٧ من هذا الكتاب.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٩٧/٢.

٢- **المداهنة:** وفي مقابل الفظاظة، نلاحظ أن بعض الناس يتصرفون مع الآخرين بمسايرة تصل إلى حد المداهنة التي أكدت بعض النصوص سلبيتها، وسوء فاعلها، فعن الإمام علي عليه السلام: (شرّ إخوانك من داهنك في نفسك، وساترك عيبك)^(١).
٣- **التملق:** وما يشترك مع المداهنة في التعامل السلبي، هو التملق الذي عرفه الإمام علي عليه السلام بقوله: (الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق)^(٢)، وقد وردت أحاديث عديدة في النهي عنه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (ليس من أخلاق المؤمن التملق)^(٣).
٤- **الفطنة:** المقصود منها الذكاء الحاد والنباهة الشديدة مقابل الغفلة، فالمغفل في اللغة من لا فطنة له^(٤).

ومن الواضح أن اتّصاف الإنسان بالفطنة أمر جيد ومستحسن، إنما الكلام في حُسن الفطنة في كل الأمور، فهل من الأفضل للإنسان أن يكون ذا فطنة ودقة ونباهة في جميع أنحاء علاقاته بالآخرين؟

من الواضح أن التعامل مع الآخرين بحدّة ودقة في جميع المجالات هو أمر متعب لكلا الطرفين، لذا وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام النصيحة بإعطاء هامش للتعاقل، والتسامح في العلاقة بالناس، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل)^(٥).

إذاً الفطنة، وإن كانت قد تحصل من دون فظاظة، هي مقابل التملق والمداهنة، إلا أن الإسلام وضع العناوين الأربعة في خانة السلب المطلق أو النسبي، حسب ما نلاحظ مما سبق، ودعا إلى عنوان خامس هو المداراة.

(١) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٩٤.

(٢) نهج البلاغة، ٨١/٤.

(٣) الطبرسي، مستدرك الوسائل، ٤٦٧/٨.

(٤) الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط ٢، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، ٤١٩/٤.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص ٣٥٩.

المدارة: إن المدارة المطلوبة في الإسلام هي المسابرة التي لا تتجاوز الحق، وإلا فإنها تتحول إلى المداينة المبعوضة، وهذا ما أرشد إليه رسول الله ﷺ: (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق)^(١)، فإن وقفت عند حدود الحق كانت رأس العقل، وعنوانه، كما في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين ﷺ: (عنوان العقل مداراة الناس)^(٢).

خلفية المدارة: نلاحظ أن الإنسان عادةً يساير ويداري أهل بيته كأبيه وأمه وأولاده وإخوته بسبب القرب الخاص بينه وبينهم بحيث يتحمل أخطائهم في حين لا يتحملها ان صدرت عن غيرهم ويلين في التعامل معهم في الوقت ذاته الذي قد يقسو في التعامل مع الآخرين وتأتي ثقافة الإسلام لتربي المسلم على أن يتعامل مع المسلمين جميعاً كأنهم أهل بيته فيسايرهم ويداريهم كما يساير ويداري أقرباه الرحميين فعن الإمام زين العابدين ﷺ: (أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك وتجعل تركبك منهم بمنزلة أخيك فأبي هؤلاء تحب أن تظلم، وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره وان عرض لك إبليس لعنة الله، بأن لك فضلاً على احد من أهل القبلة فانظر إن كان اكبر منك فقل: سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني وان كان تركبك فقل: أنا على يقين من ذنبي في شك من أمره فما لي ادع يقيني لشكي فانك إن فعلت ذلك سهل الله عليك عيشك وكثر أصدقاك وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم)^(٣).

ج- حُسن الظنّ بالناس: من القيم النفسية التي دعا إليها الإسلام (حسن الظن) بالآخرين أي ترجيح الجانب الايجابي أو على الأقل غير السلبي فيما يفعله الناس مما

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٤٢..

(٢) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٣٩ .

(٣) الطبرسي، الاحتجاج ، تحقيق محمد الخراسان، النجف الاشرف، دار النعمان ١٩٦٦م، ٥٢/٢..

قد يبدو سلبياً بحسب التحليل فعن الرسول الأكرم ﷺ: (احسنوا ظنكم بإخوانكم (...)^(١)).

ولتوضيح حسن الظن بالآخرين نعرض المثالين الآتيين:

١- مرّ أمامي احد زملائي في الجامعة بدون أن يلقي التحية علي، فبدأ التحليل لماذا فعل ذلك؟ هل هو يتكبر علي؟ هل هو يبغضني؟ أو انه لم يلتفت إلي أثناء مروره؟ إن حسن الظن يقول لي: ابن انه لم يلتفت إليك فلعله شارد الذهن أثناء مروره نحوك.

٢- استدعاني مدير المؤسسة التي اعمل فيها ووبخني على بعض ما فعلته، مع العلم إنني لم أكن وحدي، بل كان برفقتي زميل لي، فبدأ التحليل: هل صاحبي هو الذي نقل ذلك إلى المدير، أو يمكن أن يكون عند المدير مصدر آخر؟ إن حسن الظن يقول لي: ابن على الاحتمال الثاني.

قد نجد في بعض الحالات صعوبة في تسويغ العمل ومع هذا فقد دعانا النبي ﷺ إلى التماس العذر له، والبحث عن محمل حسن لعمله فعن النبي ﷺ: (اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً)^(٢). وعن الإمام علي عليه السلام: (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيتك ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد له في الخير محملاً)^(٣).

ويمكن مقارنة هذا النوع من الأحاديث من خلال التأمل في أن المعلومة التي تلقيتها وما ينتج من موقف على أساسها تمر بقناة ذهنية نفسية تؤثر فيها خلفيات الإنسان وتوجهاته الداخلية التي لحياته الخاصة وليبئته وثقافته اثر بارز فيها، فينعكس هذا الأمر على الموقف المتخذ.

(١) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق (ع)، بيروت، الاعملي، ١٩٨٠م، ص ١٧٣.

(٢) الصدوق، الخصال، ص ٦٢٢.

(٣) الكليني، الكافي، ٣٦٢/٢.

• **حُسن الظن بين التعمية والموضوعية:** قد يعتقد بعضهم أن حسن الظن بالناس فيه نوع سلبي من التعمية على الحقيقة فهل هذا الأمر صحيح؟
الجواب: نحن نسلّم أن حسن الظن فيه نوع من الإغماض، لكنه ايجابي في أمرين: الأول: انه قد يكون موضوعياً أكثر من سوء الظن. الثاني: انه من عوامل سكينه النفس واطمئنان القلب .

إما كونه مقارباً للموضوعية فالنّ سوء الظن في كثير من الأحيان يكون ناتجاً من فهم خاطئ للموضوع كما في المثالين المتقدمين فقد يكون انشغال الإنسان ببعض همومه هو سبب عدم التفاته وإلقاء التحية وقد يكون للمدير مصدر معلومات غير ذلك الزميل. والاحتمال السلبي الآخر وان كان موجوداً فقد يكون مصدره تلك القناة الذهنية بين تلقي الخبر أو الحديث وبين فهمه .

أما كونه من عوامل اطمئنان القلب، فهو ما أشار إليه الرسول الأكرم ﷺ بقوله: (احسنوا ظنونكم بإخوانكم تعتموا بها صفاء القلب)^(١). كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: (حُسن الظن راحة القلب)^(٢).

• **حدود حُسن الظن:** إن حسن الظن بالناس رغم ايجابياته الكثيرة. له حدود ينبغي الالتفات اليها منها:

١- ان حسن الظنّ إنما هو عند الاحتمال في المقابل احتمال آخر وليس عند اليقين بالسوء، فقد يعلم الإنسان علم اليقين بشيء سلبي قام به الآخر، فهنا عليه أن يكون فطناً في ردة فعله ضمن الضوابط الشرعية، وقد عبر عن هذا المطلب أمير المؤمنين عليه السلام فيما ورد من قوله: (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك)^(٣).

(١) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص ١٧٣.

(٢) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٢٩.

(٣) الكليني، الكافي، ٣٦٢/٢.

٢- ان حسن الظن لا يعني التفريط في التعامل مع الآخرين بثقة مطلقة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (لا تتقن بأخيك كل الثقة: فان صرعة الاسترسال لا تستقال)^(١).

كلمة أخيرة: إن أخلاقيات التي دعا إليها الإسلام في التعامل مع الناس تساهم في سكينه النفس واطمئنان القلب. وهما منشأ سعادة الإنسان كما تساهم في بناء مجتمع سليم يحب بعضه بعضاً كما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: (حُسن الخُلُق يثبت المودة)^(٢).



(١) الحرائي، تحف العقول ، ص٣٥٧ .
(٢) المجلسي، بحار الانوار ، ١٤٨/٧٤ .

ثالثاً: لياقات التواصل مع الناس

إنها آداب سلوك تنظم أصول التعامل بين فرد وآخر ولأهميتها ورد فيها الكثير من الأحاديث والحكم والقصص في المنظومة الإسلامي القيمة، فالغنى كله موجود في مفاهيمنا حتى لو استخدم البعض مفردات بعيدة عن ما يوحي إلى ظاهرها، إنَّما تلتقي معها في الهدف، نسمع كلمة: (Etiquette اتيكيت)، دلالة على بعض اللياقات والآداب الاجتماعية بين الناس على صعيد المعاملة والتواصل بينهم، وعبر عنها الفرنسيون بكلمة: Savoir-vivre كآداب للحياة.

ومن هذه اللياقات والآداب التي دعا الإسلام إلى التخلُّق بها عند التواصل مع الآخرين:

١ - **طلاقة الوجه:** تقدم الكلام عن "البشاشة وطلاقة الوجه" ضمن موضوع أسباب تقوية الروابط الاجتماعية من هذا الكتاب، وسوف نعرض لها هنا لأهميتها في اللياقة بين أفراد المجتمع الإسلامي، إذ لاشك أن اللقاء الأول، وما يتخلله، يعطي انطباعاً أولياً له أثره المهم في النظرة إلى الآخر، لذا دعت الأحاديث الشريفة إلى التعبير عن السعادة بلغة الجسد، فعن الرسول الأكرم ﷺ: **(إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر)**(١)، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: إلق أخاك بوجه منبسط)(٢). وللدلالة على أهمية طلاقة الوجه ورد عن النبي ﷺ قوله: **(تبسمك في وجه أخيك صدقة)**(٣).

(١) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ٤١٠/٦..

وفي مقابل هذا حذرت الأحاديث من العبوس في وجه من نلقاه من الأصدقاء والأخوة، فعن النبي الأكرم ﷺ: (إن الله يبغض المعبس في وجه إخوانه)^(١)، وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (البخل وعبوس الوجه يبعدان من الله)^(٢).

٢- التزيّن: إن استقبال الزائر بلباس حسن يعبر عن الاهتمام به، لذا ورد عن الإمام علي عليه السلام: (ليتزيّن أحدكم لأخيه إذا أتاه، كما يتزيّن للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة)^(٣).

٣- الصوت المناسب: أرشد القرآن الكريم إلى مراعاة الصوت المناسب أثناء محادثة الآخرين، قال تعالى: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٤). وللاية مصاديق كثيرة على الإنسان ان يتجنبها ومن مصاديقها العطاس بصوت مرتفع، أو الصراخ عند التكلّم، وهو الواضح فيما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: (العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا إلا أن يكون داعياً أو يقرء القرآن)^(٥).

٤- إلقاء التحية: تقدم الكلام عن "إفشاء السلام" ضمن موضوع أسباب تقوية الروابط الاجتماعية من هذا الكتاب، ونختصر القول فيها هنا لما لها أثر كجزء من اللياقات التي دعا إليها الإسلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام: (للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه)^(٦).

(١) النوري، مستدرك الوسائل، ٣٢١/٨.

(٢) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٨/٧٦.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٩.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦١/٦٦.

(٦) الكليني، الكافي، ١٨٨/٢.

وأكد الإمام الصادق عليه السلام أن يكون أول الكلام في اللقاء هو السلام، فعنه عليه السلام:
(السلام قبل الكلام)^(١) كما دعا القرآن الكريم إلى مبادلة ملقي التحية بالرد بمثلها، أو
بأحسن منها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٢).

وقد بينت الأحاديث الشريفة فوائد "السلام" والتي منها:

- إضفاء المحبة بين المؤمنين: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أولا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم)^(٣).
- إضفاء روحية التواضع: عن الإمام الصادق عليه السلام: (من التواضع أن تسلّم على من لقيت)^(٤).
- زيادة الحسنات: عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (سلّم على من لقيت يزد الله في حسناتك)^(٥).

٥- المصافحة: عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إذا تلاقيتهم، فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتهم فتفرقوا بالاستغفار)^(١).

وقد أكدت الأحاديث الشريفة أن للمصافحة آثاراً إيجابية، منها إزالة العلائق القلبية السلبية تجاه المؤمنين، ففي الحديث النبوي: (تصافحوا؛ فإن المصافحة تذهب غلّ الصدور)^(١).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢/٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٦.

(٣) الطبرسي، مستدرک الوسائل، ٣٦٢/٨.

(٤) الكليني، الكافي، ٦٤٦/٢.

(٥) المفيد، الأمالي، تحقيق حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٠.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٥/٧٣.

٦- **طيب الكلام:** دعت الأحاديث إلى انتقاء الكلمات الطيبة في التواصل مع الآخرين على قاعدة القول الجميل: (البرّ شيء هين، وجه طليق، وكلام لين)^(٢). وطيب الكلام أمر أساسي في حقيقة الخلق الحسن للإنسان، فعن ابن محبوب عن بعض أصحابه عن الإمام الصادق عليه السلام: (قلت له: ما حدّ حسن الخلق؟ قال: تليّن جناحك، وتطيّب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن)^(٣).

وبيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله القيمة العظيمة لطيب الكلام في عدة أحاديث منها: قوله صلى الله عليه وآله: (الكلمة الطيبة صدقة)^(٤). وقوله صلى الله عليه وآله: (اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة، فإن لم يجد أحدكم فبكلمة طيبة)^(٥). (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام)^(٦).

وفي مقابل طيب الكلام حدّر الإسلام ونهى عن استعمال الكلمات البذيئة والفاحشة، ففي الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها)^(٧)، وعنه صلى الله عليه وآله: (أربعة يؤذون أهل جهنم على ما بهم من الأذى: رجل يسيل فوه قيحاً ودماً... فيقال: ما بال الأبعد، قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يحاكي، فينظر إلى كل كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها...)^(٨).

(١) الدينوري، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠٠٣م، ٤١/٣.
(٢) ابن أبي الدنيا، الصمت وآداب اللسان، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ص ١٧٣.
(٣) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.
(٤) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ٢٣٢/٥.
(٥) الراوندي، النوادر، تحقيق سعيد عسكري، قم، مؤسسة دار الحديث، ص ٨٦.
(٦) الصدوق، الأمالي، تحقيق: ونشر مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ، ص ٤٠٧.
(٧) المتقي الهندي، كنز العمال، ٥٩٨/٣.
(٨) الصدوق، الأمالي، ص ٦٧٧.

٧- **عدم مقاطعة المتكلم:** من الأخلاق الحميدة في الإنسان أن يصغي للآخر، ولا يقاطعه أثناء حديثه قبل أن يفرغ منه، وقد ورد في بعض الأحاديث أن المقاطعة بمنزلة الخدش في الوجه، فعن الرسول الأكرم ﷺ: (من عرض لأخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه)^(١).

٨- **المناداة بأحب الأسماء:** ذكر النبي ﷺ أموراً تساهم في المحبة بين الناس، وتصفي ودّ المرء لأخيه المسلم منها: (يلقاه بالبشر إذا نقيه،... ويدعوه بأحب الأسماء إليه)^(٢)، أي يتجنب أن يناديه باسم أو لقب لا يحبه، ويختار الاسم، أو الكنية، أو اللقب المناسب الذي يحب أن يُنادى به.

٩- **عدم التناجي:** نَبّهت بعض الروايات إلى عادة سلبية قد تؤذي الجالس، وهي التناجي سرّاً بين اثنين بدون أن يسمعهما الثالث، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا كان القوم ثلاثة، فلا يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما، فإن في ذلك ما يحزنه ويؤذيه)^(٣).

١٠- **حفظ السرّ:** أكدت الأحاديث الشريفة على حفظ ما يكون في المجلس باعتباره أمانة، وكون إفشائه خيانة، فعن النبي محمد ﷺ: (المجالس بالأمانة، وإفشاؤك سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك)^(٤). وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: (وددت والله أنني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق^(٥) وقلة

(١) الكليني، الكافي، ٦٦٠/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٦٤٣/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦٦٠/٢.

(٤) الطوسي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم، دار الثقافة، ١٤١٤ هـ، ص ٥٣٧.

(٥) نزق الفرس كسمع وضرب ونصر نزقاً ونزوقاً: نزا، أو تقدم خفة ووثب، طاش وخف عند الغضب. ونازقه: قاربه وآنزق: أفرط في ضحكك وسفه بعد حلم.

الكتمان)^(١)، وفي ذلك تأكيد عظيم من الإمام عليه السلام على أهمية الوقار والتأني وكذلك المحافظة على السر، وهذا حديث خطر لمن تدبر وتأمل فيه!

١١- اختيار مكان الجلوس المناسب: فصلت الأحاديث في المكان الذي

يختاره الإنسان للجلوس حينما يدخل أحد المجالس، وذلك في صورتين:

الأولى: أن يُخصَّص له مجلس ويُدعى له، فإن الأفضل أن لا يردَّ الدعوة، باعتبار أن هذا يدخل في تلبية إكرام الأخ الذي دعاه، لاسيما أن صاحب البيت هو الأعراف بالمكان المناسب لضييفه، ولسائر الجالسين، ولأهل بيته.

الثانية: إن لم يُدعَ للجلوس في مكان خاص، فإن الأولى أن يختار المكان الذي ينتهي به المجلس، بغض النظر عن موقعه، بحيث يكون ذلك المكان فيه فسحة له وللآخرين، فعن النبي الأعظم عليه السلام: (إذا أخذ القوم مجالسهم، فإن دعا رجل أخاه، وأوسع له في مجلسه فليأته، فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه، وإن لم يوسع له أحد، فلينظر أوسع مكان يجده فيجلس)^(٢). وفي حديث نبوي آخر: (إذا أتى أحدكم مجلسا فليجلس حيث ما انتهى به مجلسه)^(٣).

وفي المقابل دعا الله تعالى الحاضرين إلى الإفراح في المجالس للقادمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٤). وبهذا نلاحظ أن القرآن الكريم يرى (لكل موضوع في محلّه أهمية وقيمة خاصة، ولا يسمح لتساهل الأفراد وعدم إهتمامهم أن تؤدي الى الإخلال بالآداب الإنسانية للمعايشة)^(٥)، كما دعت الأحاديث الشريفة إلى مراعاة اللياقة في كيفية الجلوس بحيث

(١) الكليني، الكافي، ٢/٢٢٢.

(٢) الطوسي، الأمالي، ص ٥٩٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٦، ٢٤٠.

(٤) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٨/١٠٠.

يتناسب مع احترام الحاضرين، ففي أوصاف النبي الأسوة ﷺ: (ما رئي مقدماً رجله بين يدي جلس له قط)^(١).

١٢- الزيارات: للزيارة أصول من أوقات ومواعيد ولياقات وعلاقات يسودها الارتياح. قيل: (من لا يبعث السرور بمجيئه يبعث السرور لدى مغادرته)، الزيارات تتنوع بين ما هو عائلي، وما هو اجتماعي، ولها أهمية، وهناك حث على التواصل والتزاور لتثبيت دعائم الترابط الأسري والأخوة بين الأرحام، أو بين أفراد المجتمع، لنكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. كما ورد في الحديث.

ولكن لا بد من مراعاة الأوقات وأخذ المواعيد للتأكد من وجود من نريد أن نزورهم، وعدم الإطالة أكثر من اللازم، والاستئذان قبل الدخول كما ورد في الآية القرآنية: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٢).

وحسن الضيافة، على المقتر قدرة وعلى الموسع قدرة أمر مهم في هذا الموضوع. وقال رسول الله ﷺ: (ابدأوا بالسلام قبل الكلام)^(٣). ويستحب لصاحب البيت أن يبادر لملاقة الزائر قريباً كان أم صديقاً أم بعيداً، اهتماماً بالزائر واحتراماً له وشكراً له على زيارته، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما زار مسلم أخاه المسلم في الله والله إلا ناداه الله عز وجل أيها الزائر طبت وطابت لك الجنة)^(٤).

فإذا استقر المجلس بأهله والزوار استحب للإنسان أن يقسم لحظاته بين أصحابه وأهل الدار الذين يزورهم، إذا كان اللقاء لا يتضمن أكثر من ثلاثة فمن الآداب

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣٦/١٦.

(٢) سورة النور، الآية ٢٧.

(٣) الكليني، الكافي، ٦٤٤/٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٨٧/٢.

الإسلامية أن لا ينفرد إثنان منهما بحديث سرّي، لئلا يدخل الظن إلى نفس الآخرين، وإذا كان الشخص في مجلس زيارة وأراد الانصراف عليه أن يودّع من زارهم بطريقة جميلة ومناسبة وبتحية الإسلام.

١٣- الهدايا: جاء عن رسول الله ﷺ: (تهادوا تحابوا)^(١)، هناك أشخاص نحب أن نهدّهم في بعض الظروف الخاصة كالفرح، المرض، العودة من الحج، النجاح، العمل... إلى آخره من العناوين، ولا نجد ما يمكننا أن نقدمه إليهم نظراً للصعوبات المادية التي يعاني منها أكثر الناس، لا بد من مراعاة أمر، أن لا تتحول الهدية إلى عبء علينا مادياً.

كما ينبغي المحافظة على الهدية قدر الاستطاعة لذلك فهي تبقى عنوان محبة وتواصل وألفة، أن لا يراها الذي أهدانا إياها بيد أحدٍ آخر، بينما يجب أن يراها بحوزتنا، اغتنام الفرصة لتقديم هدية مناسبة معنوياً أكثر منها مادياً، فقد تكون هدية صغيرة الحجم قليلة الثمن، إنما يجدها الشخص شيئاً عزيزاً لما تمثله له من حسن اختيار لشيء يحبه، اختيار أنواع من الورود الجميلة لأنها تدخل السرور على القلب وتسرع العين والأنف معاً، أو إنتقاء بعض الشتول الخضراء التي تبقى مع الوقت رمزاً جميلاً، الحرص على تقديم بعض الهدايا الرمزية إذا لم تكن مادية للأسرة والأحبة في بعض المناسبات والأعياد وهذا يدخل السرور عليهم.

١٤- لياقات مع المسنين: جاء في الحديث الشريف: (ليس منّا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا)^(٢)، قيل حكمة: ضع سمعك وبصرك في خدمة من فقد السمع والبصر، وهناك أشخاص فقدوا الكثير من قواهم وطاقتهم وممتلكاتهم المادية هؤلاء يحتاجون أن نعاملهم بالحسنى التزاماً بأمر الله تعالى أولاً، ومعرفة منا بأننا سنصل

(١) الكليني، الكافي، ١٤٤/٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٦٥/٢.

ربما يوماً إلى هذه المرحلة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١)، وإن نفتح صدرنا لأخبارهم وحكاياتهم لما فيها من العبر والدروس، وأن نقدم لهم العون دون أن يسألونا ذلك، حتى لا نشعرهم بالحرج أو المضايقة النفسية لهم، فربطت تعاليم السماء هذا الاحترام لهم بأنه احترام لله سبحانه، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم)^(٢)، وعلامات الإجلال كثيرة منها أن لا نرفع صوتنا على أصواتهم.

١٥ - الطريق وآدابه: الطرق مما يشترك فيها الناس، ومنافعها للناس جميعاً وقد رسم لها الإسلام آداباً وأخلاقيات معينة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من بنى على ظهر طريق مأوى عابر سبيل بعثه الله يوم القيامة على نجيب من در وجوه ووجهه يضيء لأهل الجمع نوراً)^(٣)، ومن الآداب الرائعة أن الماشي في الطريق ينبغي عليه أن يجتنب كل فعل ينافي الحشمة والأدب، ولذا يكره الأكل في الشوارع. ومن الآداب الإسلامية العالية أن المستطرق إذا وجد شيئاً في طريق المارة يؤذيهم أو يعثرهم، أزاحه من طريقهم ورفع عنهم وقد كتب الله لمن فعل ذلك أجراً عظيماً ومغفرة، وفي هذا المجال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال يا رب مررت بهذا القبر وهو يعذب ومررت به مرة ثانية وهو ليس يعذب، فأوحى الله جلّ جلاله إليه ياروح الله قد أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وأوى يتيماً، فغفرت له بما عمل ابنه)^(٤).

وبكلمة: إن ما مرّ وغيره من لياقات تدخل في دائرة الشكل، إلا أن الإسلام أعطاها بُعداً قيمياً عالياً، بل جعل بعضها العنوان البارز لحسن الخلق الذي يمثل

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٢) الكليني، الكافي، ١٦٥/٢.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٣٩/١٦.

(٤) المصدر نفسه، ٣٨٣/١٦.

نصف الدين^(١)، فعن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه عن حقيقة حُسن الخُلُق، قال عليه السلام: (تَلِينُ جَنَاحِكَ، وَتَطْيِيبُ كَلَامِكَ، وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ)^(٢).

والآداب واللباقات والأخلاق، مهما تنوعت المفردات تعبر عن قيمة الذات وقيمتها وهي كنوز في رصيد تصرفاتنا وصحائف أعمالنا، وهنيئاً لمن هدي إلى الطيب من القول والفعل والسلوك والآداب: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣).



(١) الصدوق، الخصال، ص ٣٠.

(٢) الكليني، الكافي، ١٠٣/٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

رابعاً: النظام الاجتماعي العام (البيئة)

حدثنا القرآن الكريم عن بديع نظام الله تعالى في آيات عديدة منها: ﴿وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمْسْتَقَرٍّ لَهَا﴾^(١)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ﴾^(٢)، ﴿وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٣)... الخ.

وتماهياً مع النظام الكوني أرسى الإسلام دعائم النظام في حياة الانسان، فكانت
وصية الامام علي عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليه السلام: (أوصيكما وجميع ولدي، وأهلي،
ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم)^(٤).

ونظم الامر يبدأ من النظام الفردي، ويستمر في النظام الاجتماعي، وقد أكد
الإسلام على أهمية الامرين، فمن أمثلة ما دعت إليه الاحاديث في تنظيم أمور
الإنسان فرداً ما ورد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: (اجتهدوا في أن يكون زمانكم
أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان
الثقات الذي يعرفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تختلون فيها للذاتكم
في غير محرّم)^(٥).

• النظام العام

أما دعوة الإسلام إلى النظام الاجتماعي، فهي ما يظهر من خلال عناوين عديدة
دعت إليها النصوص الإسلامية، نعرض منها:

(١) سورة يس، الآية ٣٨.
(٢) سورة يس، الآية ٣٩.
(٣) سورة الروم، الآية ٢٤.
(٤) نهج البلاغة، ٧٦/٣.
(٥) الحرّاني، تحف العقول، ص ٤٠٩.

١ - عدم الإضرار بالناس:

إن طبيعة الحياة الاجتماعية التي تتزاحم فيها مصالح الناس تقتضي أن تُسنّ القوانين التي تهدف إلى تقديم المصلحة العامة لأغلب الناس كالتنظيم المدني، وقانون السير، والقوانين التي تضعها المؤسسات... الخ، وقد أرسى الإسلام المبدأ الأساس لهذه القوانين وهو عدم الإضرار بالآخرين، وهو ما أكدت عليه السُّنة النبوية من خلال قول النبي ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)^(١). فالشارع العام، مثلاً، مشترك بين جميع الناس، فلا يجوز الإضرار فيه بالمارّة، كأن يوقف السائق سيارته بحيث يسبب ازدحاماً في السير، وأن يرمي السائر فيه ما يؤدي المارّة، فهذا مما قد حرّمته الشريعة الإسلامية، بل قد يوجب ذلك الضمان على فاعل الأذية، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن الشيء يوضع على طريق المسلمين، فتمرّ الدابة، فتتفر بصاحبها، فتعقره، قال ﷺ: (كلُّ شيء يضر بطريق المسلمين، فصاحبه ضامن لما يصيبه)^(٢).

فالإنسان الذي يركن سيارته في الشارع، ويتركها بحيث يؤدي ذلك إلى ازدحام فيه، يسبّب جملة من الأضرار عليه أن يضعها نصب عينيه، وهي من قبيل:

- ١ - صرف الوقود الزائد من السيارات الأخرى بسبب سيارته الواقفة.
- ٢ - تأخر بعض الناس عن أشغالهم أو مدارسهم أو جامعاتهم.
- ٣ - إزعاج الناس بأصوات أبواق السيارات.
- ٤ - أمراض قد تتضاعف بسبب ذلك الوقوف، كالمرتبط بأعصاب الإنسان.
- ٥ - تبعات التدافع الذي قد يحدث بسبب ذلك.

(١) الحرّ العاملي، وسائل الشريعة، ١٤/٢٦.
(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٥٥/٤.

في مقابل ما مر دعا الرسول الاكرم ﷺ الى فعل ما ينفع الناس في الطرقات العامة فعنه ﷺ: (دخل عبد الجنة بغصن من شوك كان على الطريق المسلمين فأماطه عنه)^(١). وعنه ﷺ انه قال: (مر عيسى بن مريم ﷺ بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فاذا هو ليس يعذب فقال: يارب، مررت بهذا القبر عام اول وهو يعذب، ومررت به العام، وهو ليس يعذب، فأوحى الله جل جلاله اليه: يا روح الله قد ادرك له ولد صالح فأصلح طريقاً واوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه)^(٢). وعنه ﷺ قوله: (من بنى على ظهر طريق مأوى لعابر سبيل بعثه الله على نجيب من در وجوهر، ووجهه يضيء لأهل الجمع نوراً)^(٣).

٢: النظافة العامة :

حث الإسلام على النظافة الشخصية والعامة ففي الحديث النبوي الشريف: (ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة)^(٤).

فالنظافة من القيم التي أكد عليها الإسلام معتبراً:

أ: انها من أخلاق الأنبياء ﷺ وسمة بارزة فيهم، ففي الحديث عن الإمام الرضا ﷺ: (من أخلاق الأنبياء التنظف)^(٥).

ب: إنها من جنود العقل. ففي وصية الإمام الكاظم ﷺ لهشام بن الحكم في مقام تعداد جند العقل (النظافة وضدها القذارة)^(٦).

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٥٥/٤.

(٢) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ٣٣٨/١٦.

(٣) الحرّ العاملي، هداية الأمة الى احكام الائمة (ع)، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ، ٦٠٢/٥.

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة، ٣٣٠٢/٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الصدوق، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦، ١١٥/١.

ج: أنها من أعمدة البنيان الإسلامي التي لها انعكاس في الآخرة، فعن الرسول الأكرم ﷺ: (تنظفوا بكل ما استطعتم: فان الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف)^(١).

• نظافة البيوت :

بعد تأكيدها على النظافة الشخصية حثت الروايات الواردة عن المعصوم ﷺ على أهمية الاعتناء بنظافة البيوت بنحو دقيق، والمواظبة عليها لما لها الأثر البالغ على الاجواء الصحية والنفسية لأفراد الأسرة، وهذا ما نلاحظ في الأحاديث الآتية:

عن الرسول الأكرم ﷺ: (لا تبيتوا القمامة في بيوتكم، وأخرجوها نهائراً: فأنها مقعد الشيطان)^(٢).

وعن الإمام علي ﷺ: (نظفوا بيوتكم من حوك العنكبوت؛ فإن تركه في البيت يورث الفقر)^(٣). وعن الإمام الباقر ﷺ: (كنس البيوت ينفي الفقر)^(٤). وعن الإمام علي ﷺ: (لا تؤوا التراب خلف الباب)^(٥).

• نظافة الشوارع :

ذمت الروايات أولئك الذين يؤذون الناس بوضع القاذورات في الشوارع والطرقات العامة. ففي الحديث عن النبي الأكرم ﷺ: (من سل سخيمة^(٦) على طريق عامر من طريق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)^(٧).

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ٣٣٠٣/٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) السخيمة: الغائط، ظ: ابن منظور، محمد، لسان العرب، ٢٨٣/١٢.

(٧) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ١٨٦/١..

في حديث نبوي آخر قال ﷺ: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق)^(١).

وفي مقابل ذلك حثت الروايات على إزالة ما يؤذي المسلمين في الطرقات العامة، فعن النبي ﷺ: (ان على كل مسلم في كل يوم صدقة، قيل: من يطيق ذلك؟ قال ﷺ: إِمَاطَتِكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)^(٢).

٣: جمال المنظر :

إضافة إلى النظافة دعا الإسلام إلى التجميل وإظهار الجمال على المستوى الفردي والاجتماعي، فعن الرسول الأكرم ﷺ: (ان الله جميل يحب الجمال)^(٣). وعن الإمام الصادق عليه السلام: (ان الله عز وجل يحب الجمال والتجميل)^(٤).

٤: حفظ الثروة النباتية وتنميتها :

وهذا ما أكدت عليه الأحاديث الشريفة التي منها:

عن الرسول الأكرم ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرسا يأكل منه إنسان او دابة او طير إلا كانت له به صدقة)^(٥).

ومن الواضح ان زرع الأشجار لا يقتصر على فائدة الأكل منها، بل ان فيها ما يصلح لكونه كالصدقة الجارية لما في ذلك من تنقية البيئة. لذا أطلقت بعض الروايات

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ١٨٦/١.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ١٥٩٧/٢.

(٣) الكليني، الكافي، ٤٣٨/٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) البروجردي، جامع احاديث الشيعة، ٤٣١/١٨.

الدعوة الى الزرع والغرس، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (ازرعوا واغرسوا فلا والله ما عمل الناس عملاً احل، ولا أطيب منه)^(١).

وفي المقابل هناك نصوص تنهى عن قطع الأشجار المثمرة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: (لا تقطعوا الثمار (أي الأشجار المثمرة)، فيصّب الله عليكم العذاب صباً)^(٢).

٥: حفظ الثروة الحيوانية

دعا الإسلام إلى الاستفادة من الثروة الحيوانية رافضاً جعلها للهو والترف، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يخرج إلى الصيد مسيرة يوم أو يومين أيقصر في صلاته أم يتم؟ فقال عليه السلام: (إن خرج لقوته وقوت عياله، فليفطر وليقصر، وإن خرج لطلب الفضول، فلا ولا كرامة)^(٣).

٦: حفظ الثروة المائية

دعا الإسلام إلى عدم الإسراف في صرف المياه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء)^(٤).

كلمة أخيرة: إن نظام المجتمع ينبع من احترام الإنسان للآخر، ومراعاته كمراعاة نفسه، ولعل من أروع ما يدل على هذه القيمة ما ورد عن الإمام علي عليه السلام بقوله: (اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها)^(٥).



(١) الكليني، الكافي، ٢٦٠/٥.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٩/١٩.

(٣) الكليني، الكافي، ٢٦٠/٥.

(٤) الكليني، الكافي، ٤٦٠/٦.

(٥) نهج البلاغة، ٤٥/٣..

الباب الثاني

الأسرة نواة المجتمع الإسلامي

الفصل الأول: أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام.

الفصل الثاني: اختيار الشريك الصالح في بناء الأسرة المسلمة.

الفصل الثالث: المنظومة الحقوقية في الأسرة (حقوق الزوجين).

الفصل الرابع: حقوق الآباء والأبناء.



الفصل الأول

أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام



أهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام

أولاً : أهمية الأسرة^(١) وتكونها من خلال الزواج الشرعي دون غيره:

اقتضت سنة الله تعالى في الخلق أن يكون قائماً على الزوجية، فخلق سبحانه وتعالى من كل شيء زوجين، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

كما أودع سبحانه وتعالى ميلاً فطرياً بين زوجي كل جنس، فكل ذكر يميل إلى أنثاه، والعكس ف(يتم أحدهما بالآخر: فاعل ومنفعل)^(٣)، وذلك لتكاثر المخلوقات واستمرار الحياة على وجه الأرض، وجعل سبحانه ميل الرجل إلى الأنثى والأنثى إلى الرجل مختلفاً عن باقي الكائنات، فالميل عند الإنسان غير مقيد بوقت ولا متناه عند حد الوظيفة الجنسية، وذلك لاختلاف طبيعة الإنسان عن طبيعة الحيوان، فالصلة القلبية والتعلق الروحي عند الإنسان، لا يقفان عند قضاء المأرب فحسب، بل يستمران مدى الحياة.

ولما كان الإنسان مكرماً مفضلاً عند خالقه - عز وجل - على كثير ممن خلق، فقد جعل تحقيق هذا الميل واتصال الرجل بالمرأة عن طريق الزواج الشرعي فقط، ولهذا خلق الله آدم عليه السلام وخلق حواء، ثم أسكنهما الجنة فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(١) الأسرة: في علم الاجتماع رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة. ظ: محمد عاطف، علم الاجتماع، ص ٩٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٤٩.

(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٠/١٨.

مَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (٢).

وهكذا كانت أول أسرة في تاريخ البشرية هي أسرة آدم عليه السلام، ثم تكاثرت الأسر وانتشرت إلى ما نراه اليوم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٣).

لقد عُنِيَ الإسلام بالأسرة، فأحاطها بسياج من العناية والرعاية، وحرص على استمرارها قوية متماسكة، وما ذلك إلا لمكانة الأسرة وأهميتها، فما مكانة الأسرة في الإسلام؟

تبرز أهمية الأسرة ومكانتها من خلال ما يأتي (٤):

- ١- تحقيق النمو الجسدي والعاطفي، وذلك بإشباع النزعات الفطرية والميول الغريزية، وتلبية المطالب النفسية والروحية والجسدية باعتدال ووسطية.
- ٢- تحقيق السكن النفسي والطمأنينة قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٥).
- ٣- الأسرة هي الطريق الوحيد لإنجاب الأولاد الشرعيين، وتربيتهم، وتحقيق عاطفة الأبوة والبنوة، وحفظ الأنساب.
- ٤- وهي السبب في حفظ كثير من الحرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم.

(١) سورة الاعراف، الآية ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) ظ: باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٥٧، وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص ٢١.

(٥) سورة الروم، الآية ٢١.

٥- تُعد الأسرة مؤسسة للتدريب على تحمل المسؤوليات، وإبراز الطاقات، إذ يحاول كلٌّ من الزوجين بذل الوسع للقيام بواجباته، وإثبات جدارته لتحقيق سعادة الأسرة.

٦- تُعد الأسرة هي اللبنة لبناء المجتمع فالمجتمع يتكون من مجموع الأسر.

أما اتصال الرجل بالمرأة عن طريق غير مشروع (السّفاح) فهو اتصال لا يليق بكرامة الإنسان، وهو وإن حَقَّق الشهوة العابرة المشوية بالحسرة والندامة، إلا أنه لا يحقق بحال من الأحوال السكن والهدوء والاستقرار، كما أنه لم يكن من مقاصده تحمل المسؤوليات، وإنجاب المواليد، وإن جاء مولود فهو سقط، أو لقيط طريد، وهكذا يكون مثل هذا الاتصال بين الذكر والأنثى، مصدر شقاء وتعاسة، وأشباح شريرة تطارد الفاعلين له، فهم لا يشعرون بسعادة ولا استقرار ما داموا على هذه الحال، ويبقى الزواج الشرعي أسُّ تكون الأسرة وسرُّ سعادتها وبقائها، وبالتالي سعادة المجتمع واستقراره.

ثانياً : مكانة المرأة في الإسلام، مقارنةً بالمجتمعات والأنظمة القديمة والحديثة

أ : المرأة في غير المجتمع الإسلامي:

قبل الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام، لا بد من إلقاء الضوء على أوضاع المرأة في بعض المجتمعات غير الإسلامية قديمة كانت أم حديثة، وذلك ليبرز بجلاء ووضوح فضل الإسلام على المرأة بإنقاذها وإنصافها في جميع المجالات، ومن تلك المجتمعات على سبيل المثال^(١):

(١) للتوسعة في المصادر: ط: محمد حسين الطباطبائي، قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم، ص ٩٦، د. محمد نجيب ابو عجوه، المجتمع الإسلامي، ص ٢٠، د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٣- ١٤، د. حامد الخفاف، المرأة السلعة لا

١- في المجتمع اليوناني:

كانت المرأة عند اليونانيين مسلوية الحرية، والحقوق الإنسانية والاجتماعية، والاقتصادية. كما كانت تباع وتشتري، ولا تحظى باحترام، وبقيت المرأة على هذه الحال، إلى أن تبدلت واختلطت بالرجال مؤخراً، فشاع الزنا عندهم وصار فعل الفاحشة غير مُستبشع ولا مُستنكر، فكان ذلك إيذاناً بانتهاء حضارتهم وسقوطها.

٢- في المجتمع الروماني:

كانت المرأة الرومانية معدومة الأهلية تماماً كالصغير والمجنون، وعندما تتزوج تدخل في سيادة زوجها، وتصير في حكم ابنته، وله أن يحاكمها، ويعاقبها بالإعدام في بعض الأحيان، ثم تغير وضعها، فخرجت إلى مجالس اللهو والطرب، وشرب الخمر مما أدى إلى خراب حضارة الرومان وزوالها.

٣- المرأة في الحضارة الهندية:

كانت المرأة عندهم قاصرة، وليس لها حق الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ابنها، وهي في نظرهم مصدر شؤم، ومدنسة لكل شيء تمسه، ولا بد لها من حرق نفسها عند موت زوجها، وإلا عرّضت نفسها لهوان أشد عذاباً من النار، وكانت المرأة تُقدّم قرباناً للآلهة لترضى، أو لتأمر بالمطر أو الرزق.

٤- في المجتمع اليهودي:

يُعدُّ اليهود - بناءً على أصلهم المحرف - المرأة لعنة، إذ هي أصل الشرور ومنبع الخطايا، لأنها - بحسب زعمهم - أغرت آدم - عليه السلام - بالأكل من الشجرة

الملعونة^(١)، كما يعدونها نجسة في أيام حيضها، وهي عندهم بمرتبة الخادم، ولأبيها الحق في بيعها قاصرة، وهي محرومة من الميراث، ثم تغير حال المرأة عند كثير من اليهود، من النقيض إلى النقيض، ويكفي أن نعلم أن المرأة أصبحت عندهم من الأسلحة التي يستخدمونها في غزو قلوب الشباب وإفسادهم، والسيطرة على العالم.

وقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: (يجب أن نعمل لتتهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وحينئذ تتهار أخلاقه)^(٢).

٥ - في المجتمع النصراني:

كانت النظرة إلى المرأة عند رجال الكنيسة قديماً نظرة سوداوية، لأنها في نظرهم هي التي أغرت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة الملعونة، وكانوا يشككون في إنسانية المرأة، وليس لها عندهم حق في التملك، بل إنه يباح بيعها في بعض الأحيان^(٣)، كما أنهم كانوا يحتقرون العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، ويزهّدون بها، وإن كانت عن طريق مشروع.

وقد حاول بعض مجددى القرن الثامن عشر تعديل هذه النظرة نحو المرأة، لكن شيئاً فشيئاً تجاوز الأمر الحد إلى أن تمخّض النظام الاجتماعي في القرن العشرين عن نظريات ثلاث هي: المساواة بين الرجال والنساء، واستقلال النساء بشؤون معاشهن، والاختلاط المطلق بين الرجال والنساء.

(١) هذه التهمة ألقوها بالمرأة زوراً وبهتاناً، وهي منها براء، والحق أن إبليس هو الذي أغرى آدم وحواء بالأكل من الشجرة، وقد جاء اللوم لأدم في بعض الآيات دون الإشارة إلى حواء، كما هو معروف.

(٢) نقلاً عن: محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ص ١٦٩.

(٣) ظ: د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٠ - ٢١.

وهذه النتيجة وإن أوهمت المرأة بأنها نالت شيئاً من حقوقها، إلا أنها في الحقيقة انتقل بها من حضيض إلى حضيض، ومن إفراط إلى تفريط فكان (الكثير من النساء في الغرب وفي الأنظمة الاشتراكية قد فقدن الراحة، وعرقن في مهامات سحيقة من أتعاب الحياة وجهدها)^(١)، بالإضافة إلى كثرة الفواحش والمصائب والأمراض الفتاكة^(٢).

وقد أحسن مصطفى صبري إذ قال: (إن من نظر إلى مظاهر الغرب، يحسب أهله يعبدون المرأة ويجلّونها بهذا الحد، ومن هذه المظاهر، اعتبرت المرأة الشرقية مقهورة منكودة الحظ، لكن الحقيقة أن الغربيين ومقلّديهم متّاء، يعبدون هوى أنفسهم في عبادة المرأة، وما إجلال الرجل العصري المرأة؛ وتقديمه إياها على نفسه، إلا نوعاً من الضحك على ذقنها؛ لمخادعتها؛ وجعلها أداة للهو واللعب، كما أن إخراجها من خدرها وستورها، معناه، إنزالها من عرشها المنيع إلى أسواق الابتذال..)^(٣).

٦- المرأة في المجتمع العربي في الجاهلية:

كان العرب ينتشأون من ولادة الأنثى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٤)، وليس للمرأة حق في المشورة أو إبداء الرأي، ولو كان ذلك في أخص خصوصياتها، كاختيار الزوج مثلاً، وليس لها حق في الإرث، ولا في

(١) باقر شريف القرشي، المرأة في رحاب الإسلام، ص ٣١.
(٢) ذكرت مجلة التايم في تقريرها لعام ١٩٨٥م أن عدد الحوامل من بنات أمريكا مليون سنوياً، وكانت نسبة الزواج غير الشرعي ١٥% في سنة ١٩٥٠، ثم قفزت إلى ٧٥% في بعض مناطق أمريكا اليوم. ظ: د. كمال كامل، أضواء على أحوال خير أمة أخرجت للناس، ص ٤٣، وتقدّر منظمة الصحة العالمية أن الذين لاقوا حتفهم بسبب الإيدز منذ ظهوره عام ١٩٨١م وحتى نهاية عام ٢٠٠١م أكثر من عشرين مليوناً.

(٣) قولِي في المرأة، ص ٣.

(٤) سورة النحل، الآية ٥٨-٥٩.

المهر، وليس لتعدد الزوجات عندهم حد معين، ولا للطلاق عدد محدود، وتعد زوجة الأب إرثاً لأكبر أبنائه من غيرها، كما كانت هناك بعض الأتكة الفاسدة، كالشغار والاستبضاع والبغاء وغيرها.

ب : مكانة المرأة في الإسلام:

أنصف الإسلام المرأة، وأعطاه حقوقها المختلفة، ورد لها اعتبارها كإنسان، وحظيت بمكانة عظيمة لم تحظ بها في أي مجتمع غير مسلم، سواء أكان قديماً أم حديثاً، ومن مظاهر هذا التكريم^(١):

١- أقر الإسلام إنسانية المرأة وكرامتها، وأنها مخلوقة من نفس الرجل، وهي إنسانة مثله تماماً، في الخلقة وأصل الكرامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٢). ويوضح هذا المعنى السيد الطباطبائي بقوله: (النفس الواحدة آدم ﷺ، ومن زوجها زوجته، وهما أبوا هذا النسل الموجود الذي نحن منه وإليهما ننتهي جميعاً)^(٣).

٢- برأها مما ألقه بها بعض أصحاب الديانات السابقة من أنها أم المصائب، وأنها سبب إخراج آدم من الجنة، وبين أن الشيطان هو السبب في إغراء آدم وحواء^(٤)، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٥).

٣- حرم التشاؤم بولادتها، أو التعرض لحياتها بغير حق، بأي شكل من الأشكال.

(١) ظ: باقر شريف القرشي، المرأة في رحاب الإسلام، ٣٧، د. محمد البوطي، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، ص ٣٩، تكتم رضائي، المرأة في الإسلام/ حقوق أم حماية، ضمن كتاب المنهاج، ص ٢١٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ١١٩/٤.

(٤) ظ: د. محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ص ٧١.

(٥) سورة البقرة، الآية ٣٦.

الصادق عليه السلام: (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فان الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها)^(١) .

١- جعل الإسلام المرأة أهلاً للتكليف، فهي مكلفة كما أن الرجل مكلف، ومجزية بأعمالها دنيا وآخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

٢- أعطاه الإسلام حقوقاً مالية بعد أن كانت محرومة منها، فلها حق المهر، ولها أن تترث، وتتصرف فيما تمتلك، وفق حدود الشرع.

٣- جعل لها الحق في المشاورة وإبداء الرأي، بعد أن كانت مسلوبة تماماً من هذا، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾^(٣) .

كما يؤخذ رأيها في الزواج، ولها حق في الخلع، إذا ما كرهت الاستمرار في الزواج، هذا بالإضافة إلى حقوق كثيرة ذكرتها المصادر الروائية وبينتها الكتب الفقهية، ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله يختصر لنا كثير من الكلام في الحث على رعاية الأسرة والعيال في قوله صلى الله عليه وآله: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^(٤) .

وعلى الرغم من إنصاف الإسلام للمرأة، وإعطائها كل هذه الحقوق التي حُرمت من كثير منها في المجتمعات الأخرى - على ما مرَّ - وعلى الرغم من المكانة التي تبوءتها المرأة في ظل النظام الإسلامي، إلا أن بعض الحاقدين من أعداء المسلمين، وبعض المفتونين بهم من أبناء هذه الأمة، أبا عليهم حقدهم، وطبعهم في حبهم لذواتهم وعبادتهم لشهواتهم، إلا أن يطلوا برؤوسهم نافثين بسموم حقدهم، ناعقين

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤٤٣/٣ .

(٢) سورة النحل، الآية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٣ .

(٤) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٥٥٥/٣ .

بالفتنة، مظهرين التباكي والحسرة على حقوق النساء المضيعة في الإسلام، مدعين شبيهاً ما أنزل الله بها من سلطان. وهذه بعض شبههم، والرد عليها.

ج : بعض الشبهات التي أثيرت على المرأة في المجتمع الإسلامي والرد عليها:

١- عمل المرأة: قالوا: إن المرأة في الإسلام لم تمارس ما يمارسه الرجل من الأعمال والوظائف، وبهذا يصبح نصف المجتمع عاطلاً عن العمل، وتحل البطالة بالأمة.

والرد على هذه الشبهة يكون بذكر الحقائق الآتية:

أ - إن دعوى منع المرأة من العمل وتعطيل نصف المجتمع، مغالطة ومكابرة، بل المرأة تعمل في بيتها، تربي أطفالها وتخدم زوجها، وهذه مسؤولية عظيمة، وما قالوه إنما ينطبق على مجتمع لا تحظى فيه المرأة بالرعاية، ولا يتحمل مسؤولية الإنفاق عليها الأب أو الزوج أو الإبن، ولا ينطبق على المجتمع الإسلامي.

ب- كيان المرأة النفسي والجسدي يخالف تكوين الرجل، فالمرأة يعترها حيض وحمل ونفاس، ورضاع، وما يرافق ذلك من آلام وحالات نفسية، كل ذلك يعيقها عن العمل خارج المنزل، فمن الطبيعي أن يكون لكل من الرجل والمرأة عمل يناسب طبيعته، سوى الأعمال المشتركة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾^(١).

فننظر إلى نتائج تجربة عمل المرأة خارج بيتها عند بعض الدول، يقول الفيلسوف "برانزاندريسل": (إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

تحررت اقتصادياً^(١). وقد أجري استفتاء عام في جميع الأوساط في الولايات المتحدة لمعرفة رأي النساء العاملات في العمل، وكانت النتيجة كالآتي:

إن المرأة متعبة الآن، ويفضل ٦٥% من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن، كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمانة العمل، أما اليوم - وقد أدمت عثرات الطريق قدمها واستنزفت الجهود قواها - فإنها تود الرجوع إلى عشاها، والتفرغ لأحضان فراخها^(٢).

ج- إن الإسلام لا يمنع عمل المرأة من حيث المبدأ في المجالات التي تدعو الحاجة إليها، كالتدريس والتطبيب بشروط منها: الالتزام بالحجاب الشرعي، وموافقة الزوج أو ولي الأمر، وتجنب الاختلاط غير المنضبط والخلوة، وأن لا يستغرق العمل جهدها ووقتها في غير مبرر^(٣).

٢- شهادة المرأة: ومفاد الشبهة، أن الإسلام انتقص المرأة وعاملها دون الرجل فجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل وفي هذا هدر لإنسانيتها وكرامتها، يشيرون إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِّن تَرَضُونَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٤).

الرد:

أ- موضوع الشهادة لا علاقة له بالإنسانية والكرامة، فالإسلام سوى بين الرجل والمرأة في هذا الجانب.

ب- إن موضوع الشهادة خاص بالأموال المالية، وإثبات الحقوق، والجنايات، وهذا كله ليس من اختصاص المرأة، ولا من ضمن اهتماماتها، فهي تنسى هذه الأمور، ولا

(١) كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ٩٢/٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ظ: الحقوق الزوجية، ثانياً: حقوق الزوج، من الباب الثاني، ص ٢٧٨ من هذا الكتاب.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

تلقي لها بالآ، ولذلك جاء التعليل في الآية: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١).

ج- كما أن المرأة عاطفيه بطبعها، فقد تتأثر بالموقف أو تتأثر بالمشهود له أو عليه، ذكراً كان أو أنثى، فينعكس ذلك على شهادتها.

د- ومما يدل على أن شهادتها لا علاقة لها بالإنسانية ولا بالانتقاص من كرامتها وقدرها، هو أن الإسلام قبل شهادتها وحدها فيما يخص النساء، ومما يطلعن عليه دون الرجال غالباً، فتقبل بهذا شهادتها وحدها في إثبات الولادة، وفي الثبوتة والبيكاره، وفي الرضاع ونحوها^(٢).

٣- **الدية:** قال أصحاب الشبهة: تقولون إن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة، في حين نرى أن دية المرأة على النصف من دية الرجل، فهذا فيه تناقض من جهة، كما أن فيه إهداراً لمنزلة المرأة وكرامتها من جهة أخرى.

الرد:

قد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الكرامة والإنسانية، فهما في ذلك سواء، ولهذا في حال الاعتداء على النفس عمداً يقتل القاتل بالمقتول، سواء أكان القاتل رجلاً أو امرأة، أو المقتول رجلاً أو امرأة. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(٣).

أ- في حال قتل الخطأ ونحوه، أو تنازل ولي المقتول عمداً عن القصاص، وقبوله الدية، فتكون حينئذ دية المرأة على النصف من دية الرجل^(٤)، لا لأن إنسانيتها غير

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٢) ظ: باقر شريف القرشي، المرأة في رحاب الإسلام، ص ٧٤، د. مصطفى السباعي، المرأة بين

الفقه والقانون، ص ٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٤) الكليني، الكافي، ٢٩٩/٧.

إنسانية الرجل، وإنما تكون الدية هنا تعويضاً للضرر الذي ألّم بأُسرة المقتول والخسارة التي حلت بها، فحسرة الأولاد، والزوجة بفقد الأب المكلف بالإِنفاق عليهم وتعليمهم، غير حسرة الزوج والأبناء بفقد زوجته وأم أبنائه، التي لم تكلف بالإِنفاق على نفسها ولا على غيرها - غالباً - ففي الحالة الأولى الخسارة خسارة مالية، وفي الثانية خسارة معنوية، والخسارة المعنوية لا تعوّض بمال.

ج- تكون دية المرأة- أحياناً- مساوية لدية الرجل، بل هناك من يقول بتساوي دية الرجل والمرأة في جميع الأحوال، وعلى كل حال فإن الدية وتصفيتها، لا علاقة له بإنسانية المرأة، ولا ينتقص ذلك من كرامتها-على ما مرّ - .

٤- شبهة تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية:

ويمكن تلخيص هذه الشبهة بما يأتي^(١):

- أ- التعدد عُرف عند المسلمين، وهو مجرد استجابة للنزوات والشهوات.
- ب- في التعدد امتهان للمرأة وتسلط عليها، وهذا منافٍ للمساواة.
- ج- التعدد يؤدي إلى الخصام والشقاق بين أفراد الأسرة الواحدة.
- د- التعدد يؤدي إلى كثرة النسل، مما يصعب معه التربية والتعليم، كما يؤدي إلى البطالة، وكثرة الانحراف في الأمة.

وقبل الرد على هذه الشبهة بجوانبها المتعددة، لا بد من التأكيد على الحقائق الآتية^(٢):

(١) ظ: د. نور الدين عتر، ماذا عن المرأة، ص ١٤٣.
(٢) ظ: هذا الموضوع بتوسع: د. ليث الحيدري، تعدد الزوجات من حقوق المرأة أم الرجل؟، ص ٣٨، محمد حسين الطباطبائي، قضايا المجتمع والأسرة، ص ١٤٤، د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨١، محمد ابو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٧٦.

- أباح الإسلام التعدد لمن رغب فيه وقدر عليه، فقال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(١)، ولا يجوز منعه بشكل عام، أو التشكيك فيه، أو التنفير عنه.

- أن الله تعالى أحكم شرعة التعدد ونظامه إحصائياً بما يزيح عنه كل نقد وعيب، والإساءات التي تحصل في التعدد، إنما هي من سوء استخدام حق التعدد، وهذا لا يكون حجة على الشرع.

- يجب على من يعدد، العدل بين الأزواج فيما يملك، في المسكن، والنفقة، والكسوة، والمعاشرة، وأما ما ليس في مقدوره أو استطاعته كالميل القلبي، فليس مؤاخذاً به لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعَلَّةِ﴾^(٢).

ويظهر أن أول من طرح هذا الأشكال هو (ابن أبي العوجاء) وكان من أصحاب المذهب المادي، ومن المعاصرين للإمام الصادق عليه السلام، إذ (سأل ابن أبي العوجاء هشام بن الحكم فقال له: أليس الله حكيمًا؟ قال: بلى وهو أحكم الحاكمين، قال: فأخبرني عن قوله عز وجل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ أليس هذا فرض؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ أي حكيم يتكلم بهذا فلم يكن عنده جواب فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا هشام في غير وقت حج ولا عمرة؟ قال: نعم جعلت فداك لأمر أهمني إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء قال: وما هي؟ قال: فأخبره بالقصة فقال له أبو عبد الله

(١) سورة النساء، الآية ٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٩.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما قوله عز وجل: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) يعني في النفقة وأما قوله: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ) يعني في المودة، قال: فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال: والله ما هذا من عندك^(١).

وقد أكدت الشريعة الإسلامية على ضرورة العدل في الانفاق المادي بين الزوجات، قال رسول الله ﷺ: (ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقه حتى يدخل النار)^(٢).

ولهذا التعدد ضرورات اجتماعية وشخصية، وفيه حلول لمشاكل كثيرة وحكم وفوائد نلاحظها من واقعنا الاجتماعي، - وتجنباً للتكرار - ارجئنا ذكرها هنا^(٣).

الرد على الشبهة:

أ - قولهم: إن الإسلام هو أول من جاء بالتعدد .. الخ.

ليس صحيحاً، فالتعدد كان موجوداً قبل الإسلام، وعرفته شعوب كثيرة كالعبريين، والصقالبة، والجرمانيين والسكسونيين، واليهود والنصارى^(٤)، والأنبياء قبل شعوبهم، كما كان التعدد موجوداً في الجاهلية قبل الإسلام بلا حدود، فأقره الإسلام وقيده بأربع زوجات، والتعدد موجود حتى الآن عند شعوب غير إسلامية في افريقية، والهند والصين، واليابان وغيرها، يقول ويل ديورانت: (والمسيحيون يصطنعون نظام الزوجة الواحدة بينما إنجيلهم يُحلل تعدد الزوجات)^(٥). وبهذا وغيره يتضح بطلان هذا الزعم.

(١) الكليني، الكافي، ٣٦٣/٥.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٤٢/٢١.

(٣) ظ: حق الزوجة في معاملة عادلة عند تعدد الزوجات، ص ٢٩١ من هذا الكتاب .

(٤) ظ: د. ليث الحيدري، تعدد الزوجات..، ص ١٨، د. محمد البلتاجي، مكانة المرأة، ص ١٥٧.

(٥) قصة الحضارة، ٧٥/١.

ب - قولهم: التعدد امتهان للمرأة وتسلط عليها .. ليس صحيحاً ما ادعوه، بل في التعدد إكرام للمرأة وحفظ لمصالحها، وقد سبق ذكر ضرورات التعدد وحكمه، فالمرأة الأولى من مصلحتها البقاء مع زوجها، والمرأة الثانية لم تجبر على الزواج، وفي التعدد مصلحة عامة، تقدم على مصلحة الزوجة التي تفضل وحدة الزوجية، والمرأة من الأفضل لها أن تكون ثانية أو ثالثة أو رابعة، وتتجب الأطفال، من أن تكون بلا زوج مهددة بالأخطار، والفتنة..

ج - قولهم: إن التعدد ينشأ عنه المشاكل والأحقاد بين أفراد الأسرة.. الخ، نعم قد يوجد مثل هذه المشاكل الناشئة عن الغيرة، كما أن مثل هذا قد يوجد في الأسرة التي ليس فيها تعدد، ووجود مثل هذا، لا يمنع التعدد ولا يعطله، فإله سبحانه شرع التعدد مع علمه سبحانه بالنفوس والطبائع، وهذا دال على أن مقاصد التعدد تسمو بكثير، عما قد يقع من الكيد والتباغض أثراً لهذه الغيرة الطبيعية^(١).

وما يحصل في الأسرة من خصام وخلاف، يمكن أن يتلاشى تماماً، أو يكبر ويعظم خطره فعلاً وذلك بحسب حكمة الزوج وحسن تصرفه وإدراكه لمسؤوليته، وبحسب عدله وظلمه، فكلما كان الزوج محسناً لأزواجه وأبنائه، عادلاً بينهم، سالماً بهم طريق الصلاح والرشد، تعليماً وتربية ونصحاء، كانت حياته وحياتهم تسودها المودة والمحبة، وكلما كان مقصراً في الحقوق مهماً في التربية والرعاية، كانت الأسرة مضطربة يسودها التذمر، معرضة للانهايار، سواء مع التعدد أو بدونه.

د - قولهم: التعدد يؤدي إلى كثرة النسل مما يصعب معه التربية والتعليم... الخ

مما لا شك فيه أنه كلما ازداد عدد أفراد الأسرة، اتسعت مسؤوليات الأب والأم، واحتاجت أمور الأسرة إلى مزيد عناية ورعاية واهتمام من جميع النواحي، لكن ما قالوه يمكن أن ينطبق على مجتمع تسوده الرذيلة لا الفضيلة، وتحكمه الشهوة والمادة، لا

(١) ظ: د. نور الدين عتر، ماذا عن المرأة، ص ١٥٣.

الشريعة والخلق القويم، حيث يكثر فيه اللقطاء، الذين لم يُعرف آباؤهم ولا ينتمون إلى أسرة يعتزون بها ويحافظون على سمعتها وكرامتها، بل هم ناقمون على مجتمعهم، وأما كثرة النسل الناشيء عن التعدد المشروع، وفي ظل التربية الصحيحة، والتوجيه السليم، فهو مصدر سعادة لذويهم ومجتمعهم، والأمة تحتاج لجهودهم وبهم تفتخر، أما إذا تخلفت التربية، وغابت الفضيلة عن أفراد الأسرة كان الانحراف والشقاء لديهم، وإن قلَّ عدد أفرادها.

ومما يدل على ضرورة التعدد - أحياناً - وحاجة الناس إليه هو: أن المجتمعات التي أُطلقت فيها الحريات، وأخذت بمبدأ المساواة بين الرجال والنساء، قد تجرعت مرارة الفجور والإباحية والتشرد والتفكك، مما حدا بمفكريهم وعقلائهم نساء ورجالاً، بالمناداة بالأخذ بنظام التعدد كما هو الحال عند المسلمين، ومن هذه البلاد، انكلترا، وأمريكا، وألمانيا، وفرنسا وغيرها^(١).



(١) أنظر لمزيد من الأمثلة، وذكر أقوال بعض هؤلاء: د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص٧٥، نور الدين عتر، ماذا عن المرأة، ص١٥٤، .

ثالثاً : الحجاب وأهميته في الحفاظ على الأسرة والمجتمع:

كان من ضمن عادات الجاهلية الذميمة خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق، باديات الزينة، ففرض الله سبحانه الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصون كرامتها، ويمنع عنها أذى الفساق والمعرضين .
والحجاب لباس شرعي سابع تستتر به المرأة المسلمة ليمنع الرجال الأجانب من رؤية شيء من جسدها، ويقابله التبرج والسفور .

وستكون دراستنا عن الحجاب في جانبين:

الأول : الحكم الشرعي للحجاب ومقاصده وصفاته

١ : حكم الحجاب: الحجاب واجب على المرأة المسلمة بالقرآن والسنة:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكَّ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٢). وفي هذه الآية تعليل للأمر بالإدناء، فهي تقول: (جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ) أي: ذلك أقرب أن يعرفن بالستر

(١) سورة النور، الآية ٣١.

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٥٩.

والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها^(١).

وفي السنة: سئل الإمام الصادق عليه السلام ما يحل للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرماً؟ قال عليه السلام: (الوجه والكفان والقدمان)^(٢).

قال الإمام علي عليه السلام يوصي ولده: (... واكف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب خير لك ولهن من الارتياح وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن، فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك من الرجال فافعل)^(٣).

٢: مقاصد الحجاب: شرع الشارع الحكيم الحجاب لحكم عديدة منها:

١- طهارة قلوب الرجال والنساء من الوسوس والخواطر الشيطانية التي تفسد النفوس، وتميت القلوب، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(٤).

٢- حفظ النساء وصيانتهم من أن يتعرضن لأذى أو شر، وذلك لأن الحجاب يضيف على مرتديته مهابة، تصد الفساق عن التجرؤ عليها باللفظ أو اللحظ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾^(٥).

٣- يعد الحجاب في الظاهر، ترجمة لصلاح المرأة في الباطن، وإشعاراً بحسن مسلكها، وبقائها على فطرة الحياء الذي هو لازم من لوازم أنوثتها ومجانبتها للرجال ومخالطتهم.

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٣٧٠/٧.

(٢) الكليني، الكافي، ٥٢١/٥.

(٣) المصدر نفسه، ٣٣٨/٥.

(٤) سورة الاحزاب، الآية ٥٣.

(٥) سورة الاحزاب، الآية ٥٩.

نعم لو دار الأمر بين استقامة المرأة بدون حجاب، وبين الحجاب مع عدم استقامة المرأة لقدّمنا الاستقامة بدون الحجاب على الحجاب بدون الاستقامة ولكن هناك أمر ثالث هو الحجاب مع الاستقامة وهذه هو الذي يريده الاسلام للمرأة حفاظاً على كرامتها واحترامها^(١).

٣: صفات الحجاب الشرعي:

لكي يحقق الحجاب الغرض، لا بد وأن تكون طبيعته مناسبة لطبيعة المرأة التي فطرها الله تعالى على الحياء والستر، وقد اشترط العلماء شروطاً في الحجاب الشرعي هي:

١- أن يكون ساتراً لجميع بدن المرأة، وأن يكون ثخيناً لا يشف عما تحته، وأن يكون فضفاضاً غير ضيق حتى لا يصف جسمها.

٢- أن لا يكون زينة في نفسه ولا يكون مطيباً بأي نوع من أنواع الطيب، قال ﷺ: (إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً)^(٢).

فإذا نهيت المرأة عن التطيب في الذهاب إلى المساجد، فمن باب أولى أن تمنع من ذلك في الذهاب إلى غيره من الأماكن المختلطة كالأسواق مثلاً.

٤- أن لا يشبه لباس الرجال، ففي الحديث عن النبي ﷺ: قال الإمام الصادق عليه السلام: (كان رسول الله ﷺ يزرع الرجل أن يتشبه بالنساء وينهى المرأة أن تتشبه بالرجال في لباسها)^(٣). وقال عليه السلام: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)^(٤).

(١) ظ: حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ١١٨/٤.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ٣٣/٢.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٥/٥، ظ: البخاري، صحيح البخاري،

(٤) الكليني، الكافي، ٥٥٠/٥، البخاري، صحيح البخاري، ٥٥/٧.

٥- ألا يكون الحجاب لباس شهرة^(١)، قال رسول الله ﷺ: (من لبس ثياب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثياب الذل يوم القيامة)^(٢).

نخلص من هذا إلى أن المرأة يجب عليها الالتزام بطاعة ربها عز وجل وطاعة رسوله ﷺ بارتداء الحجاب الساتر لجميع جسمها، وعدم إبداء شيء من زينتها لغير من استثناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(٣)، هم: البعل (الزوج)، والأب وأبو الزوج، والإبن، وابن الزوج، والأخ، وابن الأخ، وابن الاخت، والنساء المسلمات، والرفيق، والخدم ممن لا شهوة لهم، والأطفال الذين لا شهوة لهم.

ثانياً : شبهات حول الحجاب والرد عليها

وقد أثيرت حول الحجاب شبهات عديدة لا يُخفى منها الاغراض السيئة، وتحت عنوانات مختلفة للغاية منها جعل المرأة سلعة رخيصة وفي متناول اليد والناظر، ومن هذه الشبهات:

(١) لباس الشهرة: هو أن يلبس الإنسان ما يخالف زيته، من حيث جنس الملابس أو لونها، أو وضعها وتفصيلها غير المناسب لأمثاله، ويحرم على الرجل أن يلبس ما تختص به النساء تشبهاً بهن، ويتخذ ذلك زياً له، ويحرم على المرأة أن تلبس ما يختص به الرجال تشبهاً بهم وتتخذ ذلك زياً لها. محمد أمين زين الدين، كلمة التقوى، ٣٣٤/١.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٣١٤/٧٦.

(٣) سورة النور، الآية ٣١.

الشبهة الأولى: إن الحجاب فيه اعتداء على حقوق المرأة، وتقييد لحريتها وازدراءها^(١).

الرد على الشبهة: ليس هذه الدعوى صحيحة، وقد سبق البيان بأن المرأة موضع تكريم واحترام في المجتمع المسلم، ومن مقاصد الشرع في إيجابه الحجاب، هو أن تبقى المرأة درة مصونة، متألئة غالية، ما دامت محافظة على سترها وحيائها، وبهذا يكون تعاملها مع الرجل على أساس الطهر والعفاف، فتكبر في عين الرجل ويسمو دورها في الحياة والمجتمع، فالحجاب إذن لسعادتها وحفظ حقوقها، لا العكس.

الشبهة الثانية: قالوا: الحجاب فيه تقييد للمرأة، وسبب في تخلفها في طلب العلم، وتقدمها إنما يكون مرهوناً بتحررها منه^(٢).

الرد على الشبهة: ليس هناك علاقة أو ملازمة بين التقدم أو التخلف بشكل عام وبين الحجاب، فهناك نساء بلغن الذروة في المجالات العلمية والخدمات الاجتماعية، والفكرية من لدن عصر النبي ﷺ وإلى اليوم، فهل هؤلاء يوصفون بأنهن متخلفات؟ وهل حال الحجاب بينهن وبين التميز؟ وهل يستطيع عاقل أن يسم نساء آل البيت عليهما السلام وعلى رأسهن السيدة خديجة الكبرى والسيدة فاطمة الزهراء والسيدة زينب والصالحات من نساء المؤمنين الفضليات ومن بعدهن بالتخلف وعدم التقدم؟! اللهم إلا إذا أرادوا بالتقدم الانسلاخ من الكرامة والحياء، وغالباً ما يريدون هذا.

(١) ظ: عبد الأمير الجمري، المرأة في ظلال الإسلام، ص ٢١٤، عبد الرحمن الفرج، بناء المجتمع الإسلامي، ص ٢٠٢.

(٢) وممن سبق إلى هذا القول وهذا الاحتجاج الأستاذ قاسم أمين (ت: ١٩٠٨م) في كتابه: (المرأة الجديدة).

(٣) وقد أشار الدكتور رعد محمود البرهاوي إلى جملة من النساء المسلمات ودورهن الريادي في الحضارة الإسلامية. ظ: المرأة في الحضارة الإسلامية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٩م.

الشبهة الثالثة: قالوا: الحجاب دليل على إساءة الظن بالمرأة، وعدم وثوق الزوج بها.

الرد: الحجاب شرع لصون المرأة وسترها، وهي مأمورة بالحجاب متزوجة كانت أم عزباء، والتزامها بالحجاب فيه إرضاء لخالقها، ثم إرضاء لزوجها وذويها، وهذا من شأنه أن يبعث الثقة بها، والاطمئنان إليها وإلى سلوكياتها، وما يقوله من عدم الثقة بها فما قولهم عن (الضمانات والوثائق التي وضعت لحفظ حقوق المجتمع ودمائه وأمواله، ولتنشئة روح الأمانة في نفوس أفرادها، وتمرينهم عليها في جميع معاملاتهم وأعمالهم.. فليقولوا إنها تعني اتهام الناس بالسرقة، والجناية، والخيانة)^(١)، فالحقيقة هي عكس ما يقوله هؤلاء تماماً.

وخلاصة القول: فإن هذه الشبهه وأمثالها، لا يراد بها مصلحة المرأة والغيرة على حقوقها أو سعادتها، وإنما يراد بها إشباع غرائز أصحابها، وتحقيق أنانيتهم التي تملي عليهم إيجاد صيد سمين دائماً، وآخر ما يفكر به هؤلاء - إن فكروا - هو مصلحة المرأة وسعادتها، فلتحذر الفتاة المسلمة هذه النداءات الكاذبة، والشعارات الزائفة، والتجارة الخاسرة، ولتعتصم بالله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

رابعاً : عوامل حماية الأسرة:

اعتنى الإسلام بالأسرة لما لها من مكانة عالية مرموقة، إذ أن كل أسرة تعدُّ لبنة من لبنات بناء المجتمع الكبير، وهي المحضن الأول الذي ينشأ فيه الفرد المسلم، وتترى فيها الأجيال.

(١) عبد الأمير منصور الجمري، المرأة في ظل الإسلام، ص ٢١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠١.

فشرع الله سبحانه أحكاماً وأداباً تتعلق بالأسرة المسلمة، تعد عوامل للحفاظ عليها من الانحراف، وحماية لها من الإنزلاق في حمأة الرذيلة، فتكون في حصن حصين وسيج منيع، عن كل أسباب الفساد ودواعي الضلال.

وإن من أبرز هذه العوامل ما يلي:

١: غض البصر:

إن من المعلوم أن لقلب الإنسان منافذ عدة، ومن أخطر هذه المنافذ، وأعظمها أثراً البصر، لما يوقعه استحسان المنظور إليه في قلب من ينظر إليه، فكم من نظرة محرمة أفستت على المرء دينه، وأمردت قلبه، وأوقعتة في المهالك، وسببت له النكبات.

لذا شدّد الإسلام في أمر النظر، فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغضّ أبصارهم عن المحرمات فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

مما يلفت النظر أن القرآن الكريم لم يحدد الشئ الذي يستوجب غضّ النظر عنه. (أي أنه حذف متعلق الفعل) ليكون دليلاً على عموميته. أي غض النظر عن جميع الأشياء التي حرم الله النظر إليها.

وبما ان (سياق الكلام في هذه الآيات، وخاصة في الآية التالية التي تتحدث عن قضية الحجاب، يوضح لنا جيداً أنها تقصد النظر الى النساء غير المحارم)^(٢).

(١) سورة النور، الآية ٣٠.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٥/١١.

وقد أمر تعالى النساء بما أمر به الرجال من غض البصر، فقال: ﴿وَقُلْ
لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(١).

ومن فوائد ذكر حفظ الفروج بعد غض الأبصار، أن إطلاق البصر فيما حرم الله،
من أعظم وأقوى أسباب الوقوع في الفواحش.

وقد ورد عن المعصوم عليه السلام أحاديث كثيرة توجّه المسلم وتحتّه على التزام هذا
الأمر الإلهي، من ذلك: روي أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ
مرت به امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: (إن أبصار هذه الفحول
طوامح، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله فإنما
هي امرأة كامرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب القوم إليه
ليقتلوه فقال عليه السلام رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب)^(٢).

والنظر مفتاح للمشاكل الجسام، وبوابة خطره نحو الآثام العظام وبما يفسد النظام
الاجتماعي وينتهي بالأسرة الى الهوان والضعف المزمّن الذي لا ينفع معه الندم، قال
الإمام علي عليه السلام: (من أطلق ناظرة أتعب حاضره، من تتابعت لحظاته دامت
حسراته)^(٣)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (النظر سهم من سهام إبليس مسموم وكم من
نظرة أورثت حسرة طويلة)^(٤).

(١) سورة النور، الآية ٣١.

(٢) نهج البلاغة، ٣/٢٥٣٠.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٣٦١/٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ٤٠/١٠١.

وبطبيعة التوجيهات القرآنية في الأمر بغض النظر للرجال عن النساء فكذلك كانت توجيهات السنة الشريفة تحت المرأة على غض النظر عن الرجال، قال رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها)^(١).

بل إنه ﷺ قد عدَّ النظر زنىً تمارسه العين، يُعصى الله به، وذلك تنفيراً منه، قال ﷺ: (إن الله كتب على ابن آدم حظّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه)^(٢).

وقد جعل ﷺ غضَّ البصر في المرتبة الأولى من حق الطريق، الذي يجب أداؤه على كل من سلكه أو جلس على جانبه، قال النبي ﷺ: (إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حقه؟ قال: غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)^(٣).

ويشخص لنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام حق البصر وما يجوز النظر إليه من عدمه في قوله عليه السلام: (وأما حق البصر فغضه عما لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل به بصرًا أو تستفيد به علماً، فإن البصر باب الاعتبار)^(٤).

والبصر إن استخدمناه حيث يصح استخدامه يفيدنا يقيناً أكثر حينما ننظر به إلى آيات صنع الله وأعاجيب مخلوقاته، وكيفية تركيبها وتناسقها وانسجامها .. كل ذلك

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٣٦١/٧٣.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢٧٦/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣٦/٣، ظ: المجلسي، بحار الانوار، ٢٠٣/٤٢.

(٤) المجلسي، بحار الانوار، ١١/٧١.

نستطيعه بالبصر، هذا بالإضافة إلى البصيرة التي نكسبها منه حين نجعله موضعاً وباباً للاعتبار كما يريد الإمام عليه السلام.

• فوائد غض البصر:

فإذا علمنا ذلك وعملنا به تظهر ثمار غض البصر في فوائد كثيرة، ومنافع عديدة، نذكر منها:

١. أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.
 ٢. أنه يعز الإنسان ويكرمه عن الابتذال والوضاعة.
 ٣. أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.
 ٤. أنه يقوي القلب ويفرحه، ويكسبه نوراً.
 ٥. أنه يحفظ شرف الإنسان من التعدي عليه بعيون الآخرين تحت قاعدة: (كما تُدين تدان).
 ٦. أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين الحق والباطل .
 ٧. أنه يسدُّ على الشيطان مدخله من القلب.
- فحريٌّ بكل مسلم ومسلمة أن يستجيب لربه، ولنبيه عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١).

وعليه أن يتعاهد بصره عما لا يحل له من النظر، وفي ذلك بعد عن الشر والرذيلة، وسلامة من الفتن، ويدخل في النظر المحرم، النظر إلى الصور الفاتنة، والمناظر الفاضحة، عبر الصحف والمجلات، والإنترنت والقنوات.

٢: الاستئذان لدخول البيوت:

إن من صور اهتمام الإسلام باتباعه، وحفاظه على الأسرة المسلمة، مشروعية الاستئذان.

فقد حرم الإسلام دخول مساكن وبيوت الغير إلا بإذن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

بينت هذه الآيات جانباً من أدب المعاشرة، والتعاليم الإسلامية الاجتماعية التي لها علاقة وثيقة بقضايا عامة حول حفظ العفة، أي كيفية الدخول إلى بيوت الناس، وكيفية الاستئذان بالدخول إليها.

إذ استعمل القرآن المجيد لفظ: (تَسْتَأْذِنُوا) دون كلمة: (تستأذنون) وذلك ان كلمة (تَسْتَأْذِنُوا) يُراد منها هنا الاستئذان المرافق للمحبة واللطف والمعرفة والإخلاص، وتبين كيف يجب أن يكون الاستئذان برفق وأدب وصدقة، بعيداً عن أي حدة وسوء خلق. ولو تبحرنا في هذه الجملة على هذا الأساس لوجدنا فيها الكثير من الأدب الذي يدور حول هذا الموضوع، وهو يعني ألا تصرخوا وألا تفرعوا الباب بقوة، وألا تستأذنوا بعبارات حادة، وألا تدخلوا حتى يؤذن لكم، فتسلموا أولاً سلاماً يستبطن مشاعر السلام والود ورسالة المحبة والصدقة.

ومما يلفت النظر في هذا (الحكم الذي يتصف بأبعاد إنسانية وعاطفية واضحة، مرافقته لجملتين أولاًها: (ذِكْرُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ)، وثانيها: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). وهذا بحد ذاته

دليل على أن لهذه الأحكام جذوراً في أعماق العواطف والعقول الإنسانية، ولو دقق الإنسان النظر فيها لتذكر أن فيها الخير والصلاح^(١).

وقد شرع الله تعالى الاستئذان صيانة للذين في داخل البيوت وحفاظاً عليهم، ومراعاة لحررياتهم في بيوتهم، لئلا يطلع أحد على العورات وما لا يجوز النظر إليه، من النساء وغيرهن، فإنه يترتب على ذلك مفسد كثيرة، وعواقب وخيمة.

والتشديد في الاستئذان واضح الدلالة حتى على الأم، إذ سئل رجل النبي ﷺ: (يارسول الله أستيأذن عليها؟ قال ﷺ: نعم، قال: ولم يارسول الله؟ قال ﷺ: أيسرك أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن)^(٢).

فإذا كان دخول الرجل على أمه يحتاج الى الاستئذان منها! فمن الأولى المؤكد هو الاستئذان من غيرها، وهذا الأمر بالاستئذان هو للاحتراز من وقوع النظر إلى ما لا يُريد صاحب المنزل النظر إليه وهو أبرز أسباب وحكم تشريعه.

وفي كيفية الاستئذان يقول الإمام الصادق عليه السلام: (الاستئذان ثلاثة: أولهن يسمعون، والثانية يحذرون، والثالثة إن شأؤوا أذنوا وإن شأؤوا لم يفعلوا، فيرجع المستأذن)^(٣).

ومن المعلوم أن الاستئذان يقي مفسدتين عند أهل البيت إذا استأذنتهم أحد بالدخول، أولها: إنهم قبل الإذن له سيهيئون المكان إن لم يكن مهيباً، وتذهب النساء عن مكان الاستقبال، أو طريق الداخل، ويبدلون كل ما من شأنه الحفاظ على مظهر بيتهم، وعدم اطلاع أحد على ما يسوؤه، أو يلوم أهل البيت عليه، ونحو ذلك.

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٠/١١.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٣٨/١٠١.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٠/٢١٩.

وثانيها: أنه يدفع الريبة من الداخل، وفلا يُتَّهَم بالشر، كالسرقة أو غيرها، لأن الدخول خُفِيَّة، يدل على الشر.

وإذا كان الإسلام قد حرم الدخول إلا بإذن، فإنه أيضاً قد منع من مجرد الإطلاع على البيت من خارج، وأذن لأهل البيت أن يفتقروا عينه، ولو فعلوا ذلك لما عوتبوا، ولا عوقبوا، لأنهم فعلوا ما أذن به الشارع، والمطلع هو الذي تسبب على نفسه بفعله المشين، ويدل لذلك ما روى عن رسول الله ﷺ قال: (من اطلع في بيت قوم بغير أذنهم، فقد حلَّ لهم أن يفتقروا عينه)^(١).

وعلى الاستئذان تترتب عليه أحكام فقيه أيضاً منها الضمان من عدمه، قال الإمام الصادق عليه السلام: (قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل دخل دار قوم بغير إذنهم فعقره كلبهم قال: لا ضمان عليهم وإن دخل بإذنهم ضمنوا)^(٢).

فلببوت حرمتها وقد عظمها الله سبحانه في تشريعاته وتوعد الذي يدخل البيت من غير استئذان عن عمد أو التجسس بعذاب النار والفضيحة في دار الدنيا، قال الإمام الصادق عليه السلام: (ومن اطلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيء من جسدها كان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات الناس في الدنيا ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبيدي عورته للناس في الآخرة)^(٣).

٣: عدم الخلوة:

إن خلوة الرجل بإمرأة أجنبية عنه، مظنة لحصول الفتنة بينهما، لأن ميل كل جنس إلى الآخر موجودٌ عندهما لا محالة، يضاف إلى الدور الكبير الذي يقوم به

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/٢٦٦، ظ: النوري، مستدرک الوسائل، ١٨/٢٣٤.

(٢) الكليني، الكافي، ٧/٣٥٣.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٧٣/٣٦١.

الشیطان، متمثلاً في تزيين الفاحشة في نفسيهما والإغراء بها. وهي من المواطن التي يحرص الشيطان على التواجد فيها، فقد روي ان ابليس قال: (لا أغيب عن العبد في ثلاث مواضع: إذا هم بصدقة، وإذا خلا بامرأة، وعند الموت)^(١).

لذا فإننا نجد الإسلام قد وقف موقفاً حازماً من ذلك، فحرّم هذه الخلوة من أصلها، سداً لذريعة الفتنة، وحماية من دواعي الجريمة، وحفاظاً على سمعة المرأة من أن تلوکها الألسن المعادية والمعرضة، فقال ﷺ: (لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا مع ذي محرم)^(٢). وعنه ﷺ: (نهى أن تتكلم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات مما لا بد لها منه)^(٣).

والمنع من الاختلاء مما شدد عليه أهل البيت ﷺ فكان شرطاً في بيعة رسول الله ﷺ، قال الإمام الصادق ﷺ: (فيما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء، أن لا يحتببن ولا يقعدن مع الرجال في الخلاء)^(٤).

فإنه لا يزيل الخلوة ويقطعها إلا وجود محرم للمرأة، يحصل بوجوده الأمن، وتزول بسببه دواعي الفتنة، ووساوس الشيطان، وإذا وجد أكثر من امرأة أو رجل زالت الخلوة أيضاً في غير مواطن الريب.

٤: قرار النساء في البيوت:

إن الله تعالى قد جعل لكل واحدٍ من الجنسين ما يناسب فطرته وتكوينه من المهام والمسؤوليات، فالرجل مسؤوليته تتمثل في الضرب في الأرض، والسعي في مناكبه

(١) الحر العاملي، وسائل الشريعة، ١٨٥/٢٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ١٥٨/٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٩/٧٣.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشريعة، ١٨٥/٢٠.

لكسب الرزق الحلال، لينفقه على نفسه، وعلى من وجبت عليه نفقته من الزوجة والأولاد وغيرهم.

أما المرأة فمسئوليتها الرئيسية تتمثل في رعاية شؤون البيت، والمحافظة على الأولاد، وحسن رعايتهم، وتهيئة البيت من جميع الجوانب، ليجد فيه الرجل عند عودته الراحة والطمأنينة والسعادة، ويذهب عنه ما قد يعرض له أثناء عمله من تعب وإرهاق.

ولما كان في خروج المرأة من بيتها بلا حاجة، تعريض لها للفتنة، وإخلال واضح بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، فقد أمر تعالى النساء بالقرار في البيوت، فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١). و(قرن) من مادة الوقار، أي النقل، أي يانسأ النبي ﷺ إلزم بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة^(٢).

ولا شك أن هذا الحكم عام، والتركيز على نساء النبي ﷺ من باب التأكيد الأشد، تماماً كما نقول لعالم: أنت عالم فلا تكذب، فلا يعني هذا أن الكذب مجاز ومباح للآخرين، بل المراد أن العالم ينبغي أن يتقي هذا العمل بصورة أكد.

إن هذا التعبير: (الجاهلية الأولى) يبين أن جاهلية أخرى سنأتي كالجاهلية الأولى التي ذكرها القرآن، ونحن نرى اليوم آثار هذا التنبؤ القرآني في عالم التمدن المادي.

وبما ان لزوم النساء بيوتهن هو الأصل كما اتضح، نجد أن النبي ﷺ رخص لهن بالذهاب إلى المساجد لأداء الصلاة، وخاطب أوليائهن بذلك، إذ قال ﷺ: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)^(٣).

(١) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

(٢) ط: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦٨/١٣.

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٣٥٤/٨٧، احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٦/٢.

فلا تخرج المرأة من بيتها إلا برضا وليها ملتزمة بالحجاب الشرعي نابذة للتبرج والصفور، ولا تخرج إلا لحاجة، لا للتسكع في الأسواق والحداثق، بل لزيارة والديها وأقاربها، أو مراجعة مستشفى، أو تحصيل علم تحتاج إليه، ونحو ذلك.

٥: الغيرة على المحارم:

إن غيرة^(١) الرجل على محارمه من العوامل المهمة، والوسائل الناجعة في حماية الأسرة من الانحراف، والتعرض لأسبابه ودواعيه، وكلما قوي الإيمان في قلب المؤمن، قويت عنده الغيرة وزادت، وهي تنقص بنقص الإيمان، بل قد تتلاشى وتضمحل بسبب ما يقترفه العبد من الذنوب، قال رسول الله ﷺ: (الغيرة من الإيمان والبذاء من النفاق)^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين)^(٣). فنلاحظ ان الغيرة من الصفات السامية والاصيلة وليست من الأخلاق الكمالية حتى ان رسول الله ﷺ يتصف بها وسائر الأنبياء عليهم السلام بل ويزيد عليهم ويدعو المؤمنين والمسلمين إليها ويحذرهم سوء العاقبة ويتبغض فيهم من لا غيرة له منهم.

(١) الغيرة: هي (صفة أخلاقية تدفع الإنسان في طريق الدفاع المستميت عن الدين والمذهب والعرض والبلد، وأساساً فإن كل حالة من الدفاع الشديد عن القيم الإنسانية فهي تتضمن نوع من الغيرة، ورغم أن هذه المفردة تستعمل غالباً في دائرة الغيرة على العرض والناموس ولكن مفهومها واسع يستوعب مصاديق أكثر)، ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ٣/٣٩٣.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٣٤٢/٦٨.

(٣) الكليني الكافي، ٥/٥٣٦.

بل ان الغيرة من صفات الرب جل وعلا، وتفسير غيرته سبحانه ما قاله رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى غيور يحب كل غيور ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها)^(١).

والغيرة صفة فطرية في الإنسان الصالح ولا يستثنى منها جنس دون جنس، فحتى المرأة فيها غيرة ولكن بكيفية التعبير ربما تختلف عن الرجل، فعن إسحاق بن عمار قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المرأة تغار على الرجل تؤذيه، قال: ذلك من الحب)^(٢).

وقد تأتي غيرة المرأة في محلها، وقد تذهب بها الى الكفر وسخط الرب سبحانه، وهي التي وصفها أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: (غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان)^(٣)، وتقدم القول ان غيرة الرجل تستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة. وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه. وذلك إيمان. وأما غيرة المرأة قد تكون كفراً فلأن المرأة تقوم بغيرتها في تحريم ما أحل الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد ويقابله بالرد والإنكار. وتحريم ما أحل الله وسخطه ما رضيه ردّ عليه وهو لا محالة كفر.

والغيرة المحمودة للرجل هي التي تكون في الريبة، أما الغيرة من غير ريبة، فهي هوس وظن فاسد، وهي مذمومة، والله تعالى يكرهها، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام: إياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعوا الصحيحة منهن إلى السقم ولكن أحكم أمرهن فإن رأيت عيباً

(١) المصدر نفسه.

(٢) الكليني، الكافي، ٥/٥٣٦.

(٣) نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ٤/٢٩.

فجعل النكير على الصغير والكبير، فإن تعينت منهن الريب فيعظم الذنب ويهون العتب^(١).

فعلى أولياء النساء أن يدركوا ذلك، فلا يطلقوا لأنفسهم العنان بإساءة الظن في نسائهم وبناتهم دون دليل وبرهان، وليعلموا أن الغيرة دون شيء مريب، هي مجرد إساءة ظن، وتهمة لا صحة لها، وإن ذلك يضر ولا ينفع، ويفسد العلاقة بين الزوجين، وتتعدى اجواء السكن وتكدر الفكر والسريرة وهذه الشكوك والظنون تنتج لنا فتنة تخرج البيت من السكن الى الغليان، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (ان الشكوك والظنون لواقح الفتن، ومكدره لصفو المناائح والمنن)^(٢).

إن الغيرة أمر واجب وهي من طبيعة الرجل الصالح المتصف بالإيمان، إلا انها معتدلة وفي حدود وضوابط وليست أهواء ومزاج عابر او تسلط وعنجهية بقدر ما هي حرص وحفظ للمرأة خصوصاً وللأسرة عموماً، وفق معايير الإسلام البعيدة عن الظنون والشكوك التي لا محل لها من الحقيقة من بعيد أو قريب.

٦: عقوبة الزنا والقذف:

تقدم الكلام عن (الزنا والقذف) ضمن أهم المشكلات الاجتماعية العامة من هذا الكتاب، واقتضى ذكرهما هنا بإيجاز لما فيه من مناسبة المقام، إذ إن الزنا والقذف من أخطر الجرائم، لما لهما من آثار عظيمة على الفرد والأسرة، بل والمجتمع بأسره، ومن ذلك: انحراف السلوك، وشيوع الفاحشة، وتلطيخ السمعة، والتعرض للعقوبات، والوقوع في الأعراض المحرمة بفعل، أو قول أو عليهما نحو ذلك.

(١) الكليني، الكافي، ٥/٥٣٧.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ٩١/١٤٧.

فحماية للأسرة، وتحقيقاً لسلامة المجتمع، وتأديباً للمجرمين المتعددين لحدود الله، نجد أن الله تعالى قد رتب عليهما عقوبات مغلظة.

فجعل سبحانه الرجم للزاني إن كان محصناً، وجلد مائة إن كان غير محصن، قال تعالى: ﴿الرَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(١)، وجعل حدّ القذف ثمانين جلدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وكما ان مرتكب الزنا يستوجب سخط الله سبحانه وعذابه في الآخرة، فهو لا يخلو من آثار دنيوية منها الموت المفاجئ لفاعله، قال رسول الله ﷺ: (إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة)^(٣)، وكذلك تظهر عواقبه في الارزاق ويذهب بركتها، قال الإمام الكاظم عليه السلام: (اتق الزنا فإنه يمحق الرزق ويبطل الدين)^(٤)، ويلخص لنا الإمام الصادق عليه السلام جملة من الخصال التي يتصف بها فاعل الزنا في قوله عليه السلام: (للزاني ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أما التي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويورث الفقر ويعجل الفناء وأما التي في الآخرة فسخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار)^(٥).

فهذه العقوبات (الحدود والخصال) فيها غاية التأديب للفاعل، ليقطع عن الجريمة، ويتوب منها، ويعود إلى الإيمان، وفيها أيضاً ردع لكل من تسول له نفسه . من أفراد

(١) سورة النور، الآية ٢.

(٢) سورة النور، الآية ٤.

(٣) الكليني، الكافي، ٣٧٤/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٥٤١/٥.

(٥) المصدر نفسه، ٥٤١/٥.

المجتمع . الوقوع في شيء من ذلك، قال تعالى في حد الزنا: ﴿وَلْيُشْهَدْ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

ولفلسفة هذا الحكم في ان يشهد مجموعة من المؤمنين عذاب (الزانية والزاني) يمكن ان نلاحظها في:

أولاً: إن الهدف هو أن يكون هذا الحكم عبرة للناس جميعاً، وسبباً لتطهير المجتمع.
ثانياً: ليكون خجل المذنب مانعاً له من ارتكاب هذا الذنب في المستقبل.
ثالثاً: متى نفذ الحد بحضور مجموعة من الناس يتبرأ القاضي والقائمين على تنفيذ الحد من أية تهمة كالارتشاء أو المهادنة أو التفارقة أو ممارسة التعذيب وأمثال ذلك.

رابعاً: حضور مجموعة من الناس يمنع التعنت والإفراط في تنفيذ الحد.
خامساً: حضور الناس يمنع المجرم من نشر الشائعات والاتهامات ضد القاضي، كما يحول هذا الحضور من نشاط المجرم التخريبي في المستقبل وغير ذلك من الفوائد.

فإن المسلم إذا تذكّر العقوبة التي تترتب على الجريمة، فإنه سرعان ما يعرض عنها، ويضاف إلى ذلك العقوبة الاجتماعية المتمثلة في التشهير بين الناس، وتلطيخ السمعة، وازدراء المجتمع.

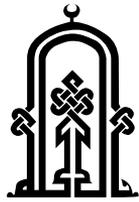
فيظهر لنا جلياً، أن عقوبة الزنا والقذف، من عوامل حماية الأسرة، والحفاظ على أفرادها من الانحراف.





الفصل الثاني

اختيار الشريك الصالح في بناء الأسرة



اختيار الشريك الصالح في بناء الأسرة

حُسن اختيار (الزوج والزوجة) من أولويات تأسيس الأسرة، فالأسرة نواة المجتمع فإن صلح الاختيار صلحت هذه النواة، وبصلاح النواة صلح المجتمع عامة، فالحياة الزوجية شراكة من اخطر الشراكات، وفي هذا الفصل سنقف على أهمية هذا المبدأ من حيث^(١):

أولاً: أثر اختيار الشريك الصالح: تقدّم أن الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع الصالح، لذلك رغب الإسلام في اختيار الأزواج على أساس الدين فالزوجة الصالحة والزوج الصالح يُعين بعضهم بعضاً على أمر الآخرة، سئل النبي ﷺ: أي المال نتخذ؟ فقال ﷺ: (ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تُعين أحدكم على أمر الآخرة)^(٢).

وقال ﷺ أيضاً: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم)^(٣)، وقال ﷺ أيضاً: (ما بُني في الإسلام بناء أحب إلى الله من التزويج)^(٤)، وحيث نتصفح الأخبار الكثيرة الواردة في هذا الباب، نراها تُريد من هذه الكلمة بموادها المختلفة: العملية الاقترانية بالشروط التي فرضتها الشريعة.

وفي القرآن الكريم نلاحظ الأمر الإلهي للآباء بأن يزوجوا أبناءهم ذكوراً وإناثاً وأن يبسروا لهم سُبُل الزواج، وأن يزيلوا أي عقبة تعترض الزواج. قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ

(١) للتوسعة في مصادر هذا الفصل والذي يليه من الفصول ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المنظور

القرآني في بناء الإنسان، ص ١٨٠ وما بعدها .

(٢) الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، ١٤/١٧١.

(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣/٣٨٣، ظ: احمد بن حنبل، مسند احمد، ٣/٣٥٤ .

(٤) النوري، مستدرک الوسائل، ١٤/١٥٣ .

وَأَسِعْ عَلِيمٌ^(١)، والأيامى جمع أيم وهي من لا زوج لها أو مات عنها زوجها بكرة كانت أو ثيباً وكذلك الرجل لا زوج له^(٢).

واختلف في المراد من الأمر - في الآية - بتزويج الأيامى هل هو للوجوب أم للندب، فقول الصيغة تحتل الوجوب والندب بحسب ما يعرض من حال المأمور بإنكاحهم، وقيل إن الأمر للوجوب بمعنى أنه يتعين إعانة الراغبين منهم في الزواج وتمكينهم من الإحصان بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية، وتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة، وهو واجب ووسيلة الواجب واجبة^(٣).

يقول الشيخ الشيرازي: (وعبارة "وَأَنْكِحُوا" أي "زوّجوا" وبما أنّ الزواج يتم بالتراخي وحرية اختيار الطرفين، فالمراد من هذا الأمر بالتزويج التمهيد للزوج، عن طريق تقديم العون المالي عند الحاجة أو العثور على زوجة مناسبة، أو التشجيع على الزواج والاستفادة من وساطة الأشخاص لحلّ المشاكل المستجدة)^(٤)، فإتاحة الزواج للراغبين مسألة لا تقل أهمية عن ضمان الأقوات للشعوب.

ويُفهم مما سبق أنّ الإسلام يهتم بإشباع غريزة الجنس، باعتبارها من الدوافع التي خلقها الله تعالى في النفس الإنسانية لتعمل وتصرف في منصرفاتها الطبيعية لا لتكبت، وأنّ الإسلام لا يستنذر الجنس وإنما يضبطه؛ فيبيحه في الحدود التي شرعها الله سبحانه ويدعو إليه ويشجّع عليه.

فإذا كان الزواج بهذا القدر من الأهمية كان من الأسس التي وضعها الإسلام لبناء أسرة قوية متماسكة هو حُسن اختيار كل من الزوجين شريك حياته، فالزواج قضية

(١) سورة النور، الآية ٣٢ .

(٢) ظ: الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ص ١٠٠ .

(٣) ظ: الالوسي، روح المعاني، ٤٦٦/١٨، سعيد حوى، الأساس في التفسير، ٣٧٣٧/٧ .

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦٨/١١ .

اجتماعية كبرى، فما ينشأ عن سوء الاختيار من الشقاق والنزاع وانشطار الأسرة وتفككها، لا تعود آثاره على الزوجين فقط، بل يمتد إلى سائر المجتمع.

ثانياً: أهمية اختيار الشريك الصالح:

وتتمثل أهمية اختيار الشريك الصالح في عدة نقاط، لعل من أهمها:

- ١- تجنب الخضوع لحكم الهوى، والنزوات العابرة، فلما كان الزواج من الأمور الخطرة في آثاره، وكان التوفيق فيه سبباً في سعادة الدارين، اقتضى ذلك أن يتم الإقدام عليه بحكمة وروية.
- ٢- تعد مسألة اختيار الأزواج من المسائل الصعبة في عصرنا، نتيجة اختلاط الأمور على الناس، بسبب سيطرة الجاهلية على المجتمع في تصوراته وفكره وأخلاقه وتشريعاته.
- ٣- الزواج أحد أهم ثلاثة أحداث في حياة الإنسان: الولادة، الزواج، والموت، والولادة والموت يحدثان من دون إرادة منا، أما الزواج فقراره مرتبط بإرادتنا، ولا شك في أن أهم القرارات المتعلقة بالزواج هو اختيار شريك الحياة .
- ٤- الزواج عقد يتصف غالباً بالدوام، فهو عقد حياة مشتركة لها آثارها الممتدة من الافضاء وعلاقة المصاهرة وإنجاب الأولاد.
- ٥- حاضر الأمة ومستقبلها يعتمد على نوعية أجيالها، والأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد نوعية أولئك الناشئة قوة أو ضعفاً .
- ٦- إن بناء الجماعة والأمة المسلمة التي تعيش الإسلام الحقيقي تصوراً وفكراً والتزاماً هو الهدف المنشود لكل مسلم، وهذا لا يتحقق إلا ببناء البيت المسلم الذي يكون بمثابة حصن من حصون المجتمع، وهذا الحصن لا يصمد إلا بوجود زوجة صالحة .

لأجل هذه المعاني نجد أن الإقدام على الزواج ينبغي أن يمنح المزيد من التروي والمشاورة والرجوع إلى الحكماء وذوي الخبرة، وطلب العون والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، إذ (ليس من السهل اليسير أن يُجمع بين إنسانين يؤلفان وحدة منسجمة تعيش مدى الحياة في ظل حياة زوجية رغيدة إلا أن يتم الاختيار القائم على أسس متينة تخضع لحكم العقل لا العاطفة، والحسن والجمال)^(١).

وفي سنة المعصوم عليه السلام نلحظ مجموعة كبيرة من التوصيات التي ترشد الإنسان إلى حُسن الاختيار، ومنها قول الحبيب محمد صلى الله عليه وآله: (إياكم وخضراء الدمن، قيل يارسول الله صلى الله عليه وآله: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسنة في منبت السوء)^(٢)، فنلاحظ - في هذا الحديث التأكيد على دراسة البيئة - التي نشأت فيها الفتاة ومدى تأثيرها في تكوين شخصيتها من ناحية الأخلاق والسلوك العام .. والتحذير من الاستغراق في الجمال الجسدي، بعيداً عن الوعي الشامل للجوانب التي تجعل من العلاقة علاقة ناجحة سليمة.

ومن هذه التوصيات الداعية إلى حُسن الاختيار، ما نلحظه أيضاً عند عدل القرآن أهل البيت عليهم السلام، يقول الإمام علي عليه السلام: (إياكم وتزوج الحمقاء، فإنَّ صحبتها بلاء، وولدها ضياع)^(٣)، فصحة الحمقاء بلاء لا يطاق، وهي سيئة التصرف، ولكن ما علاقة ذلك بضياع الولد الوارد في الحديث؟

وللإجابة عن هذا التساؤل فلا مناص من القول بأن الإمام عليه السلام يشير إلى العامل الوراثي الذي ينتقل من الأم إلى ولدها، فيكون هذا المولود في أغلب الأحيان عالة على المجتمع .

(١) عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، دار الزهراء، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص٩٠.

(٢) الكليني، الكافي، ٣٣٢/٥، المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٠٠/١٦.

(٣) المصدر نفسه، ٣٥٤/٥.

وكذلك نلاحظ جواب الإمام محمد الباقر عليه السلام لمن سأله عن الزواج بالمرأة المجنونة فيقول: (الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسنة يصلح له أن يتزوجها وهي مجنونة؟) ويأتي الجواب من الإمام عليه السلام قائلاً: (لا)^(١)...

فيفهم من (رد الإمام بالرفض مطابقاً لقانون الوراثة، فما الفائدة في زوجة حسنة مجنونة ينتقل هذا المرض منها بالوراثة إلى من تتجب، ولو لمن يتناسل من الأحفاد، وأولادهم بواسطة الوراثة غير المباشرة)^(٢).

ولا تقف إرشادات الاختيار الصحيح عند حد الزوجة، بل إن الأمر يتعدى إلى الخال، فيقول النبي صلى الله عليه وآله: (اخاروا لنطفكم، فإن الخال أحد الضجيعين)^(٣)، وفي هذا الحديث توضيح إلى الوراثة غير المباشرة، وذلك عن طريق أخ المرأة، فمن الممكن انتقال صفات الخال إلى الولد عن طريق الأم، ويمكن كذلك القول أن المراد أيضاً هو الأثر البيئي لأسرة الأم على الولد جراء التعايش والتواصل بين الأبناء وأهل الأم، وقد لا يقف الأمر عند هذا القدر ويتعداه إلى المحيط العام الذي تعيشه الأم المختارة للزواج.

(البيئة الجغرافية أو البيئة المحلية أو بيئة القرية أو المدينة، سواءً كانت منحطة أو عالية، كل هذه لها الدخل الكامل في بناء الطفل حيث تتطبع العادات والتقاليد على نفسية الأبوين... وفي ذلك الجو ينصهر الوليد، ويتكون متأثراً بكل ما ينعكس عليه في المحضن الذي يضمه بين جوانبه)^(٤).

(١) الكليني، الكافي، ٣٣٢/٥.

(٢) عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، ص ٩٥.

(٣) الكليني، الكافي، ٣٣٢/٥.

(٤) عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، ص ٩٧.

والأصل بطبيعة الحال أن يختار الرجل المرأة الصالحة ليتزوجها، ولكن إذا وجد الرجل لأبنته كفوًّا جاز له أن يخطبه لابنته، ويتمثل ذلك في كتاب الله العزيز، عندما عرض نبي الله شعيب ابنته على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِيًا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، فقد توفرت في موسى عليه السلام أهم صفتين في الإنسان القائم بالأعمال والمدير لأي شأن من شؤون الحياة وهما التحلي بالقوة والأمانة؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك ففي ذلك سعادتك وراحة البال وتمام مرادك، وقيل: (القوي في دينه الأمين في جوارحه)^(٢).

وعلى ذلك استجاب شعيب عليه السلام لاقتراح ابنته، لما استشعره أيضاً من ثقة متبادلة في نفسيهما (الفتاة وموسى عليه السلام)، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء الأسرة.

ومن ذلك ما نلاحظه جلياً في تصرف حكيم من لدن السيدة الجليلة خديجة (أم المؤمنين) في خطبتها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله لما كان منه صلى الله عليه وآله من الخلق العظيم والشرف الرفيع مما يُعجز القلم عن بيانه^(٣).

(١) سورة القصص، الآية ٢٦- ٢٧ .

(٢) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢/٢٤٧.

(٣) قالت: يابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وصدقك، وحسن خلقك ثم عرضت عليه نفسها وكانت خديجة (عليها السلام) يومئذ اوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً...، ظ: ابن اسحاق محمد يسار (ت ١٥١ هـ)، سيرة ابن اسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، الناشر: معهد الدراسات والابحاث، ٦٠/٢.

لقد كرم الإسلام المرأة وحفظ لها حقها في اختيار زوجها، واحترام إرادتها، وهذا الموقف من أدق المواقف في حياة المرأة وأمسه بمستقبلها وعدم الإنكار عليها (بحجة أنه ينافي الحياء ويجرح الإحساس بالعفاف.. وذلك لأن الحاجة إلى الزواج، سواء من ناحية الغريزة الجنسية، أم من ناحية الحاجة إلى الاستقرار والسكينة في ظل الحياة الزوجية، من الأمور المشتركة بين الرجل والمرأة، فلا معنى لإعطاء الحق للرجل أن يعبر عن رغبته لأبيه وللآخرين باعتبار ذلك حقاً طبيعياً له.. وحرمان المرأة منه بحجة أنه يتنافى مع آدابها العامة ..)^(١).

ثالثاً : أهداف الخطبة:

وبعد التحقق من حسن الاختيار للشريك الصالح، تبدأ مرحلة الخطبة، وتتحقق بالخطبة الأمور الآتية:

- ١- التعرف على رغبة الخاطب في نكاح المرأة، وذلك عندما يطلبها من وليها.
- ٢- وضوح الرؤية للخاطب في الموافقة على تزويجه من عدم ذلك.
- ٣- تبين الخاطب عن طريق الخطبة في أن المرأة التي تقدم لخطبتها ليست مخطوبة لغيره.
- ٤- إن المدة التي بين الخطبة وبين العقد، تمثل مرحلة تروي وتبصر للطرفين، ليطمئن كل واحد منهما ويتأكد أنه وفق لحسن الاختيار، بحيث لو ظهر لأحدهما رغبة في العدول عن النكاح لأي سبب من الأسباب لأمكنه ذلك، إذ أن الترك قبل عقد النكاح أيسر وأسهل من حصوله بعده، فالتراجع بعد إبرام العقد والدخول صعب، بل قد يترتب عليه مشاكل ودعاوى كثيرة.

(١) محمد حسين فضل الله، على طريق الأسرة المسلمة، ص ٣٩، ظ: عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص ٤٧.

٥- إن نظر الخاطب إلى مخطوبته بالشروط الشرعية، لا يتأتى غالباً إلا بعد الخطبة، ومن خلاله يتعرف على أوصاف مخطوبته الخلقية والخلقية، وهو من أسباب دوام الحياة الزوجية كما سيأتي.

رابعاً: المخالفات الشرعية في الخطبة:

إن خطبة النكاح لا يترتب عليها أثر شرعي مما يكون من آثار العقد، فيبقى كل واحد من الخاطب والمخطوبة أجنبياً عن الآخر، وبالتالي فلا تجوز الخلوة بينهما، ومما يؤسف له أن كثيراً من المجتمعات الإسلامية تمارس فيها تصرفات غير مشروعة في هذا الباب فسمحوا بإجراء علاقات بين الخاطب والمخطوبة، بعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامي، والسبب في ذلك ضعف الوازع الديني، والتقصير في التربية الإسلامية الصحيحة، والتأثر بأحوال وعادات وتقاليد غير المسلمين، ودعاة الزيف والانحلال، حيث سمح هؤلاء وأولئك للخطاب أن يختلي بمخطوبته، وأذنوا له بالخروج بها إلى الأسواق والملاهي والحدائق ونحوها من الأماكن العامة، ولربما وافق أهل الفتاة على سفر الخاطب بها دون حسيب ولا رقيب، بدعوى التعرف على بعضهما البعض عن قرب.

وهذه التصرفات لا يقرها الإسلام، بل يمنعها ويحذر منها، ويجعل المخطوبة في سياق حصين، درة مصونة في بيت أهلها، حتى يتم عقد النكاح، وليست ألعوبة يعبث بها كل عابث، ويتمتع بها كل مستهتر بحجة أنها مخطوبته، حتى يذهب حياؤها، ويُقضى على عفافها في حالة ضعف من الخطابين اللذين جمع بينهما الشيطان.

إن الإسلام يحرم الخلوة بالمخطوبة، لأنها مازالت أجنبية عن الخاطب - وقد تقدم الكلام عن حرمة الخلوة وخطورتها من هذا الكتاب -.

خامساً: أهم المبادئ التي يجب ان تتوفر في المرأة (شريك الحياة):

ولأختيار الزوجة الصالحة، أن نلحظ المبادئ العامة التي يجب أن تتوفر فيها وفق أسئلة، من أهمها^(١):

أولاً: عن عقيدتها: إن الانسجام بين الزوجين لن يتم إلا إذا كان هناك انسجام ثقافي بينهما، ومن دون ذلك فإن مجرد التلاحم الجسدي لن يستطيع ان يحقق الانسجام المطلوب .

إن الحياة تختلف بين أمة وأمة نتيجة اختلاف نظرتها إليها، فكيف يمكن توحيد الحياة بين زوجين يختلفان في تفسيرها وطريقة ممارستها؟ .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، يقول السيد الطباطبائي: (جعل الحكم لغرض ردع المؤمنين عن الاختلاط في العشرة مع من لا يزيد القرب منه والأنس به إلا البعد من الله سبحانه، وحثهم بمخالطة من في مخالطته التقرب من الله سبحانه وذكر آياته ومراقبة أمره ونهيه دعوة من الله إلى الجنة)^(٣)، ولا نجد أنساً ومخالطة أكثر من الانس والمخالطة مع الزوجة، فكان من الحري التزم ذات الدين وتجنب ذات الحُسن من غير ان تتحلّى المرأة بالإيمان لأن المؤمنة - ولو بلغت من الدمامة ما بلغت - خير من المشركة، ولو بلغت من الحُسن ما بلغت .

(١) للتوسعة: ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المنظور القرآني في بناء الإنسان - دراسة تفسيرية -، ص ١٨٤.

(٢) سورة البقرة، ٢٢١ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٧٢/٢ .

ثانياً: عن عائلتها: يقول النبي ﷺ: (تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن)^(١).

ثالثاً: عن خصوبة رحمها: يقول الرسول الاعظم ﷺ: (خير نسائكم الودود، الولود، المؤاتية (المطبعة) لزوجها)^(٢).

رابعاً: عن جمالها: يقول النبي ﷺ: (خير نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً، وأقلهنّ مهراً)^(٣)، ويقول الإمام علي بن أبي طالب: (عقول النساء في جمالهنّ، وجمال الرجال في عقولهم)^(٤).

خامساً: عن شعرها: يقول الرسول ﷺ: (إذا أراد أحدكم أن يتزوَّج امرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها، فإنّ الشعر أحد الجمالين)^(٥).

سادساً: عن بكارتها: يقول النبي ﷺ: (تزوجوا الأبيكار، فإنهن أعذب أفواهاً، وأرتق أرحاماً، وأسرع تعلماً، وأثبت للمودة)^(٦).

وللزوج أن ينظر إلى زوجته المرتقبة قبل الزواج، حتى يكون على معرفة تامّة بمواصفاتها الجسديّة، يقول النبي ﷺ: (من تأقت (اشتأقت) نفسه إلى نكاح امرأة فلينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها)^(٧).

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٩٥/١٦، ظ: النوري، مستدرك الوسائل، ٣٨٩/١٤ .
(٢) النوري، مستدرك الوسائل، ١٦٢/١٤، ظ: احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٥٨/٣ .
(٣) الكليني، الكافي، ٣٢٤/٥، المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٩٧/١٦ .
(٤) المجلسي، بحار الانوار، ٨٢/١ .
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٥٩/٢٠، المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٩١/١٦ .
(٦) المجلسي، بحار الانوار، ٢٣٧/١٠٠، ظ: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٥٩٨/١ .
(٧) النوري، مستدرك الوسائل، ١٩٤/١٤ .

ان هذه المطالبة من النبي ﷺ بأن ينظر الخاطب إلى من يُريد الزواج بها، تحمل بين طياتها الإرشاد إلى أهم نقطة يبتنى عليها تركيز القاعدة الزوجية، وجعلها المنطلق الاساسي لبناء الأسرة.

وفي موقف آخر يتجلى الابداع التوجيهي للزوج يتلقاه، من التعليمات التي يوجهها أئمة أهل البيت ﷺ، فالإمام جعفر الصادق ﷺ يجب من يسأله عن: (الرجل يريد أن يتزوج المرأة يجوز له أن ينظر إليها؟ فيقول الإمام: نعم وترقق له الثياب)^(١)، وترقيق الثياب في كلام الإمام ﷺ فيه تنبيه على مدى ما تمنحه الشريعة للزوج في سبيل تمكينه من الوصول إلى وضع المرأة الطبيعي.

ولعل السائل استغرب من الإمام ﷺ هذا النوع من هذا العرض لحال المرأة، فبدت عليه أمارات الدهشة، إذ كيف يمكن للأجنبي أن يصل إلى هذا العمق من المرأة وهي أجنبية عنه، ولعل الإمام ﷺ تدارك الموقف فعلل للسائل هذا التسامح من الشارع المقدس ليرفع ما علق في نفسه من شكوك، ومراعياً فهم السائل، فيقول ﷺ معقياً: (لأنه يريد ان يشتريها بأغلى ثمن)^(٢) .

والتعبير بكلمة (أغلى ثمن) لم يقصد منها التركيز على الجانب المادي وإن كان في بعض المهور الكثيرة هذا التعبير بل يُراد منه ما هو أغلى من المادة يقدمه الزوج ثمناً لرباطه المقدس.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٦١/١٤، المجلسي، بحار الانوار، ٤٣/١١، وعلق السيد محسن الحكيم (قد) على هذا الحديث بقوله: (فإن ترقيق الثياب ليس إلا من جهة التمكن من النظر إلى ما خلف الثياب من سائر البدن ولذلك قال في الجواهر: (فلا محيص للفتية الذي كشف الله تعالى عن بصيرته عن القول بجواز النظر إلى جميع جسدها بعد تعاضد تلك النصوص، وكثرتها، وفيها الصحيح، والموثق وغيرهما الدالة بانواع الدالة على ذلك). مستمسك العروة الوثقى، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤٠٤هـ، ١٤/١٤، اما السيد الخوئي لم يذهب إلى هذا المعنى من رؤية البدن، ظ: كتاب النكاح، منشورات مدرسة دار العلم، (د ت)، ٢٦/١. (٢) المصدر نفسه.

إلا أنَّ الجمال وحده لا يجوز أن يكون المقصود الوحيد للزواج، فلا يجوز أن يهدفه الإنسان على حساب الصفات الأخرى، وهذا ما يؤكدُه النبي ﷺ في قوله: (تتكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت^(١) يداك^(٢)).

وفي شروط اختيار الرجل زوجاً لابنته، يقول النبي ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)، قالوا: يارسول الله وإن كان فيه؟ قال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، قال ذلك ثلاث مرات)^(٣).

وذلك أن الله تعالى تكفل رزق الإنسان، وأدان الذين يفرون من الزواج بحجة الفقر، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، فنلحظ في هذه الآية علاج لمفهوم اجتماعي طبقي، يرتكز على أساس اعتبار الثروة عنصراً حيوياً في إقامة العلاقات الزوجية بين الناس، مما يجعل المجتمع يرفض الفقير أو الفقيرة اللذين يُريدان الزواج مهما كانت درجة الكفاءة العلمية والروحية والأخلاقية التي يتمتعان بها، ويقبل في المقابل الغني، حتى لو لم يكن لديه شيء من كفاءة العلم والروح والأخلاق.

فاذا تم الأختيار وفقاً للضوابط الشرعية وإبرم ميثاق النكاح وقع على عاتق الرجل التزام القيد الشرعي الثابت بالعدل في كل ما أمر الله به وأوجبه من أحكام شرعية ثابتة دون تأويل أو تبديل. قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٥)، أي ان من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية

(١) تربت بمعنى التصقت بالتراب فإذا خالف صاحبة الدين فقد أساء الاختيار، ظ: ابن الاثير، غريب الحديث، ١/٤٨١.

(٢) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢/٤٢٨، ظ: الكليني، الكافي، ٥/٣٣٢.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ٢/٢٧٤، ظ: الكليني، الكافي، ٥/٣٤٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٥) سورة النساء، الآية، ٣٤.

والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك ان يفرض عليهم الجهاد دونهن فإنه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث اكثر من حظهن لأن عليهم من النفقة ما ليس عليهن، وسبب ذلك ان الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم مالم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام، أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد. فنلاحظ هنا إن سبب هذه القوامة يعود لسببين أولهما فطري (وهبي) والآخر كسبي.

وبكلمة اتضح التأكيد على أهمية الاختيار، وما ينتظر الآباء من الاخطاء الجسيمة والمفاسد الكبيرة، إذا هم لم يحسنوا اختيار الأزواج لبناتهم، فإن حال الأسرة لا يستقيم ولا يصلح شأنها مع وجود خلل أو فساد في أحد أركانها، وهذا لا يتأتى إلا بأن يوفق كل من الزوجين في حُسن اختياره للآخر، فإن النكاح يحقق مصلحة المرأة والرجل ويحفظ النوع الإنساني، ويحصل به تحقيق حماية الشرف ومنع ابتذال الجنس كما أنه يؤدي إلى حفظ الصحة، ويتم به سرور النفس ويحقق المقاصد النبيلة من بناء الأسرة الصالحة.





الفصل الثالث

المنظومة الحقوقية في الأسرة
(حقوق الزوجين)



المنظومة الحقوقية في الأسرة

(حقوق الزوجين)

حث القرآن الكريم الإنسان على الزواج واعتبر العلاقة الزوجية نظاماً أساساً في بناء الحياة الإنسانية، وتتضح هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

إن في الزواج وما يصحبه من مودة وترايط بين الزوجين سبباً لاستقرار الأسرة وثباتها ومن ثم استقرار المجتمع وسعادته، ذلك أن العقد بين الزوجين يفضي إلى أشد التلاحم والترايط بينهما. إذ إن الأسرة التي منشأ تكوينها الزوجان مؤسسة اجتماعية يتعلمان فيها مع الأبناء تنظيم الأعمال وتحديد المسؤوليات المنوطة بكل منهم وأدوارهم والالتزامات تجاه بعضهم، فهي قائمة على ضوابط المسؤولية والتعاون، وليست مجرد لذة جنسية أو عواطف تجاه بعضهم، وإن كان كل ذلك من أغراضها.

يقول السيد محمد تقي المدرسي: (إن الصلة التي يُمتنُّ ربنا أصرتها بين الزوجين ومن خلالهما بين سائر أبناء المجتمع تتجاوز المودة المادية القائمة على أساس المصالح المشتركة والخدمات المتبادلة لتصبح صلة روحية يفكر كل طرف في مدى عطائه قبل أن يبحث عما يأخذه، وقد يضحي بنفسه من أجل المحافظة على قرينه أو قريبه)^(٢).

(١) سورة الروم، الآية ٢١ .

(٢) من هدى القرآن، ٢٩/٧ .

ورعايةً لجانب بناء الاستقرار الأسري لم يترك هذا الأمر لاجتهاد أحد الطرفين، وإنما تكفل الله تعالى من خلال القرآن برسم آلية التعامل التي تكفل لكل منهما حقه، وهذا ما سوف نحاول بيانه في هذا المطلب وعلى النحو الآتي:

أولاً: الحقوق المشتركة بين الزوجين .

في مجال بناء الحياة المشتركة بين الزوجين، نلتزمه فيما ضربه الله مثلاً في علاقة أفراد النوع الإنساني في قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾^(١)، ويبين سبحانه وتعالى أن علاقة ما بين الزوجين من هذا النوع دون سائر الأنواع، كالعلاقة بين الحرث والحارث؛ لأن أجسامهما ركبت تركيباً يستلزم لعلاقتها ذلك الثبات والدوام الذي يكون لعلاقة الحارث بحرثه، فكما أن الحارث لا ينتهي عمله في الحرث بمجرد القاء البذر فيه، بل يكون من واجبه بعد ذلك ان يُسَمِّدَهُ ويسقيه ويرعاه ويسهر عليه، كذلك ليست المرأة بمزرعه يُلقى فيها من يَمُرُّ بها بذره كيفما اتفق، فنُتَبِتَ شجرة برية، بل هي إذا حملت تحتاج إلى حارثها برعايتها وكفالتها، ومن هذه الحقوق المشتركة بين الزوجين:

١- حق الاستمتاع المتبادل:

من أهم مقاصد الزواج الجماع، وهو أصل وجود الحياة للكائنات، وهو من أهم حاجات النفس البشرية وأقوى شهواتها، ذلك (إن الشهوة الجنسية ليست بغريزة ثانوية كحب القتال أو الميل إلى اللعب. بل هي غريزة رئيسية ضرورية تماماً كالجوع والنوم وحب البقاء)^(٢)، فكان الزواج هو الطريق الشرعي لإشباع الحاجات الجسمية والعاطفية والاجتماعية، وهو أفضل طريق لاستنفاد طاقة الإنسان الجنسية المتجددة، ويقال من

(١) سورة البقرة، الآية، ٢٢٣ .

(٢) عز الدين بحر العلوم، الزواج في القرآن والسنة، ص ٧١ .

الدوافع الجنسية عند الرجل والمرأة، وهو الطريق الوحيد لتحصيل الذرية، ودرب من دروب بناء الأسرة الإسلامية، والضامن لحماية الأسرة من الهدم والتشرد.

والإشباع الجنسي المباح يُعد الوسيلة الوحيدة الصحيحة لممارسة الجنس، ليس فقط في الإسلام، بل في نظر علماء الجنس والاجتماع^(١)، فالإشباع الجنسي لا يُمكن أن يتحقق خارج علاقة زوجية مشروعة، إذ إن العملية الجنسية هي أعمق المشاعر الحيّة إطلاقاً، ويمكن أن تكون أكمل تعبير عن الحب المتبادل بين الزوجين.

إذ تجتمع فيه إشباع العواطف والغرائز والروح والبدن والفكر والتصور والرغبة والإحساس والخيال، والسمع والبصر والشم واللمس والذوق والمشاعر والأعصاب وسائر أعضاء الزوجين، وبهذا الفيض الغامر من العواطف والمشاعر النفسية والروحية للوصول إلى أقصى استمتاع متكامل لانطلاق الحياة واستمرارها، ولقضاء الاحتياج في انكشاف نفسي وروحي وبدني صريح، تغلفه الفطرة بستر من الحياء الفطري الراقى، والإيمان الديني الذي تؤسس عليه العلاقة الزوجية، والعطاء الرباني من المودة والرحمة، فيرتفع الحرج الإنساني، وتنساب الحياة في يسر وفي متعة وعبادة^(٢).

وهذا ما نلتسمه في قوله تعالى: ﴿نَسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ هُنَّ﴾^(٣)، إذ شبه سبحانه هذه العلاقة باللباس واللباس ساتر وواق.. وكذلك هذه الصلة بين الزوجين، تستر كلاً منهما وتقيه.

(١) ظ: مروان ابراهيم القيسي، الإسلام والمسألة الجنسية، ص ٧٣، د. محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، ص ١٨٩.

(٢) ظ: محمد حسين، العشرة الطيبة، دار الدعوة، مصر، ط ٣، ٢٠٠٤م، ص ٤١، أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ت)، ص ١٥٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

إذن حق الاستمتاع الجنسي بطبيعة الحال حق مشترك بين الزوجين^(١)، وغاية من غايات الرباط الزوجي، يقول المرحوم الدكتور محمود البستاني: (إن مهمتي التنازل والإشباع الجنسي قد جعلهما الإسلام مرتبطين ببعضهما مع الآخر بحيث تصبح الحاجة الجنسية باعثاً على الزواج ومن ثم يصبح الزواج وسيلة لاستمرارية التنازل البشري)^(٢)، ومن ثم تحقق الفطرة الملحة التوافق ما بين الزوجين في هذا الحق، ويسلم المجتمع من الانحلال والتقلت والانحراف؛ ذلك أن اشباع غريزة الجنس بالاتصال الحلال والمشروع، يصون الآداب ويعزز البناء الخُلقي الذي هو سر قوة المجتمع وتماسكه، كما أن الزواج عامل من عوامل حماية المجتمع من الامراض الفتاكة التي تنتشر بين أفرادها، نتيجة شيوع الفاحشة.

٢- حُسن العشرة:

معنى حُسن العشرة هو أن يُحسن كلٌّ من الزوجين مخالطة الآخر ومصاحبته، فيخلص له في سره وعلائيته، ويحاول جهد طاقته أن يُدخل السرور على نفسه، وأن يُزيل عنه ما عسى أن يطرأ عليه من أقدار الحياة وآلامها، فالعلاقة الزوجية تُبنى على الاحترام والتقدير، ومراعاة كل واحد من الزوجين حقوق الآخر ومشاعره، وهذا يجلب المحبة والمودة بين الزوجين، ويظل منزلتها بظلال من الهدوء والسكينة، ويجعل المنزل جنة يفيء إليها كل واحد منهما ليجد في تلك الظلال راحة النفس وهدوء البال، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

(١) ومن الجانب الفقهي فالزوج حق مطلق في هذا الشأن لا يقيد به إلا المانع الشرعي، محمد مهدي شمس الدين، حقوق الزوجية، ص ٦٩. ويبدو هنا أنه ناظر إلى التكوين الفسيولوجي للرجل؛ وهذا لا يخل في كونه حق مشترك بينهما.

(٢) الإسلام وعلم الاجتماع، ص ١٩٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

والأصل في حُسن العشرة قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، فهذا التعبير على قلة ألفاظه إلا أنه يشمل المعاشرة القولية وال فعلية، فعلى الزوج أن يُعاشِر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة وكف الأذى وبذل الإحسان وحُسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال.

ولعله يستفاد من حُسن العشرة حتى عند رحيل أحدهما (الزوجين) وهذا المعنى نلحظه فيما روته عائشة عن النبي ﷺ وإخلاصه لزوجته السيدة الكبرى خديجة، إذ قالت: (ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة، ولقد هلكتُ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كُنتُ أسمعُه يذكرها، ولقد أمره ربه - وعجل - أن يُبشرها ببيت من قصب في الجنَّة، وإن كان ليذبح الشاه ثم يهديها إلى خلائها)^(٢).

وفي هذا دليل لحُسن العهد، وحفظ الودِّ ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب.

• أهم نصائح في حُسن العشرة:

ويُلاحظ أن لحُسن العشرة ودوام الصحبة بعض النصائح، والتي منها:

١- أن يتجاوز كل من الزوجين عن هفوات الآخر وأخطائه، ولا سيما ما يقع منها عفو الخاطر، وأن يلتمس لتلك الأخطاء العذر والتبرير، وأن يبادر الطرف المسيء إلى الاعتذار إلى الآخر، وهذا لا يأتي إلا مع المحبة والتعقل وحُسن النية.

(١) سورة النساء، الآية: ١٩ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ١٩٩/١٦ .

٢- أن لا يُظهر أيّ من الزوجين اهتماماً بآخر أكثر من زوجه، كأنّ يُكثر الرجل من إطراء امرأة، وأنها تُفضل زوجته في خُلُقها أو جمالها، وكذلك الزوجة، فإن من شأن ذلك إحداث الجفوة والوحشة بينهما.

٣- أن يُكرّم كل من الزوجين أهل الآخر، وأن يُحسن رفاتهم إذا قدموا عليه.

٤- أن يشكر كل منهما صنّع الآخر، فإذا أتقن أحدهما عملاً أو أحسن إلى الآخر في شأن، أو قدّم هدية شكره على ذلك، وبارك جهده، وعلى كل واحد منهما أن يذكر صاحبه بخير في غيبته، وان يدب عنه إذا انتقص منه مُنتقص.

٥- ألاّ يذم أيّ منهما الآخر أمام أحدٍ بعيب يكون في صاحبه، سواء كان عيباً خُلُقياً من عور أو عرج أو غيره، أو نقيصة اجتماعية كفقر، أو عدم نيل شهادة .

٦- أن يشاطر كلّ منهما الآخر أفراحه وأحزانه، فلا يُظهر الفرح حال حزن الآخر، ولا يُظهر الحزن حال فرجه.

٧- أن يتبادلان الكلمات الطيبة والالفاظ الرقيقة بينهما ففي ذلك راحة للبال واستقرار المودة في نفسيهما، قال رسول الله ﷺ: (قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً)^(١)، كما انه يشيع جو من الألفة في اجواء البيت ونفوس الأطفال.

٨- أن يهتم كل منهما بمظهره الخارجي، فنتزير الزوجة لزوجها ويتزير الزوج لزوجته، فعن الحسن بن جهم قال: (رأيت أبا الحسن (الإمام موسى الكاظم) ﷺ اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت؟ فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة. ثم قال: أيسرك

أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهو ذلك^(١).

إذن من ضروريات الزواج حُسن العشرة، فهو (ليس مجرد علاقة ينص عليها عقد، إنها علاقة تعاھدية، التزام كل واحد من الزوجين للآخر التزاماً مطلقاً وكاملاً ودائماً)^(٢) في سبيل حياة سعيدة مبنية على التفاهم الذي يؤدي إلى التعاون، والتعاون إلى التناغم، والتناغم هو جوهر السعادة الزوجية التي هي ليست منحة مجانية يحصل عليها البعض بالخط، ويُحرم منها آخرون بالصدفة، وإنما هي جهود متواصلة يبذلها الزوجان عن سابق تصميم وإصرار، حتى تعطي ثمارها .

٣- ثبوت حرمة المصاهرة وثبوت النسب:

أ- ثبوت حرمة المصاهرة: هي عبارة عن العلة الخاصة المنشعبة عن علة الزوجية، وهي تنقسم إلى علة بين الزوج والأرحام النسبية للزوجة، وعلة بين الزوج وأرحام الزوج، والظاهر ان المصاهرة لا تتحقق إلا بالعقد الصحيح بين الرجل والمرأة، لتثبت به الحرمة للبعض الآخر^(٣) .

والمحرمات من النساء المذكورات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ

(١) الكليني، الكافي، ٥٦٩/٥ .

(٢) ستيفن كوفي، العادات السبع للأسرة الأكثر فعالية، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٩٦ .

(٣) ظ: علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الأصول، ص ٤٩٥ .

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا^(١)؛ فنلاحظ في الآية الكريمة المحرمات من النساء على الرجل بسبب المصاهرة، وهن على النحو الآتي^(٢):

١- أمّ الزوجة وان علت تحرم على الزوج تحريماً مؤبداً ويدلّ على تحريم الأمّ العالية صيغة الجمع في الامهات، وهذه تحرم بمجرد العقد على بنتها .

٢- بنت الزوجة وإن نزلت أي بنتها، وبنت بنتها، وبنت ابنها، وهكذا وإليه أشارت الآية بالريائب جمع ربيبة لأن الرجل في الأغلب يربي ابنة زوجته في حجره.

٣- حلائل الأبناء جمع حليلة إما الحلّ ضدّ الحرمة، لأنّه يحلّ له وطئها، أو من الحلول، لأنّها تحلّ معه في فراشه، أو من الحلّ ضدّ العقد، لأنّه يحلّ إزارها عند الجماع، ففعيل، على الثاني فاعل، وعلى الثالث مفعول، وقيد بكون الابن للصلب احترازاً من الولد المتبنيّ ولذلك قيل: إنها نزلت ردّاً على المنافقين لما تزوّج رسول الله ﷺ بزَيْنَب بنت جحش زوجة زيد، والأبناء هنا أيضاً شامل لولد الولد، لأنّه ولدك لكن بواسطة.

٤- الجمع بين الأختين في النكاح والتحريم هنا ليس تحريم عين، فلو فارق إحداها بفسخ أو طلاق أو موت، حلّت الأخرى، ولذلك قيد التحريم بالجمع.

ب- **ثبوت نسب الولد:** هو (عبارة عن أصول الإنسان وفروعه، وفروع أصوله، والأول عبارة عن الأب والأم والأجداد والجندات إلى ما علوا، لأب كانوا أو أم، والثاني عبارة عن الأولاد وأولادهم إلى ما نزلوا، والثالث عبارة عن فروع كل أصل إلى ما نزلوا، فيشمل الأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام والعمات والاخوال والخالات وأولادهم)^(٣)، والذي يعنينا هنا هو نسبة الأولاد إلى أصليهما المباشرين، وإن كان هذا

(١) سورة النساء، الآية ٢٣ .

(٢) ظ: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ص ٥٢٠. الجصاص، أحكام القرآن، ١٤١/٢، البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ٢٣/٢، المحقق الحلي، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، ٥٢٨/١ .

(٣) علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الاصول، ص ٥٣٥ .

الحق في الأصل للأولاد، إلا أنه يُعتبر أيضاً للزوجة، وذلك لما يلحق المرأة من عار إذا لم يثبت نسب أولادها، لأبيهم وكذلك هو حال الأب المعني.

والنسب من أقوى الدعائم التي تقوم عليها الأسرة، ويرتبط به أفرادها برباط دائم من الصلة التي تقوم على أساس وحدة الدم، وهو نسيج الأسرة الذي لا تنفصم عُراه، وهو نعمة عظيمة أنعمها الله سبحانه على الإنسان، إذ لولاها لتفككت أواصر الأسرة، وذابت الصلات بينها، ولما بقي أثر من حنان وعطف ورحمة بين أفرادها، لهذا يُعدّ ثبوت نسب الولد لوالديه حقاً مشتركاً بين الآباء والأبناء .

هذا في جانب إثبات نسب الولد لوالديه الحقيقيين، أما أن يُنسب ولد إلى غير أبيه فقد منع الشارع ذلك، وأمر سبحانه بنسبة الأبناء إلى آبائهم الحقيقيين في قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾^(١)، وذلك لأن الادعاء لا يُغير شيئاً من حقائق الواقع، لأن البنوة تعني انتماء الشخص إلى شخصٍ آخر، من خلال خروجه من صلبه بالطريقة التناسلية كحقيقة وجودية تدخل في نظام الأسرة في دائرة الحقوق والواجبات... وربما تحدث بعض السلبات العاطفية لدى الولد المتبنّي، عندما يكتشف في نهاية المطاف الزيف الذي كان يعيش فيه في اعتقاده بأن هذا الرجل أبوه، وبأن هذه المرأة أمّه، عندما يوحى إليه بعض الناس بالحقيقة...، فتنشأ عنده أزمة نفسية عنيفة حائرة بين الأب والأم الأصليين وبين الأب والأم الأدعائيين، مما يخلق مشكلةً صعبة على أكثر من صعيد.

فالإفاضة بالحب والحنان على المحرومين من الأطفال، أو تفرغ الحب والحنان من المتبنين لا يحتاج إلى النسب وإصاقهم به وإعطائهم كل حقوق الولد الصلبي، فهذا الأمر يربك النظام الأسري الذي نهجه القرآن المجيد لحياة سليمة واعية، (وأن

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٥ .

الجهل بالنسب في بعض الأرواد لا يوحى للمجتمع بالعقدة منهم في إقامة العلاقات الحميمة أو الاجتماعية في المستوى الإنساني الذي يحترم فيه الإنسان من موقع إنسانيته، بل يوحى بالارتباط العميق القائم على الرابطة الدينية، باعتبارها الروحي الذي يؤكد العلاقة الوثيقة التي تشد هذا الإنسان المجهول النسب بالمجتمع الإسلامي من موقع الاحترام^(١).

٤- ثبوت حق التوارث بين الزوجين:

حق التوارث بين الزوجين يثبت بعد تمام العقد، وقد نظم القرآن المجيد التوارث بين الزوجين في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾^(٢)، فهذا النوع من الميراث الذي سببه العصمة بين الزوجين قد كان مهجوراً ما قبل نزول القرآن المجيد، إذ إن الجاهلية كانت حاکمة بأعرافها ونظمها، فكانوا يعللون سبب الحرمان بأسباب تتعلق بالرجل والمرأة (الزوجين): (أما الرجل فلا يرث امرأته، لأنها إن لم يكن لها أولاد منه، فهو قد صار بموتها بمنزلة الأجنبي عن قرابتها من آباء وإخوة وأعمام، وإن كان لها أولاد كان أولادها أحق بميراثها إن كانوا كباراً، فإن كانوا صغاراً قبض أقرباؤهم مالهم وتصرفوا فيه، وأما المرأة فلا ترث زوجها، بل كانت تعدّ موروثه عنه يتصرف فيها ورثته)^(٣)، وهو ما حرّمه الله سبحانه في قوله تعالى:

(١) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ٢٦٠/١٨ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢ .

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٠/٤ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾^(١) وذلك ب(أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك، أو مكرهات)^(٢).

ونلاحظ التتويه إلى صلة العصمة، والتي وصفها سبحانه بالميثاق الغليظ في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٣)، إذ (إن الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)^(٤).

وأما ميراث الزوج من الزوجة وبالعكس في الآية المتقدمة، فهو نص واضح المعنى ومنفق على تأويله كاتفاقهم على تنزيله، وأن الولد الذكر والأنثى في ذلك سواء بحجب الزوج عن النصف إلى الربع والزوجه من الربع إلى الثمن إذا كان الولد من أهل الميراث، وأن (نصيب الزوجة إن كانت واحدة فهو لها، وإن كنّ أزيد أشتركن فيه ربعاً كان أو ثمناً، لظاهر الآية والإجماع)^(٥).

وأما سبب ذلك - اشتراكهن بالربع أو الثمن - والحكمة منه، فهو إرشاد الله إيانا إلى أن يكون الأصل الذي تجري عليه في الزوجية هو أن يكون للرجل منا امرأة واحدة، وإنما أباح للرجل أن يتزوج ثنتين إلى أربع بشرطه المضيق لأن التعدد من الأمور التي تسوق إليها الضرورة أحياناً، ولعله - أي الرجل - أراد من التعدد الإضرار بالورثة.

(١) سورة النساء، الآية: ١٩ .

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٥٢٢/١ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٢١ .

(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٩/٣ .

(٥) مقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ص ٦٤٧ .

٥- التعاون على البر والتقوى:

إن تقوى الله تعالى والعمل الصالح الذي يتعاون عليه الزوجان، أعظم ذخيرة يدخرها الأبوان لحماية أولادهما، وأوثق تأمين على مستقبل ذريتهما، وأقوى ضمان لسلامتهم، ورعاية الله سبحانه لهم في حياتهما، وبعد رحيلهما، خاصة إذا تركاهم ضعافاً يتامى، لا راحم لهم ولا عاصم من البشر، قال تعالى: ﴿وَلِيُخَشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١)، وذلك ان (من ظلم يتيماً في حياته فإن ظلمه سيعود إلى الأيتام من أعقابه، وهذا من الحقائق العجيبة القرآنية، وهو من فروع ما يظهر من كلامه تعالى أن بين الأعمال الحسنة والسيئة وبين الحوادث الخارجية ارتباطاً)^(٢).

ونلاحظ انعكاس عمل الإنسان خيراً أو شراً على ذريته في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣).

ولا يقتصر أثر صلاح الأبوين وطاعتهما على الولد المباشر بل يتعداه إلى أجيال، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء)^(٤)، وقال عليه السلام أيضاً:

(١) سورة النساء، الآية: ٩ .
(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٧٦/٤ . وللتوسعة في الرعاية الخاصة التي أولاها الإسلام لحقوق اليتيم ط: عز الدين بحر العلوم، اليتيم في القرآن والسنة، دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٢ .
(٤) المجلسي، بحار الانوار، ١٥٣/٦٧، ومما استشهد به جملة من المفسرين في بيان معنى الآية واثر الآباء على الابناء ما كان من قول الإمام الحسين عليه السلام لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: (بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما. قال عليه السلام فأبي وجدّي خير منه، فقال: قد

(إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله)^(١).

ونلاحظ أهمية التعاون على البر في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾^(٢).

فالصلاة من أهم العبادات الإيمانية، وهي مفتاح الوصول إلى الله تعالى، ومن ثم هي تعبير شامل لكل أنواع العبادات، فكان من واجب رب الأسرة العمل على إيقاظ اولاده إلى الصلاة وحثهم على اقامتها^(٣)، لأن الإنسان المؤمن هو الذي يعمل كي يكون مجتمعه الأقرب إليه، مجتمع صلاة يتعبد فيها لله، ويخلص فيها له، ويقرب فيها منه بروحه وقلبه وضميره، ليكون المجتمع الذي يراقب الله في سره ويتقيه في علانيته، لأن ذلك ما يحقق له التوازن في العلاقات المنفتحة على الله من موقع المسؤولية^(٤).

ومن صور التعاون بين الزوجين على التقوى والطاعة يقول النبي ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فَصَلَّتْ، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)^(٥).

وصور التعاون على الطاعة والتقوى بين الزوجين أشكال متنوعة لا تقف عند حد، إذ (الحياة الزوجية شركة تقام لعبادة الله وعمارة الأرض، وكما جمع الله بينهما على

أنبأنا الله أنكم قوم خصمون). الزمخشري، الكشاف، ٩٦٣/٢، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣٨/٢١، ظ: البغوي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢٧/٢.

(١) المجلسي، بحار الانوار، ١٥٣/٦٧.

(٢) سورة طه، ١٣٢.

(٣) وبما ان الإيقاظ من النوم فيه ازعاج، وان النائم لا تكليف عليه فيإيقاظه من دون طلبه المسبق يحتاج إلى دليل يدل على جوازه، إلا ان رب الأسرة يستثنى (تجاه أفراد أسرته باعتبار ان الآية الكريمة تطلب منه أمر أهله بالصلاة، ومن مصاديق ذلك إيقاظهم من النوم إليها فيكون ذلك جائزاً بل واجباً). باقر الايرواني، دروس تمهيدية في تفسير آيات الاحكام، ١١٠/١.

(٤) ظ: الفصل الخامس من الباب الأول، ص ٩٣ ص ١٠٤ من هذا الكتاب.

(٥) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٤٣٦/٢.

الخير في الدنيا، سيجمع بينهما في مستقر رحمته^(١) ويحرزان ديمومة ثمار التعاون على الطاعة والبر المنعكس أيضاً على ذريتهما في الحياة الدنيا.

٦- اصلاح تخلف أحد الزوجين عن واجبه (نشوز):

وضحت الشريعة الإسلامية الحقوق الزوجية وأخذت بعين الاعتبار الجوانب السلبيّة التي قد تحدث عن أحد الزوجين، إذ يتخلف عن تأدية ما يلزم تحقيقه إزاء صاحبه، لذلك عالج المنهج القرآني هذه المشكلة ورسم لها خطوات البناء، وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٢).

والكلمة - نشوز - (قد أستعملت في باب النكاح في خصوص خروج كل من الزوجين عن الوظيفة التي للأخر عليه، فنشوز الزوجة خروجها عما يجب عليها من حقه، ونشوز الرجل خروجه عما يجب عليه من حقه، والشقاق يستعمل في خروجهما معاً)^(٣)، إذا فتمتة نشوزان نشوز المرأة ونشوز الرجل:

أولاً: نشوز المرأة: فالمرأة إذا بدا منها الترفع على زوجها، وأظهرت معصية أمره، وبدأت تظهر مشاكسات فله ان يسلك معها الخطوات التي أوضحتها الآيات السابقة، وعلى النحو الآتي^(٤):

١- **الوعظ:** أن يذكرها بالله سبحانه، ويخوفها عاقبة فعلها، ويُعظم حقه عليها، ويأمرها بتقوى الله وطاعته. وان يتمتع الزوج بفن الحوار الهادف، لأن الوعظ (حوار

(١) بيان احمد حسن، بناء الأسرة في الإسلام، ص ١٠٦، ظ: محمد ابو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٤-٣٥.

(٣) علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الاصول، ص ٥٣٧.

(٤) للتوسعة ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المعالجات القرآنية للمشاكل الزوجية، ص ١٣٢.

مفتوح بين الزوجين يبدأ الزوج فيه العتاب مع الزوجة، ومراجعة الأسباب التي دعتها لأن تغير من سلوكها معه، فلعل ذلك يثنيها عن سلوكها غير المقبول^(١).

٢- **الهجر في المضجع^(٢)**: وهو أن يدير ظهره لها في الفراش، ولا يكلمها ولا يرد عليها، ولا يقاربه مقارنة الأزواج ويظهر لها الجفاء، فهذا النوع من التكر للزوجة ربما يكون رادعاً لها إذ ستجعل في حسابها أن هذه خطوة لها حسابها في طريق الفرقة لو بقيت تتمسك بقرارها من عدم الاطاعة، والخروج عن أصول الحياة الزوجية^(٣).

٣- **الضرب غير المبرح**: ويتجنب الوجه، والمحاسن، ولا يتلف عضواً، ولا يكسر عظماً، فإذا استقر الأمر (فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) في طلب إيذائهن بالقول أو الفعل أو بأي شكل من اشكال الإيذاء، بل توبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً) فأحذروه واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم، وإذا بدا الشقاق والخلاف بين الزوجين أكبر من الوسائل الثلاث المتقدمة يُعمد أخيراً إلى وسيلة التحكيم.

٤- **التحكيم**: أن يختار حكماً من أهله وحكماً من أهلها يتفاوضان في شأنيهما، ولعل الحكمة من كون الحكمين من أهلها هو أن الاقارب أعرف ببيواطن الاحوال، واطلب للصالح، وانما تسكن إليهم نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهم من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يجبان أن يطلعوا عليه.

(١) عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص ٧٧ .
(٢) وقد ذهب الطبري في معنى الهجر هنا إلى معنى (هجر البعير اذا ربطه صاحبه بالهجار، وهو جبل يربط حقوبها ورسغها... فاستوتقوا منهن رباطاً في مظاجعهن...!!) جامع البيان عن تأويل القرآن ٨٠/٥-٨١ .

(٣) عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص ٧٨ .

كما إن الآية تشعر بأن على الحكمين أن لا يدخرأ جهدهما ووسعهما في الإصلاح، ومن روعة الآية أيضاً أنها لم تذكر التفريق عند عدم التوفيق بل اكتفت بذكر أن الحكمين إذا كانت نيتهما منصرفه إلى الجمع بين الزوجين فإن الله تعالى يمهد لهما أسباب التوفيق.

وهذا يدل على نهاية العناية من الله في إحكام نظام البيوت الذي لا قيمة له عند المسلمين في هذا الزمان،...، وظاهر الأمر أن هذا التحكيم واجب لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم إنه واجب وبعضهم إنه مندوب واشتغلوا بالخلاف فيه عن العمل، به لأن عنايتنا بالدين صارت محصورة في الخلاف والجدل، وتعصب كل طائفة من المسلمين، لقول واحد من المختلفين، مع عدم العناية بالعمل به، فها هم أولاء قد أهملوا هذه الوصية الجليلة لا يعمل بها أحد على أنها واجبة ولا على أنها مندوبة والبيوت يدب فيها الفساد، فيفتك بالأخلاق والآداب، ويسري من الوالدين إلى الأولاد، فيحتاج منا إعادة النظر في تفعيل هذا الأمر الرباني للحفاظ على سكن الاسرة وكونها نواة المجتمع الإسلامي الذي تعقد عليه كل توصيات السماء.

ثانياً: نشوز الرجل: قال تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١). فإذا توقعت المرأة من زوجها لما تراءى لها من الامارات والتي هي:

أ- النشوز: وهو الترفع عنها ومجافاتها وظهور مشاكسات منه، وذلك بأن يمنعها نفسه أو نفقته أو المودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، أو أن يؤذيها بسب أو ضرب أو غير ذلك مما فيه منع لحقوقها .

ب- الإعراض: وذلك بأن يقل من محادثتها ومؤانستها، ولهذا أسباب منها:

١- الطعن في السن.

٢- الدمامة.

٣- الملل.

٤- كراهة شيء منها في خُلق أو خُلق.

٥- طموح عين إلى أخرى، إلى غير ذلك.

فلا مانع من اللجوء إلى بناء العلاقة بينهما، وذلك بالتنازل عن بعض حقوقها أو كل حقوقها، لتبقى في عصمته للحفاظ على أولادها، وإن كان للمرأة حق فراق الزوج^(١).

ويُذكَر الزوجان دائماً بما أقامه الله سبحانه بينهما من عاطفة الود والرحمة في حال وجود النزاع والخصام، ولا يحصل نشوز الرجل إلا عند ظهور الامارات الدالة على وقوع الخوف، وذلك بأن يقول الرجل لزوجته إنك ذميمة أو شيخة كبيرة في السن، واني أريد الزواج من شابة جميلة^(٢).

والواجب على المرأة أن تتأكد من نشوز زوجها ولا تتسرع في الحكم عليه فلعل نشوزه لكثرة انشغاله بأمر التجارة أو الوظيفة، أو بأعمال أخرى، فعليها أن تصبر وأن تقدر ظروف زوجها، فقد يكون الأمر مشكلة عارضة وسرعان ما تنجلي.

ويمكن الاستعانة بالأولاد في حل المشاكل وتقريب وجهات النظر فهم عادةً ما يكونون خير سفراء بين أمهم وأبيهم عند حدوث أي توتر، ويمكن استخدامهم كوسيلة فعالة ومؤثرة في إزالة أي أزمة، وفي خلق جوٍّ من التفاهم والتقارب، فعلى الزوج أو

(١) ظ: السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص١٩٩، القمي، تفسير القمي، ص١٤٧ .

(٢) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٢/١١ .

الزوجة أن يضعها في حُسابنها وتُصبَ عينيها هذه الوسيلة عند حدوث أي نشوز أو إعراض من أحد الزوجين.

ونلاحظ من عوامل الحد من وقوع الطلاق ان الفقهاء قد اشترطوا شروطاً لصحته وهي موزعة على أطراف الطلاق الثلاثة، فبعضها يتعلق بالمُطلق، وبعضها بالمُتلقّة، وبعضها بالصيغة^(١)، وكل ذلك حفاظاً على البناء الأسري من الانحلال، وكذلك لفسح مجال أوسع للتروي وإعادة النظر.

أما إذا استعصت الحلول واسنفت أجمعها ووقع الطلاق - لا سامح الله - وكان سليماً من التعسف، والنزوات العاطفية، والتعدي على الزوجة بل كانت ضرورة تمليها الظروف البيئية لأسباب لم تتفع معها كل الوسائل التي قررها الشارع لمعالجة المشاكل الناجمة، والتي توخى من ورائها الإصلاح بين الزوجين، فمعنى ذلك أن هذا الزواج لم يقدر له أن يؤدي رسالته المطلوبة ولم تنشأ الأقدار لمثل هذا البيت أن يكون محبوباً لله ﷻ يُعمر بالنكاح، وحينئذٍ فان الانفصال هو النتيجة الحتمية لمثل هذه الحالة المستعصية^(٢)، قال تعالى:

(١) للتوسعة في هذه الشروط، ظ: محمد حسن النجفي(ت١٢٦٦هـ-)، جواهر الكلام شرح شرائع الإسلام، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٩٧هـ، ٤/٣٢، ولا سيما ما اشترطه فقهاء الإمامية من شروط مضيقين فيها دائرة الطلاق إلى أقصى الحدود، ويفرضون القيود الصارمة على المطلق والمطلقة، وصيغة الطلاق وكذلك في شهوده، إذ (لا يقع - الطلاق - بشاهد واحد ولو كان عدلاً، ولا بشهادة فاسقين بل لابد من حضور شاهدين ظاهرهما العدالة)، المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ١٣/٣. فمن أسباب حضور الشهود العدول في الطلاق هو (لأن حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يسدون بها إلى الزوجين، فيكون لهما مخرج من الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله ﷻ)، محمد جواد مغنّية، الفقه على المذاهب الخمسة، ص٤٢٩، وقد أيد الشيخ محمد أبو زهرة شروط فقهاء الإمامية في الطلاق وذهب إلى ضرورة العمل بها في القوانين المصرية لما فيها من مصلحة لا تخفى على الأسرة، ظ: تنظيم الإسلام للمجتمع، ص٩١.

(٢) ظ: عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص١١٢. ومما لا يخفى آثار الطلاق الوخيمة على الفرد والمجتمع، ومظاهره واضحة في واقعنا المعاصر، فمنها ينعكس على الزوجين والبعض الآخر على الأطفال وبعضها على الأقارب، وقد عقد الدكتور علي القائي

﴿وَأِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(١).

يقول السيد الطباطبائي: (أي وإن تفرق الرجل والمرأة بطلاق يغن الله كلا منهما بسعته، والإغناء بقريئة المقام اغناء في جميع ما يتعلق بالازدواج من الائتلاف والاستئناس والمس وكسوة الزوجية ونفقتها، فإن الله لم يخلق أحد هذين الزوجين للآخر حتى لو تفرقا لم يوجد للواحد منهما زوج مدى حياته، بل هذه السنة سنة فطرية فاشية بين أفراد هذا النوع، يميل إليها كل فرد بحسب فطرته)^(٢).

وما شرعه القرآن المجيد هنا هو الذي يفرضه العقل والحكمة والمصلحة، فإن من أبعد الأمور عن المنطق والفطرة، أن تُفرض بقوة القانون شركة مؤبدة على شريكين، لا يرتاح أحدهما للآخر ولا يثق به.

ثانياً: حقوق الزوج:

فرض القرآن الكريم للزوج داخل الأسرة حقوق، وهذه الحقوق واجبات على المرأة (الزوجة)، لا يتعدها الزوج بالتعسف، وان لا تقصر الزوجة في أدائها، وهذه الحقوق جزء من منزلة الرجل لكونه قوام على المرأة، وهذه الحقوق مقتصرة ضمن الحياة الأسرية فقط، اما (في خارج الأسرة فلا فرق بين الرجل والمرأة في جميع أدوار الحياة العامة وشؤونها من الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها)^(٣).

فصلاً تحت عنوان: آثار الطلاق ونتائجه، ظ: تكوين الأسرة في الإسلام، دار النبلاء، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٦٩ ...

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٩٢/٥ .

(٣) محمد اسحاق الفياض (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، (مجموعة اسئلة واجوبة) تحت عنوان: موقع المرأة في النظام

السياسي الإسلامي، مجلة حوار الفكر، تصدر عن المعهد العراقي لحوار الفكر، بغداد، السنة

٨، حزيران، ٢٠١٢م، العدد ٢٠، ص ٢٢ .

فتشريع قوامة الرجل على المرأة المستفادة من قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١) لا تعني القهر والحجر والاستبداد، ولا تعني إهدار شخصية المرأة وأهليتها ومقومات إنسانيتها، بل تكون قائمة على الرحمة، والمودة والمحبة بينهما، وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات، وبيان الإجراءات التي تتخذ لضبط أمور هذه المؤسسة، وهي تديبٍ وارشاد، وليست سيطرة واستبداداً.

وبما امتازت به المرأة من الرقة والعاطفة على الرجل، رشح الأخير للقيادة والسعي وكسب العيش، بينما لا يجب على المرأة ذلك، كما لا تعني قيادة الرجل أن تُمنع المرأة اطلاقاً من المساهمة في الإدارة، أو أن يتجبر الرجل ويقهر في ممارسته للقيادة، يقول السيد هادي المدرسي: (وقيادة الرجل ذاتها لا تخرج إطلاقاً عن دائرة المسؤولية إلى دائرة التحكم بالتعامل بالقسوة، والتسلط بالغلظة في السلوك والمعاشرة، وان جنحت القيادة إلى ذلك فهي تعبير عن إفلاس الرجل في فهم القيادة وتطبيقها)^(٢).

فرياسة الرجل لزوجته لا تتضمن ضيقاً عليها، أو نقصاً من حقوقها المعادلة لحقوق الرجل، أو استبداد بها وإدارة البيت، أو مساساً بحريتها ف(النساء احرار في اختيار عملهن ومصيرهن، وكذلك زيهن مع مراعاة الموازين)^(٣)، ولكنها - أي القوامة- وسيلة لا بد منها لحسن سير الأمور في الأسرة، وتنظيم للحياة الزوجية؛ ذلك أنه لا يمكن تصور مؤسسة من دون رئيس يتربع على قمة الهرم الوظيفي فيها يُدير شؤونها ويوجه أفرادها، وتكون له قوة تنفيذ القوانين اللازمة لاستمرار وجودها، وله كذلك الكلمة الأخيرة في اتخاذ القرارات المصيرية المتعلقة بها بما كان فيه من استعداد ووظيفة .

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) كيف تسعد حياتك الزوجية؟، ص ٣٧.

(٣) روح الله الخميني، مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، (دت)، (من لقاء مع السيدة اليزابث تاركود بتاريخ ١/١١/١٩٧٨م)، ص ١٢٢.

وان القول بخلاف هذا التشريع (القوامة) يعني نفس لكل فكرة لتنظيم الحياة الزوجية والأسرية^(١)، وبطبيعة الحال هذا لا يعني إغفال حقيقة حاجة الرجل إلى الرأي والمشورة، التي يقدمها له غيره من المخلصين الحريصين على استمرار هذه المؤسسة في القيام بدورها على أكمل وجه، ولا يمكن تصور أخلص من الزوجة في هذا المجال؛ فتكون إدارة (البيت شورى بين الزوجين)^(٢) يكمل احدهم الآخر.

• ابرز حقوق الرجل (الزوج) ضمن الحياة الأسرية هي:

١- الطاعة بالمعروف: لعل من أول واجبات المرأة نحو زوجها طاعته في غير معصية الله وقد اثنى الله سبحانه على النساء المطيعات لأزواجهن في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(٣)، ومعنى صالحات قانتات في الآية أي طائعات عن إرادة وتوجه ورغبة لا عن قسر وإرغام وتفلت، وهذا ما يتلائم مع طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة، إذ بإطاعتها لزوجها تستطيع أن تأسر قلبه في حبها وتسحره بخلقها، فليس هناك عامل أقوى ولا أشد فعالية في توثيق عُرى الزوجية من إطاعة المرأة لزوجها في حياتها العامة والخاصة، مما يقوم سلوكها ويقوي مركزها ويجعلها في مكانه، لا يمكن للزوج أن يتخلف عن إرادتها.

والغيب هنا هو ما يُستحي من إظهاره أي حافظات لكل ما هو خاصّ بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاصّ بالزواج، فهي زوجة مطيعة طيبة النفس عفيفة الجانب، تحمل صفات الأنثى بما ارادها الله سبحانه فتكون بذلك خير النساء، ومن هذه الصفات ما نلاحظه في قول النبي ﷺ، إذ

(١) وعلى هذا الأساس لا يوافق الباحث ما ذهب إليه الدكتور نصر حامد أبو زيد بأن القوامة في الإسلام ليست تشريعاً بقدر ما هي وصف للحال. ظ: دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص ٢٢٤.

(٢) محمد مهدي الأصفى، في رحاب القرآن (نظرية العلاقة الزوجية)، ص ٣٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

قال: (إن خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها ولم تبذل كتبذل الرجل)^(١)، وتعبير الرسول ﷺ عن النساء المطيعات لأزواجهن بانهن خير النساء، فهذه شهادة تتوشح بها المرأة المسلمة ويعزز مكانتها من حيث ان طاعتها لزوجها جزء من طاعتها لله سبحانه .

ولهذه الطاعة - إطاعة الزوج - حدود، فهي ليست طاعة مطلقة؛ لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله وحده، ويمكن نتلمس حدود هذه الطاعة في أمور منها^(٢):

أولاً: أن تقيم معه في داره التي أعد لها، وذلك بعد تمام العقد الصحيح، ضمن شروط حددها الفقهاء .

ثانياً: أن تنتقل مع زوجها إلى حيث ينقلها، وإلى حيث ما تقتضيه ظروفه وطبيعته عمله.

ثالثاً: أن تكون أمينة على سره، حافظة لماله، وشرفه فتبتعد عن مواطن الشبهات.

رابعاً: أن تبادر إلى فراشه إذا التمسها، بشرط ألا يكون عندها مانع شرعي..

خامساً: ألا تصوم نافلة إلا بإذنه إذا كان حاضراً .

سادساً: ألا تتنازع الزوجة زوجها الرأي، ولا سيما في المسائل التي لا يترتب على المخالفة فيها محذور شرعي، فتعرض المرأة رأيها بلطف وبغير عناد، فذلك أَدعى إلى استجابة الزوج لها، وإلا كَفَتْ عن الجدل الذي ربما أفضى إلى النزاع والخصام.

(١) الكليني، الكافي، ٣٢٥/٥ .

(٢) ظ: محمد عقله، نظام الأسرة، ٢٤/٢، د. صلاح الدين نامق، حقوق الزوج على زوجته في الفكر الإسلامي، مجلة جامعة الانبار، كلية التربية، المجلد الاول، ٢٠٠٩م، العدد ٣، ص ٣٨٢، محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٧٨، عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص ٦٧ .

سابعاً: القرار في بيت الزوجية، يقول النبي ﷺ: (ولا تخرج من بيته إلا بأذنه)^(١)، وهذا التعبير على إيجازه يشتمل على توجيه دقيق من النبي ﷺ للمرأة حيث يُريد منها أن تقف من زوجها موقفاً كاملاً في الطاعة والتقدير لتشعره بمعنى القوامية من جهته عليها، وليس في ذلك أي منقصة عليها بل لا بد ان تضع زمام أمرها بيده ليشعر الزوج بكيانه الرجولي داخل بيته)^(٢) .

كما استدلل بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾^(٣)، على أن القرار في البيت أمر عام لكل النساء، وانهن مأمورات بملازمة البيوت، وان القرار في البيت هو الأصل، والخروج منه هو الاستثناء، وألا يخرجن منه إلا لحاجة شرعية أو ضرورة، لأن المرأة هي القائمة بشؤون البيت من المحافظة عليه وترتيبه وتنظيمه وتهينته للزوج^(٤) .

ونلاحظ أهمية استئذان الزوجة زوجها في الخروج من بيتها في السنة الشريفة، إذ يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ خرج في بعض حوائجه، فعهد إلى امرأته ألا تخرج من بيتها حتى يقدم، قال: وان أباه مرض، فبعثت إلى النبي ﷺ تستأذنه في أن تعوده فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قالت: فتقل، فتأمرني أن أعوده؟ فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك. قال: فمات أبوها فبعثت إليه: إن أبي قد مات فتأمرني أن أصلي عليه؟ فقال:

(١) الكليني، الكافي، ٥/٥٠٧.

(٢) عز الدين بحر العلوم، الزواج في الكتاب والسنة، ص ١٨٤.

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٣ .

(٤) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣ / ١٦٩، د. عبد الكريم زيدان، المفصل في احكام الأسرة، ٧/٢٨٨، سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٥٨٢. وقال الشيخ محمد اسحاق الفياض: (ان هذه الآيات مختصة بنساء النبي الأكرم ﷺ)، موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، ص ٣٣. وقد تقدم الكلام عن قرار المرأة في بيتها في الفصل الأول من عوامل حماية الأسرة من هذا الباب.

اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك. قال فُذُن الرجل، فبعث رسول الله ﷺ: إن الله غفر لأبيك بطاعتك لزوجك^(١).

• فوائد ألتزام المرأة ببيتها:

من المعلوم أن البيت هو المكان الطبيعي الذي تتحقق فيه وظائف الأثوثة وثمارها، وان بقاءها فيه يحقق المنافع الآتية:

- يُحصن الزوجة من أسباب الفتنة .
- يُساعد المرأة على أداء واجباتها الزوجية وتدبير شؤون المنزل وتربية الاولاد.
- يُبعد القلق عن الزوج نتيجة الانشغال بخروجها وخوفه عليها من ان تُمس بسوء.
- يحول دون إرهاق ميزانية الأسرة .
- يقي المرأة من الشبهات .

يقول السيد هادي المدرسي: (إن المرأة عاطفية أكثر مما تكون عقلانية، ولذلك فإن عليها أن تخضع لأرادة الزوج في الخروج إلى أية منطقة خارج البيت، حتى لا تقع في شرك طلاب الهوى، الذين لا يهتمهم إلا شهواتهم، وشهواتهم وحدها.)^(٢).

إذن خروج المرأة من دون إذن زوجها يسبب مشاكل بين الزوجين، وعلى الزوجة أن تُراعي هذا الجانب فلا تخرج إلا بإذن زوجها، وعلى الزوج أيضاً ان لا يُشدد على زوجته، فيمنعها الخروج ويجعلها حبيسة البيت، فهي بالنهاية إنسانة تحتاج إلى ان تُرفه عن نفسها، فلا مانع من أن يصحب الرجل زوجته حين خروجها لزيارة الأهل أو

(١) الكليني، الكافي، ٥/٥١٣، إلا ان الشيخ محمد مهدي شمس الدين رأي في ماهية هذه الرواية، إذ قال: (لا بد من تأويل هذه الرواية أو رد علمها إلى أهلها، لأنها بظاهاها مخالفة للكتاب، فان منع المرأة من عيادة ابئها المريض وحضور تشييعه ودفنه ليس من المعاشرة بالمعروف قطعاً، بل هو من العضل والمضارة..)، حقوق الزوجية، ص ٩٢، والى نفس المعنى ذهب الشيخ محمد ابو زهرة إذ قال: (.. ولها ان تزور ابويها كل اسبوع، ولو لم يأذن لان ذلك من صلة الرحم، وصلة الرحم واجبة، وتركها عصيان، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، واذا كان احد أبويها مريضاً فلها أن تعود ..)، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٧٨ .

(٢) كيف تسعد حياتك الزوجية؟، ص ٥١ .

الأماكن المقدسة، أو مكان للتنزه فهذا يدعم العلاقة بينهما، ويقوي استقرار الأسرة
ويبني أساساً للثقة بين الزوجين.

ولا يقف الأمر على هذا الحد من تقوية العلاقة من خروج المرأة، بل يتعدى إلى
أهمية لا تقل شأنًا منه، إذا ما وعى الرجل والمجتمع أهمية عمل المرأة خارج البيت،
ففي منعها إجحاف لها وخراب اجتماعي وان عدم إدراك خطر منع المرأة من مزاولته
العمل (يعني توقف نصف العدد - إن لم يكن أكثر - عن العمل فكيف لمجتمع يخلو
من الطبيبة والمرضة والمعلمة والمهندسة بل حتى البائعة؟ فكم تشعر الأسرة بالراحة
- وخاصة في مجتمع محافظ كمجتمعنا - عندما تطمئن أن هنالك طبيبة وليس طبيباً
لعلاج النساء وأن هناك معلمة تعلم البنات وليس معلماً. بل ان الأسرة المحافظة
تفضل أن يتسوق النساء من بائعة (امرأة) وليس رجل... وعلى أساس ذلك يجب على
المجتمع أن يعي هذا لتعي من خلاله الأسرة وتقر عمل المرأة وتتنظر بجدية إلى حل
مشاكلها وتتكاتف على تخفيف الأعباء عنها)^(١).

فعلى المرأة هنا أن تدرس الرجل قبل الإقدام على القبول، وهل هو في هذا الجانب
(معتدل المزاج بحيث يؤمن لها الحرية الكاملة في الخروج من بيته في أي وقت تشاء،
وتعود ولو كان ذلك في وقت لا يرغب في أن تكون فيه خارج البيت)^(٢).

(١) د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني، المرأة بين الحقوق والواجبات في ضوء القديم والحديث،
مجلة آفاق جامعية، قسم الاعلام والعلاقات العامة، جامعة الكوفة، السنة الأولى، ٢٠٠٩م،
العدد ٣، ص ٤٠. وللتوسعة في آداب وضوابط عمل المرأة ظ: محمد عزّة دروزة، التفسير
الحديث ترتيب السور حسب النزول، ٤٠٩/٨، محمد مهدي شمس الدين، حق العمل للمرأة -
ضمن حقوق الزوجية-، ص ١٨٤، محمد حسين فضل الله، مفاهيم إسلامية عامة، ص ٥٠.

(٢) عز الدين بحر العلوم، الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ص ٦٩.

٢- عدم إذن الزوجة في بيت الزوج لمن يكره دخوله:

من حق الزوج على زوجته أن لا تأذن في بيته لأحد يكره دخوله، سواء كان غريباً أو قريباً، لقول النبي ﷺ: (حُكِمَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فَرْشَكُمْ، وَلَا يَدْخُلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُنَّهِنَّ بَبُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ)^(١).

وحكمة هذا الالتزام أنه كثيراً ما تحصل المنازعات في البيت نتيجة دخول أحد بين الزوجين بالسعاية، أو الإثارة وسوء التوجيه، فإذا تبين للزوج ذلك وطلب من زوجته أن تمنع شخصاً معيناً من دخول بيته، فعليها أن تطيعه في ذلك.

٣- الحداد على الزوج:

(أَحَدَتْ) المرأة امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها فهي (مُحَدَّةٌ)^(٢)، والظاهر أنه في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوي، وهو أن تمنع المرأة نفسها مما كانت تتهيأ به لزوجها من زينة الثياب والأدهان والطيب، والابتعاد عن شبهة الزينة^(٣).

وقد نص القرآن المجيد على حداد المرأة على زوجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤)، يقول المحقق الحلي: (تعتد الحرة المنكوحة بالعقد الصحيح، أربعة أشهر وعشراً، إذا كانت حائلاً^(٥))، صغيرة كانت أو كبيرة، بالغاً كان زوجها أو لم يكن، دخل بها أو لم يدخل، وتبين بغروب

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٣٤٩/٧٣.

(٢) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٢٦.

(٣) ظ: المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ٣٠/٣، الجصاص، احكام القرآن، ٥٠٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣٤.

(٥) حائلاً: غير حامل.

الشمس من اليوم العاشر، لأنه نهاية اليوم، ولو كانت حاملاً اعتدت بأبعد الأجلين^(١)، فلو وضعت قبل استكمال الأربعة أشهر وعشرة أيام صبرت إلى انقضائها^(٢).

والظاهرة أن الحكمة من هذا الحداد هو (لما كان بناء الأرملة بزواج جديد بعد موت زوجها السابق مباشرة لا ينسجم مع ما تكّنه من حبّ واحترام لزوجها المتوفى، ولا مع الاطمئنان إلى عدم وجود حمل في رحمها منه، وقد يؤدي إلى جرح مشاعر أهل زوجها الأول، فقد جاءت الآية تشترط للزواج الجديد أن يمرّ على موت زوجها السابق أربعة أشهر وعشرة أيام)^(٣).

إذن فهذا الحداد من لدن الزوجة جزء من الاحترام لزوجها المتوفى، وحق ألزم الشارع المرأة به قبل أن تقترن بشريك جديد في حياتها، يقول السيد عز الدين بحر العلوم: (والمرأة التي توفي عنها زوجها تتوقف لتؤدي حق الزوجية بإظهار الحداد على المتوفى في مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وفاء منها لشريك حياتها قبل أن تستقبل الشريك الجديد، وهذا أمر يساعد عليه الذوق الاجتماعي الرفيع)^(٤)، وربما قد يكون في رحمها من حمل لم يتبين، أو حمل تبيين والعدة معلقة بوضعه.. وكل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة؛ لأن هذا الحديث لم يحن موعده، ولأنه يجرح مشاعر ويخدش ذكريات.

ومن الجدير بالذكر أن الحداد في الجاهلية كان سنة كاملة، وبصورة يتقزز منها الشعور، فهذب القرآن الكريم هذه الطقوس^(٥)، وقرر من الحداد ثلاثة أيام على القريب،

(١) أحدهما: أربعة أشهر وعشراً، ثانيهما: وضع الحمل .

(٢) شرائع الإسلام، ٣٠/٣، ط: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ص ٥٨٩ .

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢٣/٢ .

(٤) الزواج في الكتاب والسنة، ص ٢٥٥ .

(٥) يقول الدكتور جواد علي: (وقد ذكر ان المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً وليست شرّ ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة، ثم توتى بدابة حمار أو طائر فتقتض به، ثم تخرج فتعطى بعره فترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره، وذكر أن المعتدة كانت لا

القريب، وأربعة أشهر وعشراً على الزوج، وجعل هذا الحداد مقصوراً على ترك الزينة والطيب وعدم الخروج من البيت إلا لضرورة .

ثالثاً: حقوق الزوجة:

إن القرآن الكريم أحاط الأسرة بسياج العدالة ومراعاة رباط الزوجية المقدس، فإنه كما فرض للزوج حقوقاً على زوجته فرض عليه واجبات لزوجته، ضماناً لحياتهما الزوجية، وإبعاداً لهما عن الخلاف والمنازعات، ولعل من أبرز معالم حقوق الزوجة:

١ - حقها في المهر:

والمهر في اللغة الصّدَاق وقد (مَهَرَ) المرأة من باب قطع و(أَمَهَرَهَا) أيضاً^(١)، وفي الاصطلاح، هو حق للمرأة جراء عقد الزواج أوجبهُ الشارع على الزوج، وهو (كل ما يصح أن يُملك، عيناً كان أو منفعة، ويصح العقد على منفعة الحر، كتعليم الصنعة، والسورة من القرآن، وكل عمل محلل، وعلى أجارة الزوج نفسه مدة معينة)^(٢).

فلا يجوز للرجل أن يأخذ شيئاً من صدق زوجته (مهرها) إلا عن طيب من نفسها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(٣)، فالخطاب موجّه إلى الرجال وحثهم على إعطاء المهر إلى المرأة إذ ربما تعلق به من يبخل عن بعض الحقوق، لا سيما ما يستكثره من الصداق، فأتبعه ما ينفي ذلك من أن (تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئاً، وفيه: أن المهر يُدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وإنها تملكه بالعقد لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التملك،...

تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً، ولا تستعمل طيباً، ولا كحلاً، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر، وكانت إذا رمدت، أو اشتكت عينها، فلا يجوز لها أن تكتحل أو ان تعالجها..)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥٥٧/٥ .

(١) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٣٨ .

(٢) المحقق الحلبي، شرائع الإسلام، ٥٦١/٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ٤ .

وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها - ولو بالتبرع - إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء غير ما طابت به^(١) نفسها من العطاء أو الإسقاط فإذا طلب منها شيئاً فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحمل له، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى على أحد.

وهذا الحق الذي سنه القرآن المجيد من الحقوق التي لم تكن تكاد تذكر ما قبل نزوله، وإن كنا اليوم نلاحظ في بعض الأوساط الاجتماعية من يحافظ على بعض التقاليد الجاهلية، منها أن (ولي المرأة في الجاهلية يزوجها ويأخذ صداقها لنفسه دونها، ومنهم من كان يعطي الرجل اخته على أن يعطيه اخته فلا يصيب الأختين شيء من المهر)^(٢).

فصداق الزوجة حق واجب لها، وعلى زوجها أن يؤدي لها ما اتفق عليه من مهر، ولا يحق لأحد أن يتولى على شيء من المهر إلا برضاها التام الخالي من الإكراه والمجاملة، وقد ضمن القرآن الكريم حقها في المهر، حتى بعد الطلاق، حيث حذر المولى **وَعَلَىٰ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَىٰ هَذَا الْحَقِّ، إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنتِمَا مُبِينًا، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٣)**، ويستفاد من هذه الآية أيضاً عدم تحديد مقدار المهر بحد أدنى أو أعلى^(٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٠-٢١ .

(٤) فقد ورد ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال: (ألا لاتغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ) أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت يا أمير المؤمنين اكتب الله تعالى حق ان يتبع

• وللمهر حكم في مشروعيته هي بالتالي سبيل في بناء الأسرة، ولعل أهمها^(١):

- ١- تكريم للمرأة وتطبيب خاطرها ورفع شأنها .
 - ٢- إظهار خطر الزواج وأهميته، ولا سيما أن موضوعه الإنسان أكرم المخلوقات.
 - ٣- العمل على دوام الرابطة الزوجية (العشرة)، فإن خلو العقد من المهر مما يُسهّل على الزوج الخلاص منه، ولأنّ ما يُنال ببذل وصعوبة يعزّز في نظر صاحبه ويثبّت عليه التفريط به، فكانت مشروعيته أدعى إلى دوام العشرة.
- ٢- **حقها في النفقة:**

من حقوق الزوجة المادية أيضاً وجوب نفقتها على زوجها، وتشمل الطعام والشراب، والملبس والسكن، وسائر ما تحتاج إليه الزوجة لإقامة مهجتها أو قوام بدنها، تبعاً لعادة أمثالها من أهل البلد^(٢).

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) يقول السيد الطباطبائي: (المراد بالمولود هو الوالد، والرزق والكسوة هما النفقة واللباس، وقد نزلهما الله تعالى على المعروف وهو المتعارف من حالها)^(٤)، وفي الآية دلالة على ان النفقة لا تسقط حتى وإن لم يقع التمكين من المرأة بسبب انشغالها بالإرضاع

او قولك، قال: بل كتاب الله تعالى فما ذاك، قالت: نهيت الناس أنفأ ان لا يغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ سورة النساء، الآية ٢٠، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: اني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء فليفع رجل في ماله ما بداله). البيهقي، سنن البيهقي، ٢٣٣/٧، المتقي الهندي، كنز العمال، ٥٣٦/١٦ .

(١) ظ: محمد عقله، نظام الأسرة، ٥٩/٢، باقر شريف القرشي، نظام الأسرة في الاسلام - دراسة مقارنة -، ص ٦٤، مرتضى المطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ٢٠٠٥م، ص ٢٢١.

(٢) للتوسعة في تفاصيل النفقة الفقهية ظ: الطوسي، كتاب الخلاف، ١٤٠/٥، المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ٥٨٧/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ٢٠٢/٢ .

(فربما توهم متوهم أن نفقتها وكسوتها تسقط بالخلل الواقع في خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بإيجاب الرزق والكسوة، وإن اشتغلت المرأة بالإرضاع)^(١).

كما لا تسقط نفقتها وإن كانت ميسورة الحال، أو كانت ممن يزاولن عملاً فلا يجوز له أخذ شيء من مالها من دون رضاها وإن كان هذا الأمر في السنين الأخيرة قد شاع، إذ (يطلب الزوج من زوجته أن تعمل ليوسع بأجرها على نفسه، وليعفي نفسه من بعض نفقات بيت الزوجية، ويعفي نفسه من العمل لكسب ما ينفقه. إن هذا التصرف من الزوج غير مشروع إذا لم تكن الزوجة مريدة للعمل راغبة فيه، باذلة للمال الذي تكسبه عن طيب نفس)^(٢).

وهذا الإلزام بالإنفاق ومحاولة تملص الزوج منه اجاز الإسلام للزوجة ما كان قد حضره من تشريع، فأجاز الأخذ من ماله بغير علمه، فعن عائشة قالت: (قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرأً، قال: خذي أنتِ وبنوكِ ما يكفيك بالمعروف)^(٣)، فنلاحظ أن النبي ﷺ اجاز أخذ الزوجة من مال زوجها إذا لم يقم بقوامته نحوها.

وإنفاق الزوج على زوجته من مستلزمات القوامة، وانفاق الرجل على زوجته ينبغي أن يكون في حدود طاقته، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ

(١) الرازي، مفاتيخ الغيب، ١٠٠/٦، ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالنفقة في الآية المتقدمة هو نفقه المطلقة، والظاهر ما أثبتناه فلو أراد المطلقة بالإنفاق لكان الأنسب لفظ الأجر، لما تقدم من سبب لزوم النفقة، ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٩١/١، القاسمي، محاسن التأويل، ٥٥٥/٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٠٩/٢، وعلى كل حال إذا كانت المطلقة تستوجب النفقة فمن أولى أن تكون للزوجة.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، حق العمل للمرأة - ضمن حقوق الزوجية -، ص ٢٣٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٣٦/٣، ١٠١/٣، ظ: المجلسي، بحار الانوار، ٣٢١/٧٢.

أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتَوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْضِعْ لَهُ أُخْرَى،
لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا
سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا^(١)، يقول ابن عاشور: (والمقصود منه إقناع المنفق عليه
بأن لا يطلب من المنفق أكثر من مقدرته، ولهذا قال علماؤنا: لا يطلق على المعسر
إذا كان يقدر على إشباع المنفق عليها وإكسائها بالمعروف ولو بشظف، إي دون
ضر)^(٢).

ومن اللافت للنظر ان آية (فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) هنا حين جاءت عامة
كأنها تشير إلى مسؤولية المجتمع كله في تولي النفقة على الحامل حتى تضع أكد
دليل على وجوب رعايتها بسائر أنواع الرعاية وكذا الحال بالنسبة للمرضع. وبذا سبق
المنظور القرآني جميع المواثيق الدولية والإقليمية التي جاءت تنص على وجوب
الرعاية الصحية للمرأة أثناء الحمل والولادة والإرضاع^(٣).

وعلى كل حال لا تسقط النفقة عن الزوج لزوجته، باعتباره حقاً للزوجة لا تبرا ذمة
الزوج إلا إذا أدى، أو أبرأته هي عنه إيثاراً لدوام العشرة من غير خصومة ومنازعات .

٣- حقها في معاملة عادلة (عند تعدد الزوجات):

جاء الإسلام لتصحيح كثير من الشؤون الاجتماعية غير المنضبطة ومنها
الإسراف في تعدد الزوجات؛ إذ إن اتخاذ (الزوجات المتعددة كانت سنة جارية في
غالب الأمم القديمة، كمصر والهند والصين والفرس بل الروم واليونان، فإنهم كانوا

(١) سورة الطلاق، الآية ٧ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٩٧/٢٨ .

(٣) في حقوق الإنسان في هذا المجال ظ: إتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة
اعتمدها الجمعية العامة وعرضتها للتوقيع والتصديق والانضمام بقرارها ١٨٠/٣٤ المؤرخ في
١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩م، تاريخ بدء النفاذ: ٣ أيلول/سبتمبر ١٩٨١م، طبقاً لأحكام
المادة ٢٧ الجزء الأول المادة ١١ .

ربما يضيفون إلى الزوجة الواحدة في البيت خدناً يصاحبونها بل وكان ذلك عند بعض الأمم لا ينتهي إلى عدد يقف عليه كاليهود والعرب، فكان الرجل منهم ربما تزوج العشرة والعشرين وأزيد ..^(١).

أما القرآن الكريم فقد أباح للرجل أن يجمع بين أربع زوجات - كحد أعلى - في وقت واحد، ويكف في عصمته لضرورة فطرية أو اجتماعية، فإنه بذلك حدد التعدد، وشرط أيضاً قدرة الزوج على إقامة العدل بين زوجاته، وهذا ما ترشد إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٢).

والعدل الذي أمر الله سبحانه به الرجل وجعله شرطاً في جواز الجمع بينهما هو العدل العملي الظاهري، وهو المستشف من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾^(٣). فهو التسوية بينهما فيما يقدر عليه المكلف ويملكه، مثل التسوية بينهما في القسم والنفقة والكسوة والسكنى وما يتبع ذلك من كل ما يملكه ويقدر عليه^(٤).

إذ لا ضير في الحبّ والميل القلبي الذي لا يوجب تفضيل بعض الأزواج في المواقف العملية، وعلى هذا الأساس فإن ما يجب على الرجل مراعاته هو العدالة بين أزواجه في الجوانب العملية الخارجية أي في نوع التعامل العملي خاصة إذ يستحيل مثل هذه المراعاة في المجال العاطفي .

(١) محمد حسين الطباطبائي، المرأة في القرآن، تحقيق: محمد مرادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٦٤، ظ: محمد ابو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٧٤ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٣ .

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٩ .

(٤) ظ: الفصل الأول (شبهة تعدد الزوجات) ص ٢١٥ من هذا الكتاب .

فهذه العدالة العملية إذا لم تُحقق وقع الظلم والجور المنهي عنه، فعلى الرجل قبل الإقبال على الزيجات عليه أن يدرس إمكانية هذا الزواج من نواحٍ مختلفة أهمها المادي والنفسي، وهذه الدراسة وحساب الامكانيات تحاشياً للظلم ولا يقتصر على الزواج الثاني بل هو من أولويات الزواج الأول، ذلك أن (مجرد توقع الإنسان عدم العدل من نفسه كاف في المنع من التعدد، ولا يكاد يوجد أحد يتزوج بثانية لغير حاجة وغرض صحيح يأمن الجور، لذلك كان لنا أن نحكم بأن الذواقين الذين يتزوجون كثيراً لمجرد التنقل في التمتع يوطنون أنفسهم على ظلم الأولى ومنهم من يتزوج لأجل أن يغيظها ويهينها ولا شك أن هذا محرم في الإسلام لما فيه من الظلم الذي هو خراب البيوت بل وخراب الأمم، والناس عنه غافلون باتباع أهوائهم)^(١).



(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢٩٥/٤، وظ: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩٧/٢، إلا أن الشيخ محمد أبو زهرة لم يلتفت إلى هذا التوقع من الظلم وعدم النفقة، فقال: (لا يشترط لصحة الزواج القدرة على العدالة والإنفاق، لان الامرين يرجعان إلى تقدير العاقدين، ولأن العقود لا تفسد لأمر متوقعة، إنما تفسد لأمر واقعة، فمن يخاف الظلم ربما لا يقع فيه، وإن كان هو يتوقعه، ومن يخاف الفقر قد يرزقه الله من حيث لا يحتسب، ولذلك قالوا - الفقهاء - الشرطين يشترطان من ناحية الديانة لا من ناحية القضاء)، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٧٥ .

• حكم وفوائد تعدد الزوجات:

وفضلاً عن كل ما سلف فإن لتعدد الزوجات على وفق الضوابط القرآنية فوائد وحكم يمكن إجمالها في:

١- صيانة المرأة من الوقوع في حمأة الرذيلة فيما إذا حُرمت من حقها الفطري في الزواج نتيجة لزيادة عدد النساء الصالحات للزواج على عدد الرجال، وذلك بسبب الزيادة الطبيعية للإناث على الذكور في أغلب المجتمعات.

٢- قد تكون الزوجة مريضة أو عقيماً، فمن الأكرم لها ولزوجها، أن يتزوج بأخرى مع بقاء الأولى والإحسان إليها.

٣- المساهمة في تكثير نسل الأمة؛ لأن قوة الامم ترتكز على قوتها العسكرية، والاقتصادية، وعماد هذه القوة العنصر البشري، والتعدد يُسهم بشكل كبير في توفير هذا العنصر.

٤- كثرة أعداد النساء مقارنة بالرجال، نتيجة لوقوع الحروب الطاحنة، والتي يقع مدارها على الرجال، فتفقد الأمم أعداداً ليست قليلة من خيرة أبنائها، فيزداد عدد الأراامل واليتامى، وهم بحاجة إلى من يرعاهم ويكفل لهم حياة كريمة.

٥- قد يكون الرجل كثير الأسفار، ولا يستطيع اصطحاب زوجته، وهو يخشى على نفسه الفتنة، فمن الضروري هنا أن يتزوج ويعف نفسه.

٦- اختلاف طبيعة الرجل عن طبيعة المرأة، ذلك أن لدى بعض الرجال من الرغبة الجنسية، وشدة الرغبة إلى النساء ما لا يمكنه الصبر على زوجة واحده، سيما وأنه يعترئها من الحالات ما يمنع المعاشرة، فيكون التعدد حفظاً له من الوقوع في الفاحشة، مع الاحتفاظ للزوجة الأولى بحقوقها، وفي المقابل هناك من النساء من تقل رغبتها في المعاشرة الزوجية مع أنها ترغب في زوجها وفي الحياة معه فيكون التعدد علاجاً لهذا الوضع.

إذن.. جواز أن يتزوج الرجل ما يحل له من النساء وتطيب النفس بها ويميل القلب إليها، كل ذلك مقيداً بالعدد أربعة لا يتجاوزه في وقت واحد، وبشرط العدل بينهما، وإلا فالواجب أن يقتصر على زوجة واحدة، أي يكون تكوّن البيت من زوجين فقط يعطي كل منهما الآخر ميثاقاً غليظاً على الحب والإخلاص، والثقة والاختصاص، حتى إذا ما رُزقا أولاداً كانت عنايتهما متفقة على حسن تربيتهم ليكونوا قرة عين لهما ويكونا قدوة صالحة لهم في الوفاق والوفاء والحب والإخلاص، أو ان يحدث عارض مما تقدم بيانه فيضطر إلى التعدد مع شرط العدل بينهما وعدم التمييز في المأكل والملبس والسكن والمبيت، وإن فضل الزوج واحدة على أخرى في شيء من ذلك كان آمناً وبالتالي هادماً لما يُراد منه أن يكون بناءً للأسرة.

وبكلمة.. الزوجة عون للرجل فمن واجبه أن يعاملها المعاملة التي تليق بها، فيكرمها ويحسن معاشرتها، وهو ما أكدته سنة المعصوم عليه السلام أيضاً فنلاحظ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام يصور حق المرأة على الرجل تصويراً موحياً، كأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس، ملتقطها عليه السلام من آيات القرآن الكريم، فيقول عليه السلام في حق الزوجة: (أن تعلم أن الله جعلها لك سكناً ومُستراحاً وأنساً وواقية..، - و- أن ذلك نعمة منه ﷺ عليه ووجب أن يُحسن نعمة الله يُكرمها ويُرفق بها.. فإن لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها وذلك عظيم)^(١)، فالالتزام بحق الزوجة دليل على كمال خلق الرجل وتام إيمانه، وإذا كان لا بدّ أن توجد في الإنسان بعض العيوب أو الصفات التي لا يرضاها الآخر، فلا ريب أن هناك صفات كثيرة غيرها تعوض عنها وتقوم مقامها وتدعو للإعجاب بما يضمن استمرار للحياة الزوجية.

(١) ابن شعبة الحراني (من اعلام القرن الرابع) أبو محمد الحسن، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢م، ص١٨٦، وقد ذكر السيد حسن القبانجي في هذا النص الفاظ قريبة المعنى مما اثبتناه ولم يجدها الباحث من مصادر الحديث بحسب تتبعه لها، ظ: شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، ٣٨٧/١.

الفصل الثالث
حقوق الآباء والأبناء



حقوق الآباء والأبناء:

تضطلع الأسرة على مرّ التاريخ بدور مهم في بناء المجتمع، عن طريق رفده بأفراد أصحاء أسوياء، ينتهجون حياتهم على أسس سليمة ومتمينة، ولا يتسببون في عرقلة البناء المجتمعي، وسنعمد هنا إلى بيان البناء الحقوقي المشترك بين الأصول والفروع، وعلى النحو الآتي:

أولاً : حقوق الآباء (الأصول):

يفرض الإسلام على الابناء للأبوين واجب العناية والرعاية والتكريم، فحقوق الوالدين (تلي العشرة الزوجية - غالباً - .. لما بينهما من التداخل، فهم جميعاً يشكّلون العائلة التي هي كالخلية في جسم المجتمع البشري، وسلامة المجتمع بسلامة خلاياه)^(١)، وهي ليست من قبيل التزيّن بالآداب الاجتماعية، بل هي من الفرائض الشرعية، والعزائم الدينية التي تستتبع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ومن هذه الحقوق:

١- بر الوالدين:

ليس للبر حد خاص في الشرع، فهو عام شامل لجميع انواع الاحسان العقلي، ومنه الاحسان إلى الوالدين (وهو من أعظم مصاديقه وأفضلها، ولا إشكال في حسنه عقلاً ووجوبه شرعاً)^(٢).

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فَظًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ

(١) أحمد البهادلي، من هدى النبي والعترة في آداب العشرة، تحقيق: علي الأسدي، مكتبة فذك، إيران، ٢٠٠٥م، ٣٧٩/١.

(٢) علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الاصول، ص ١٠٤ .

مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿١﴾، والقضاء فَصَلْ الامر قولاً كان ذلك أو فعلاً، والمراد هنا هو الأمر (٢).

واللافت للنظر في الآية الكريمة أنها جمعت عبادة الله سبحانه والإحسان إلى الوالدين بقضاء واحد (أمر)، ولعل من أسباب هذا الاقتران ما يوضحه قوله ﷺ: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) (٣)، وليس لأحد من الخلائق نعمة على الإنسان مثل ما للوالدين، وتقديره من وجوه: (٤)

أحدهما: أن الولد قطعة من الوالدين، قال النبي ﷺ: (فاطمة بضعة مني) (٥).

وثانيها: أن شفقة الأبوين على الولد عظيمة وجدهما في إيصال الخير إلى الولد كالأمر الطبيعي، واحترازهما عن إيصال الضرر إليه كالأمر الطبيعي، ومتى كانت الدواعي إلى إيصال الخير متوفرة، والصوارف عنه زائلة لا جرم كثر إيصال الخير، فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة أكثر من كل نعمة تصل من إنسان إلى إنسان.

(١) سورة الاسراء، الآية ٢٣-٢٤. ونلاحظ ان القرآن الكريم استعمل لفظ الوالدين وأحدهما والد (لأن المذكر والمؤنث إذا اقتربا غلب المذكر لخشته وقوته). الثعالبي(ت٤٢٧هـ) أبي اسحاق احمد بن محمد، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ١/٤٧١.

(٢) ظ: الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن، ص ٦٧٤ .

(٣) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢/٢٥٨ .

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠/١٤٨، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٣٠/٨ .

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ٤/٢١٠، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٠/٦٧. هذا من جانب عاطفة الأبوة، واما البعد الآخر لمنزلة ومقام السيدة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ظ: محمد باقر الجوري(ت١٣١٣هـ)، الخصائص الفاطمية، ترجمة: شبير علي جمال اشرف، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ، محسن الاميني، المعصومة الكاملة فاطمة الزهراء، مركز باء للدراسات، بيروت، ٢٠٠١م، د. علي الحداد، فاطمة سر أبيها، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٩م.

وثالثهما: أن الإنسان حال ما يكون في غاية الضعف ونهاية العجز، يكون في إنعام الابوين وتحت رعايتهما فلا كالى له بعد الله تعالى إلا هما ولا راعي له بعد الله إلا هما، ومن المعلوم ان الانعام إذا كان واقعاً على هذا الوجه كان موقعه عظيماً .

ورابعهما: أن إيصال الخير إلى الغير قد يكون لداعي إيصال الخير إليه، وقد يمتزج بهذا الغرض سائر الأغراض، وإيصال الخير إلى الولد ليس لهذا الغرض فقط، فكان الإنعام فيه أتم وأكمل، فنبت أنه ليس لأحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد، فبدأ الله تعالى بشكر نعمة الخالق وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ثم أرففه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، والسبب فيه ما بينا أن اعظم النعم بعد إنعام الإله الخالق نعمة الوالدين .

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣)، فنلاحظ أيضاً ان لفظ (إِحْسَانًا) والذي هو (براً بهما وعطفاً عليهما)^(٤) كان (بلفظ التكثير والتكثير يدل على التعظيم)^(٥).

كما أن القرآن الكريم لا يسمح بأدنى إهانة للوالدين، ولا يجيز ذلك، ففي حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما)^(٦).

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٥١ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣ .

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ١٤٦/١ .

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤٩/٢٠ .

(٦) الكليني، الكافي، ٣٤٩/٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل، بعيد عن اللغو والقبيح، يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامة المقول له على القائل... (وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً، براً بهما وشفقة عليهما، والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان، من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه إليه، فكأنه سبحانه قال: ضم أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بك وانت صغير، وإذا وصفت العربُ إنساناً بالسهولة وترك الإباء قالوا: هو خافض الجناح..^(١).

والتوصية بالوالدين عند الكبر لأن تقدّم السنّ يؤدي إلى اختلال المزاج وسوء الخلق، وضيق الصدر، ممّا ينعكس على تصرفاتهما التي تتخذ جانباً سلبياً ضد الناس الذين يعيشون معهما، لا سيما أولادهما الذين يشعرون بالضيق من ذلك، فيحدث - بسببه - ردّة فعل سلبية تجاههما، مما يوجب صدور الإساءة إليهما، لأن القوي عادة يضغط على الضعيف ويؤذيه وبهينه، وبذلك نفهم ان الكبر ليس له خصوصية في ذاته، بل الخصوصية له بلحاظ ما يستتبعه من تصرفاتٍ تؤدي إلى ردود فعلٍ سلبية من قبل الولد.

وبر الوالدين لا يقتصر على وجودهما حيّين في الدنيا بل إن البر لا ينقطع بموتهما، وقد سئل النبي ﷺ عن بر الوالدين بعد موتهما؟ فقال ﷺ: (نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما...)^(٢).

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٨١/٦ .

(٢) (٢) النوري، مستدرک الوسائل، ١١٤/٢، ظ: احمد بن حنبل، مسند احمد، ٤٩٨/٣ .

وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، فالدعاء لهما بالرحمة أحياء وأمواتاً جزاء تربيتهما لولدهما صغيراً (وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع، وإلا لم يكن للأمر به معنى)^(١).

وبكلمة ان الآية - محل البحث - تُريد أن تقول بعبارة قصيرة وفصيحة وبلغية: إن احترام الوالدين ورعاية حقوقهما مهمات للغاية، بحيث لا يجوز تجاوز الحدود أمامهما أو إيذاؤهما حتى بمستوى ما تحمله كلمة «أف» من معنى.

وحق الأم أكد من حق الأب: ويلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٢)، أن الله سبحانه خص الأم بذكر الحمل والوضع وما تعاني فيهما من مشاق، وهو ما أفاده قوله تعالى: (كُرْهًا)، وكذا خصها بذكر الرضاع: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) والفصال: الفطام، كل ذلك ليخص حق الأم بمزيد من التأكيد بالنظر إلى ما بذلته من جهد في هذه المراحل الثلاث دون الأب. قال القرطبي: (لما خصّ تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، ولأب واحدة؛ وأشبه ذلك قوله ﷺ حين قال له رجل: من أبرّ؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أبوك) فجعل له الربع من المبرة)^(٣).

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ١٨١/٦، ويبدو أن حق التربية غير مخصوص بالوالدين إذ يُر فهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين على من رباه حق التربية)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٨٨ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية ١٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٥١٥/٧ . وفي تخريج الحديث ظ: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/٥ .

٢- حق النفقة:

ومن حقوق الوالدين على الولد النفقة، وهذا ما نلاحظه في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١)، إذ قدّم الوالدين لمكانتهما، وليست هذه النفقة صدقة أو منة بل حق، وقد روي عن النبي ﷺ أن رجلاً قال: يارسول الله إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يأخذ من مالي، فقال ﷺ: (أنت ومالك لأبيك)^(٢).

فعلى الرجل حين ينفق على الوالدين مالاً أن يمنحهم معه كل مشاعر العطف والمحبة والرحمة، فالنفقة بهذه الصورة ليست مجرد ضمان لمتطلبات الحياة، بل هي إنشاء لبنان أسري قوي يقدم لأفراده كل الحاجات المادية والنفسية.

٣- طاعة الوالدين في غير معصية:

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أوجبت على الأبناء طاعة الآباء، فإن هذه الطاعة ليست مطلقة عمياء لا تخضع لضوابط وقيود، وإنما هي طاعة واعية منسجمة مع أحكام الشرع وتعاليمه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، فالله ﷻ أوصى الإنسان بطاعة والديه والإحسان إليهما، إلا أنه سبحانه نبه بنبيه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكره، على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... - وعلى كل حال - فلا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) الكليني، الكافي، ١٣٥/٥، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٧٩/٢. ويوضح الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) طبيعة الأخذ من مال الولد بقوله: (وما أحب له أن يأخذ من مال ابنه إلا ما احتاج إليه مما لا بد منه، إن الله عز وجل لا يحب الفساد)، المصدر نفسه.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما، ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا - مع - التحذير من متابعتهما على الشرك، والحث على الثبات والاستقامة في الدين.

فرابطة الوالدين بالوليد إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة، فالى هنا ويسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة، يقول الشيخ الطبرسي: (أمر سبحانه إطاعة الوالدين في الواجبات حتماً، وفي المباحات ندباً، ونهى عن طاعتها في المحظورات)^(١).

وذلك لأن طاعة الولد للوالدين هي طاعة الإحسان والشفقة وليست طاعة المسؤولية من خلال طبيعة المضمون الذي تحتويه أوامرهما ونواهيها، كما هو الحال في طاعة الله والرسول وأولي الأمر، فلو أمراه بما هو على خلاف المصلحة في دينه أو دنياه، أو بما فيه المفسدة في ذلك، فلا يجب عليه إطاعتها، ولكن لا بد له من أن يواجه الموقف بكثيرٍ من المرونة في الجوّ والأسلوب عند إرادة المعصية، وفي ذلك مراعاة استقرار الأسرة وبنائها عاطفياً وإيمانياً.



ثانياً: حقوق الأبناء^(١):

حث الإسلام الآباء على تربية أبنائهم تربية إيمانية نابعة من القرآن الكريم وسنة المعصوم، من أجل المحافظة عليهم في الدنيا من الانحرافات والفتن التي عمت البلاد والعباد، وفوزهم في الآخر برضوان الله تعالى وبعدهم عن سخطه وغضبه، فأمر الله ﷺ المؤمنين لتحمل مسؤولياتهم تجاه أهليهم من حقوق عليهم، وهذه الحقوق واجبة على الآباء فلا يعذر الجاهل بها والتارك لأدائها مالم يكن قاصراً في جهله أو في معرفة كيفية أداء الحق بتربية أولاده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، وقال النبي ﷺ: (كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته،...، فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)^(٣).

فدور الآباء والأمهات أن يحافظوا على أنفسهم من عذاب الله وعجزه وسخطه، وبالتالي يحافظون على أبنائهم لما يشكله هؤلاء الأبناء من امتداد طبيعي للآباء، ومن جميل ما عبر عن هذه العلاقة أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله لأبنه الحسن عليه السلام إذ قال: (وجدتُك بعضي، بل وجدتُك كُلِّي، حتى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن

(١) من المهم أن أتبه على أن جميع الحقوق الواردة للأبناء هنا لا تخص الذكور وحدهم، ولكن للابن والأبنة فيها سواء، فما يثبت للذكور على أبويه من حقوق يثبت مثله للأنثى دون أدنى تمييز.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ١٧٠/٣ .

الموت لو أتاك أتا، فعناني من أمرك ما يُعنيني من أمر نفسي^(١)، فصلاح الذرية هو مطلب كل أسرة سالحة، ومحل اهتمام الأنبياء ﷺ، فقد دعا الأنبياء ﷺ ربهم الذرية السالحة.

لقد دعا إبراهيم ﷺ ربه أن يهبه الذرية السالحة، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

إن الولد السالح أمل العبد السالح، وهو أفضل عنده من الكنوز والذخائر، وأعز على قلبه من كل زينة الحياة الدنيا، والدعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٤)، أي: واجعل الصلاح سارياً في ذريتي، راسخاً فيهم^(٥).

إذن فبناء الإنسان - الولد - حاجة ملحة في الأسرة، وشأن عظيم في المجتمع الإسلامي، ومن أبرز معالم هذا البناء للولد نلحظه في:

أولاً: حُسن اختيار الشريك (الأب - الأم):

حرص الإسلام على ضمان حق الولد في الحماية حتى قبل مرحلة الحمل، وبهذا أسس قاعدة راسخة في أن رعاية الطفل لا تبدأ فقط من مرحلة الإخصاب والحمل، بل حتى قبل ذلك وقبل الزواج .

(١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ٥٧/١٦. في شرح هذه الوصية والتوسعة فيها ظ: حسن القبانجي، شرح وصية أمير المؤمنين للإمام الحسن (ع)، إعداد مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، ٢٠١١م.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٠ .

(٣) سورة الصافات، الآية: ١١٢ .

(٤) سورة الاحقاف، الآية: ١٥ .

(٥) القاسمي، محاسن التأويل، ٣٦١٤/٩ .

وقد تقدم أهمية اختيار الشريك الصالح وشروطه وماله من دور في بناء أسرة مطمئنة هادئة^(١)، إذ يستشعر الوالدان واجبهم في إشاعة الودّ والاستقرار في داخل الأسرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

وذلك أنّ توافق الاتجاهات والانسجام بين الزوجين الناجم من حسن الاختيار له انعكاس مباشر على بناء شخصية الطفل، يقول الدكتور سيوك: (اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائماً إلى تماسك العلاقة بين الوالدين ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة)^(٣).

من هنا نفهم أيضاً أهمية الاختيار لئلا يكون الوالدان (الزوج والزوجة) بعيدين عن نور القرآن الكريم وهديه (فأي خطر تربوي واجتماعي على الأطفال في الأسرة عندما تكون الأم منحرفة، أو عندما يكون الأب مستهتراً ماجناً؟ وأي ضرر يلحق عندما تكون هناك زيادة في احتمالات إصابته بالتخلف الذهني، نتيجة لعوامل وراثية بين الأب والأم، أو لعوامل ترجع لظاهرة فصيلة الدم (R.H.P)، فكم من أطفال كانوا ضحايا لمثل هذه المظاهر التي تتجسد في عدم حسن اختيار الزوجة، أو في عدم مراعاة الاختيار، الأفضل للزوج الذي يتمتع بالأخلاق الحميدة والدين القويم!)^(٤)، فكان لابد من التفحص والتثبت عند اختيار الشريك وأن يكون النظر بعيد الأفق يُراعى فيه حق الأولاد في الانتساب إلى الأم الصالحة والأب الصالح وأثر كلٍّ منهم على الطفل،

(١) ظ: الفصل الثاني، ص ٢٤٣ من هذا الكتاب .

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١ .

(٣) د. سيوك، مشاكل الآباء في تربية الأبناء المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٤٤ .

(٤) عبد السلام الروبيبي، الإسلام والطفل، دار الملتقى للنشر، قبرص، ١٩٩٣م، ص ٥٠. ظ:

رسميس بهنام، الإجرام والعقاب (علم الجريمة وعلم الوقاية والتقويم)، منشأة المعارف،

الإسكندرية، ١٩٧٨م، ص ١١٢.

وبالتالي فإن الثمار تعود على المجتمع وبنائه البناء السليم الذي يكون كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ثانياً: حق تسميتهم بأسماء حسنة:

للاسّم تأثير نفسي كبير على الإنسان، لذلك أوجب الإسلام عند اختيار اسم الطفل أن يكون هذا الاسم حسناً وذا معنى جيد، ومما يُستحب في التسمية ويكره أنه:

- يجب أن يهّم المربي عند تسمية الولد أن ينتقي له من الاسماء احسنها وأجملها، والتي منها (عبد الرحمن وباقي أسماء العبودية لله ولصفاته)^(١).
- عدم تسمية الطفل بالاسماء المختصة بالله سبحانه وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد ولا الصمد.
- تجنب الاسماء التي فيها تميم وتشبه وغرام، حتى تتميز أمة الإسلام بشخصيتها .
- تجنب الاسماء التي لها اشتقاق من كلمات تشاؤم، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها.
- عدم تسميته بالاسم القبيح الذي يمس كرامته ويكون مدعاة للاستهزاء والسخرية عليه، ف(هناك بعض الممارسات التي تتجاهل هذا الحق، وإن من الآباء والأمهات من يصرُّ على تسمية ابنه أو ابنتها اسماً غير مرغوب فيه وغير محبب، لا لشيء الا تكريماً لجده او لقريبه، متجاهلاً لمقدار ما سيتعرض له هذا الطفل من مشاكل نفسية واجتماعية ترتبط بمدلول هذا الاسم، وتعكس موقفاً جماعياً ضده)^(٢).

(١) الكليني، الكافي، ١٩/٦ .

(٢) عبد السلام الرويني، الإسلام والطفل، ص ٥٣ .

وهذا مما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، فحسن اختيار الاسم
يحقق (بعض الضوابط التي تحفظ توازن السلوك الإنساني في العلاقات الاجتماعية،
التي يُراد بها إيجاد حالة من الاستقرار النفسي والعلمي الذي يفتح للمجتمع باب
السلام، ويحقق له الثبات على قاعدة العدل واحترام إنسانيته)^(٢).

ومن المهم الإشارة إلى ان أهل البيت عليهم السلام قد حثوا على استحباب تسمية الوليد
بأحسن الاسماء، ولا أحسن من اسم (محمد) وهو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الإمام
جعفر الصادق عليه السلام: (لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمداً فإذا مضى لنا سبعة أيام، فإن
شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا)^(٣). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من ولد له أربعة أولاد لم
يسم أحدهم باسمي فقد جفاني)^(٤).

ثالثاً: حق الأبناء في التربية والتعليم:

ركز الإسلام على أهمية ضمان حقوق الطفل في التربية والتعليم، وهو حق لا يقل
خطورةً ولا أهميةً عن غيره من الحقوق، فمن خلاله يتم تكوين فكر الطفل، وتعديل
سلوكه، وتنمية مهاراته، وإعداده بالجملة للحياة بكل ما تعنيه من أبعاد جسمية ونفسية
 واجتماعية وأخلاقية وإيمانية، فكان على عاتق الأبوين توفير سبل تربية الأولاد
وتعليمهم على قدر طاقتهم ووسعهم .

وقد جعل الإسلام سن التعليم في السنة السابعة من عمر الطفل، يقول الإمام
جعفر الصادق عليه السلام: (الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١ .

(٢) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٥٠/٢١ .

(٣) الكليني، الكافي، ١٨/٦ .

(٤) المصدر نفسه، ١٩/٦ .

الحلال والحرام سبع سنين^(١)، ويبدوا أنّ الحديث الشريف قد راعى ميول الطفل واستعداداته الفطرية للتعلم من دون كبت لمرحلة السبع السنوات الأولى واحتياجاتها، وهذا ما نلحظه في سنّ التعليم الذي قرّره منظمة اليونسكو العالمية.

فحري بالأبوين في هذه المرحلة من عمر الطفل - إذ تنمو المشاعر والعواطف والإدراك العقلي - أن يُعلم القيم الإيمانية التي تزرع في وجدانه وازع الضمير، وتملأ عقله بعلوم يطلبها من مواقعها، ومن ذلك تعليم الطفل حب النبي الأعظم ﷺ والامتداد الطبيعي للنبي ﷺ عترته ﷺ، وقراءة القرآن المجيد، يقول النبي ﷺ: (أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن)^(٢).

وبطبيعة الحال فإن إدراك هذه المفاهيم المقدسة (النبي والعتره والقرآن) عند الطفل تحتاج إلى تعليم يوضح ما هيبتها من خلال دراسة مواقفها وأهدافها الشاملة بجميع جوانب الحياة، وجعلها إطاراً مرجعياً لجميع العمليات التربوية والتعليمية، مازجين بين الأصالة والمعاصرة .

رابعاً: مراقبة الله تعالى:

على الوالدين ان ينبها أولادهم على مراقبة الله سبحانه لهم في جميع الأحوال، ومن هنا، فإننا بحاجة، تربوياً، في دفع الإنسان نحو استشعار المسؤولية، فإذا وقر في نفس الطفل أن الله تعالى وحده الذي يُعبد وأن الله على كل شيء رقيباً، وأن الله ﷻ يسمعهم ويراهم ويعلم ما يسرون وما يجهرون من القول، يبدأ الطفل بطاعته ومراقبته في السرّ والعلن، ومن ذلك ما وصى به لقمان ﷺ ابنه في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

(١) الكليني، الكافي، ٤٧/٦ .

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ٥٣٩/١١ .

لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١﴾، وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى. وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه.

فعلى الأب بهذا أن يسعى دائماً لإشعار الولد بمراقبة الله في كل وقت وفي كل مكان، ويوظف عنده المسؤولية أمام الله، ويشعره بواجبه تجاهه ﷺ، وهذا يمكن تحققه خاصة مع الولد في سن التمييز، إذ يمكنه أن يفكر بصورة مجردة، ويفهم ويدرك تلك المعاني السامية، فيتجلى أثرها في سلوكه، فيبقى أبداً ودائماً مستشعراً تلك المراقبة الإلهية متشرباً بها في وجدانه، ومن جميل ما جسد هذا المعنى الإمام الحسين عليه السلام في مناجاته إذ قال: (عميت عينٌ لا تراك ولا تزال عليها رقيباً) (٢).

خامساً: التوازن بين اللين والشدّة (الثواب والعقاب):

تكريم الطفل والإحسان إليه وإشعاره بالحب والحنان وإحساسه بمكانته الاجتماعية وبأنه مقبول عند والديه وعند المجتمع، يجب أن لا يتعدى الحدود بالإفراط أو التقريط (ف)تنمو فيه صفة على حساب صفة، فلا دلال على حساب المسؤولية، ولا كبت على حساب الشعور بالكرامة، ولا حب على حساب الاستقلال، ولا جفاء على حساب العلاقة الاجتماعية (٣)، وأن لا تُترك له الحرية المطلقة في أن يعمل ما يشاء، فلا بدّ من وضع منهج متوازن في التصرف معه من قبل الوالدين.

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط) (٤)، ففي حالة ارتكاب الطفل لبعض المخالفات السلوكية، على الوالدين أن يُشعروا الطفل بأضرار المخالفة وإقناعه بالإقلاع عنها، فإذا لم ينفع الإقناع واللين يأتي دور التأنيب أو العقاب المعنوي من دون البدني، والعقوبة العاطفية خيرٌ من العقوبة البدنية، وهذا

(١) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ١٤٢/٦٤.

(٣) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤٠٣/١.

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ٢٢٤/٢. وبحسب تتبع الباحث لم يجده في المصادر الحديثية.

هو المستفاد من إجابة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حينما سُئل عن كيفية التعامل مع الطفل فقال: (لا تضربه واهجره .. ولا تطل)^(١)، فنلاحظ ان الإمام عليه السلام يدعو إلى الاعتدال والتوازن بين الشدة واللين.

وان العقاب البدني يجب أن يكون آخر وسيلة يستخدمها الأب على الطفل، لأن الطفل إنْ تعود على الضرب، فإنه لن يصبح له تأثير فيه بعد ذلك، فوسائل العقاب غير الضرب كثيرة كالهجر والحرمان من المصروف والزجر والعبوس والمقاطعة وغيرها من وسائل العقاب، فلا بد أن يكون التدرج في العقاب من الأخف إلى الأشد، ومراعاة لحال الطفل، واستجابته للعقاب^(٢).

وبكلمة.. على الوالدين ان لا يتساهلا مع الطفل إلى أقصى حدود التساهل، ولا أن يُعنفَ على كل شيء يرتكبه، فلا بد أن يكون اللين وتكون الشدة في حدودهما، ويكون الاعتدال بينهما هو الحاكم على الموقف منه حتى يجتاز مرحلة الطفولة بسلام واطمئنان، يميّز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ، لأن السنين الخمسة الأولى أو الستة من الحياة هي التي تكون نمط شخصيته.

وهذا يُفهم من كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ قال: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم)^(٣)، فجمع الإمام عليه السلام بين اللين والشدة، وجعل قبال العمل الصالح الإكرام، والأخطاء قبالها التأديب.



(١) المجلسي، بحار الانوار، ٩٩/١٠١ .
(٢) ظ: شهاب الدين الحسيني، تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة، قم، ط٢، ١٤٢٦ هـ، ص٦٣.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٤٧٦/٢١، ظ: المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٥٦/١٦ .

سادساً: المساواة والعدل بين الأبناء:

إن معاملة الوالدين لأولادهم تقوم على أساس المحبة والرحمة والعدل لجميع الأولاد، وعدم إثارة بعضهم على بعض، سواء كان الولد الأول فيهم (البكر) أو كان الثاني، فالعدالة والمساواة وقاية وعلاج للغيرة والكراهية والعداء وتتأكد أهمية العدالة والمساواة كلما تقدم الطفلان في العمر، إذ تنمو مشاعرهما وعواطفهما ونضوجهم العقلي واللغوي بالتدرج يجعلهما يفهمان معنى العدالة ومعنى المساواة، ويشخصان مصاديقها في الواقع العملي .

فجاءت سنة المعصوم لتحث الآباء على التزام العدل والمساواة بين أولادهم، ومن ذلك قوله ﷺ: (إعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ)^(١)، وأكد ﷺ على العدالة في العطاء والهدية سواء في الأكل والشرب والثياب والألعاب إلى غير ذلك كما جاء في قوله ﷺ: (ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء)^(٢).

وإن كان لا يخفى ضرورة مراعاة الفروق الفردية واختلاف القدرات العقلية بين الصبيان، إلا أن هذا التفضيل يجب أن يكون مستوراً لا يظهره الوالدان أمامهما ويحتفظا به في مشاعرهما القلبية، أما في الواقع فلا يعمل إلا بالعدالة والمساواة، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (قال والدي: والله إني لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبة، وأكثر له الشكر، وأن الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف أخوته)^(٣).

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٩٢/١، المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٤٤/٦ .

(٢) البيهقي، السنن الكبرى، ١٧٧/٦ .

(٣) المجلسي، بحار الانوار، ٧٨/٧١، النوري، مستدرک الوسائل، ١٧٢/١٥ .

وفي ذلك إشارة إلى ما بدا من أخوة يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، إنه كان - يوسف عليه السلام - أحب إليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدُهم حتى حملهم على مباشرة ما فُص عنهم.

وبكلمة.. إن العدالة بمفهومها الدقيق هو وضع الشيء في محله، وإن صحة الطفل وسلامته أو حرمانه مما يملكه أقرانه تحتاج إلى مزيد رعاية، كما لا تعامل البنت مثل الولد، بخلاف بعض المجتمعات، بل يكون حظها أوفر، وإنما المساواة تكون بين الأقران ممن تساوت ملكاتهم الجسمية والجنسية.

مما تقدم في (خامساً وسادساً) يجب تجنب المحاذير الثلاثة وهي:

- أ : التدليل المفسد، وما يتعلق به من شدة الخوف على الولد.
ب: القسوة المفرطة، وما يتعلق بها من تقريع الطفل على مشهد من الآخرين.
ج: التفرقة في المعاملة، وما يتعلق بها من تفضيل بعض الأبناء على بعض،
فذلك يولد العداوة والحقد بينهم سواء أكان التفاضل بين الذكور أم بين الإناث.

سابعاً: حق النفقة:

أوجب الإسلام نفقة الأولاد على أبيهم بالحد الذي يحقق الكفاية في حدود الاعتدال وعلى وفق مقدرته المادية لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ٨ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣ . ومن اللافت للنظر هنا التعبير ب(المولود له) بدلاً من (الأب)، وذلك لعلّه جاء لاستتارة عواطف الأبوة فيه في سبيل حثّه على أداء واجبه، أي أنّه إذا كان قد وضع

ثامناً: أدب الاستئذان:

وجه الخطاب القرآني إلى الأولياء أوامر في تأديب أولادهم ومنها أدب الاستئذان، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، فنلاحظ أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد العلم والآداب الشرعية لأن الله وجه الخطاب إليهم...، فلا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب^(٢).

ويتضح من الآيتين أن سبب الاستئذان هو اجتناب نظر الداخل إلى محل أو مكان هو مظنة لرؤية عورة الإنسان، إذ إن الإنسان عند وقت الراحة أو الانتباه من النوم أو الخلود إليه ربما يكون في حال كشف، فاحتياطاً قرر القرآن وجوب تأديب الأطفال وغيرهم على أدب الاستئذان، أما في غير هذه الاوقات الثلاثة فالعبيد، والخدم، والأطفال يدخلون ويخرجون، ويذهبون ويجيئون ويترددون في احوالهم وأشغالهم بغير إذن بعد ان صار وقت الاستئذان معلوماً.

كما ويفاد من الآيتين حكمة أخرى من الاستئذان وعدم النظر إلى العورة، هو كون المنظر يُجَلُّ الناظر أيضاً ويؤثر في نفس الطفل لأن مرحلة الطفولة بالغة الخطورة والأهمية والحساسية فهي مرحلة ذات تأثير عظيم على الإنسان في مقتبل العمر وحين

على عاتقه الإنفاق على الوليد وأمه خلال هذه الفترة، فذلك لأن الطفل ابنه وثمره فواده، وليس غريباً عنه). ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢٠/٢.

(١) سورة النور، الآيتين ٥٨-٥٩ .
(٢) ظ: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٢٤ .

الكبر، لذلك (يجب أن ينشأ الأطفال على ستر العورة حتى يكون ذلك كالسجية فيهم إذا كبروا)^(١).

وبكلمة.. للأبناء، وخاصة في بداية حياتهم بل قبل ولادتهم وأخرى بعدها وخاصة مرحلة الطفولة، حقوقاً تدور في مجملها حول حمايتهم من الهلاك، أو الضياع، أو التشرّد، ولا ينعكس بطبيعة الحال حُسن هذه التربية أو سيئها على محيط الأسرة فحسب، بل يتعداه إلى المحيط الأكبر في المجتمع، فتربية الطفل (تربية صالحة، قد يتولى انقاذ شعب بكامله، كما انه لو رُبي تربية سيئة، قد يكون سبباً في هلاك ذلك الشعب)^(٢).

إنّ للأسرة مكانة سامية في الإسلام، وأثر كبير في بناء المجتمع الإسلامي، فحريٌّ بهذه الأسرة الالتزام بضوابط وتعليمات القرآن المجيد، لتفلق بالتالي بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وإلاً (فالكثير من حالات الانحراف الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع الإنساني، سببه أسرة تكونت وفق ضوابط خاطئة وغير مدروسة، ابتداء من سوء اختيار شريك الحياة الزوجية والذي يتسبب بعدم التوافق والانسجام، ومن ثم ينعكس على الأبناء الذين يكونون ضحية مسألة لم تكن لهم فيها يد أو اختيار.. وبالتالي تتكون أسرة غير متوافقة، ولا يشعر أبنائها بالانتماء لها، بل كلٌّ يحاول الانفلات عن ريقتها، بحثاً عن ملاذ آخر أكثر أمناً وطمأنينة.. أو الاتجاه صوب الضياع اللانهائي الذي لا رجعة فيه على أسوأ تقدير..)^(٣).

فإذا كان مجتمع هذه صورته فإن مسؤولية رب الأسرة اتجاه افراد أسرته (هو المحافظة عليهم من الانحراف ومخالفة الشريعة، فهو مسؤول عن حجاب زوجته

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣٤/١٨.

(٢) روح الله الخميني، مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني، ص ١٦٨ .

(٣) هاشم الصفار، دور الأسرة في بناء المجتمع السليم، مجلة صدق الروضتين، قسم الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة، السنة ٧، ١٤٣٣هـ، العدد ١٨٢، ص ١٦.

وبناته وعن أدائهم للصلاة والصوم وبقية الواجبات وعن جميع حركاتهم وسكناتهم^(١)، فمسؤولية الوالدين في الظروف الاستثنائية تزداد في التربية والتأديب كلما ابتعد المجتمع عن الإسلام، أو كان مجتمعاً إسلامياً في الظاهر ولم يتبنَّ الإسلام منهاجاً له في الواقع العملي؛ لتأثير العادات والتقاليد والأفكار والمناهج التربوية غير السليمة على تربية الطفل، وخصوصاً أجهزة الإعلام كالراديو والتلفزيون والسينما وغيرها.

فالتجارب العملية أثبتت أن أي جهاز آخر غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها، ولا يقوم مقامها، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته، وبخاصة نظام المحاضن الجماعية التي أرادت بعض المذاهب المصطنعة المتعسفة أن تستعويض بها عن نظام الأسرة في ثورتها الجامحة الشاردة المتعسفة ضد النظام الفطري الصالح القويم الذي جعله الله للإنسان، فكان لزاماً عليهم - الأم والأب والمؤسسات الإسلامية وغيرها - الاقتداء بهدي القرآن الكريم والعترة الطاهرة وما شرعه من ضوابط تحفظ كيان الأسرة في بناء رصين متماسك السلسلة مبتدأً من حُسن اختيار الشريك وغير منتهٍ بنهاية.



(١) باقر الايرواني، دروس تمهيدية في تفسير آيات الاحكام، ٢/٨٩٠.

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

- ١- ابتسام السيد عبد الكريم المدني (الدكتور)، المرأة بين الحقوق والواجبات في ضوء القديم والحديث، مجلة آفاق جامعية، قسم الاعلام والعلاقات، جامعة الكوفة، السنة الأولى، ٢٠٠٩م، العدد ٣.
- ٢- إبراهيم الموسوي الزنجاني، بداية الفلسفة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٣- أحمد الهادلي، من هدى النبي والعترة في آداب العشرة، تحقيق: علي الأسدي، مكتبة فذك، إيران، ٢٠٠٥م.
- ٤- احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).
- ٥- أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دت).
- ٦- احمد محمد فارس (الدكتور)، النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م.
- ٧- أحمد واعظي، المجتمع الديني والمدني، ترجمة: حيدر حب الله، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٨- أكرم بركات (الدكتور)، محاضرات في الثقافة الإسلامية، دار السراج، بيروت، ٢٠١٤م.
- ٩- _____، التكفير، بيروت، دار الأمير، ٢٠١٤م.
- ١٠- باقر شريف القرشي (ت ٢٠١٢م)، النظام التربوي في الإسلام - دراسة مقارنة - ، دار الكتاب الإسلامي، (دت).
- ١١- _____ ، المرأة في رحاب الإسلام، دار الهدى، ٢٠٠٥م.
- ١٢- البخاري (ت ٢٥٦هـ) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

- ١٣- حامد الخفاف (الدكتور)، المرأة السلعة لا الآدمية، كتاب المنهاج: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الغدير، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.
- ١٤- الحر العاملي(١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، نشر مؤسسة آل البيت(عليه السلام) لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ١٥- الحر العاملي، هداية الأمة الى احكام الائمة (ع)، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ.
- ١٦- حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، مجمع الذخائر الإسلامية، قم المقدسة، ١٤٢٩هـ.
- ١٧- جواد علي (الدكتور)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٩٩٣م.
- ١٨- الدينوري، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م.
- ١٩- رمسيس بهنام، الإجرام والعقاب (علم الجريمة وعلم الوقاية والتقويم)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨م.
- ٢٠- روح الله الخميني، مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، (دت)، (من لقاء مع السيدة اليزابث تاركود بتاريخ ١/١١/١٩٧٨م).
- ٢١- زين الدين علي، منية المرید، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٢٢- ساندل مايكل، ييرا ليسم ومنتقدان ان، ترجمة: احمد تدين، طهران، شركت انتشارات علمي فرهنگي، ١٣٧٤ هـ.ش.
- ٢٣- سبوك (الدكتور)، مشاكل الاباء في تربية الابناء، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٤- ستيفن كوفي، العادات السبع للأسرة الأكثر فعالية، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٣م.

- ٢٥- شاهين محمد (الدكتور)، علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، ١٩٩١م.
- ٢٦- السعدي (ت ١٣٧٦هـ) عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ٢٧- شهاب الدين الحسيني، تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة، قم، ٢، ١٤٢٦هـ.
- ٢٨- الصدوق (ت ٣٨١هـ) أبي جعفر محمد بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (دت).
- ٢٩- _____، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦.
- ٣٠- صلاح الدين نامق (الدكتور)، حقوق الزوج على زوجته في الفكر الإسلامي، مجلة جامعة الانبار، كلية التربية، المجلد الاول، ٢٠٠٩م، العدد ٣.
- ٣١- الطبرسي، الاحتجاج، تحقيق محمد الخرسان، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦م.
- ٣٢- _____، مستدرك الوسائل، بيروت، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٧م.
- ٣٣- الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تجريد الاعتقاد، تحقيق: محمد جواد الحسين الجالي، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧.
- ٣٤- عبد الأمير منصور الجمري، المرأة في ظل الإسلام، دار البلاغ، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٣٥- عبد الحسين دستغيب، صلاة الخاشعين، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٣٦- عبد الرحمن بدوي (الدكتور)، المؤسسه العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م.
- ٣٧- عبد السلام الرويبي، الإسلام والطفل، دار الملتقى للنشر، قبرص، ١٩٩٣م.
- ٣٨- عبد الله دراز (الدكتور)، دستور الأخلاق في القرآن، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٢م.

- ٣٩- عز الدين بحر العلوم (ت ١٤١١هـ)، الزواج في القرآن والسنة، دار الزهراء، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م.
- ٤٠- علي القائمى (الدكتور)، آثار الطلاق ونتائجه، تكوين الأسرة في الإسلام، دار النبلاء، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٤١- علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الأصول، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٠م.
- ٤٢- علي موحديان عطار، نظرية المهدوية في الديانات، كتاب المنهج، مركز الغدير، ٢٠٠٩م.
- ٤٣- الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط ٢، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
- ٤٤- الكتاب المقدس، العهد القديم، المكتبة الشرقية، بيروت، ط ٤، ١٩٩٧م.
- ٤٥- الكليني محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ ش.
- ٤٦- الكوفي إبراهيم، تفسير الفرات، تحقيق: جلال الدين الأرمون، إيران، (دت).
- ٤٧- المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٤٨- المجلسي (ت ١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٨٣م.
- ٤٩- محسن الأمين (ت ١٣٩٠هـ). الشيعة بين الحقائق والأوهام، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط ٣، ١٩٧٧م.
- ٥٠- محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت).

- ٥١- محمد اسحاق الفياض (مرجع ديني معاصر)، (مجموعة اسئلة واجوبة) تحت عنوان: موقع المرأة في النظام السياسي الإسلامي، مجلة حوار الفكر، تصدر عن المعهد العراقي لحوار الفكر، بغداد، السنة ٨، حزيران، ٢٠١٢م، العدد ٢٠.
- ٥٢- محمد التونجي (الدكتور)، المعجم المفصل في الأدب واللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٥٣- محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط٤، ٢٠٠٧م.
- ٥٤- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط١٠، ١٩٨١م.
- ٥٥- محمد بن لطفي الصباغ (الدكتور)، الإنسان في القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٥٦- محمد بن موسى الشريف (الدكتور)، المقالات النفسية في الحج، دار الأندلس، جدة، ٢٠٠٠م.
- ٥٧- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
- ٥٨- _____، المرأة في القرآن، تحقيق: محمد مرادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٥٩- _____، قضايا المجتمع والأسرة والزواج، دار الصفاة، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٦٠- محمد حسين، العشرة الطيبة، دار الدعوة، مصر، ط٣، ٢٠٠٤م.
- ٦١- محمد سيد أحمد المسير (الدكتور)، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٩م.
- ٦٢- محمد صادق الصدر (مرجع ديني معاصر)، تاريخ الغيبة الكبرى (الموسوعة)، دار ومكتبة البصائر، بيروت، (دت).
- ٦٣- محمد عبده (ت ١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.

- ٦٤- محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٠م.
- ٦٥- محمد علي أمين، مجتمعنا المجتمع الفرعوني محاضرات للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد، ٢٠١٣م.
- ٦٦- محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، المنظور القرآني في بناء الإنسان (اطروحة دكتوراه)، كلية الفقه/ جامعة الكوفة، ٢٠١٢م.
- ٦٧- _____ ، المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (ع) - دراسة تفسيرية-، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م، العدد ٢٠.
- ٦٨- محمد مهدي الآصفي، كيف نحافظ على مكاسب الحج؟، مجلة ميقات الحج، طهران، السنة ١٦، ذو الحجة، ١٤٣٠هـ، العدد ٣٢.
- ٦٩- محمد مهدي شمس الدين، حقوق الزوجية حقوق الزوجية ويليها حق العمل للمرأة، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٧٠- محمد نجيب ابو عجوة (الدكتور)، المجتمع الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٧١- محمود البستاني (الدكتور)، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٧٢- محمود نعمة الجياشي (الدكتور)، المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠١٠م.
- ٧٣- محي الدين مستو، عبادات الإسلام فقهها وأسرارها، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١١هـ.
- ٧٤- محيي الدين عبد الحلیم (الدكتور)، الدراما والتلفزيون والشباب الجامعي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.
- ٧٥- مرتضى المطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ٢٠٠٥م.

- ٧٦- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠١هـ.
- ٧٧- المفيد، الأمالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط ٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.
- ٧٨- منذر الحكيم، مجتمعنا غي تراث السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت، ٢٠١١م.
- ٧٩- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- ٨٠- نصر حامد أبو زيد (الدكتور)، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- ٨١- نور الدين عتر (الدكتور)، ماذا عن المرأة، دمشق، دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٩هـ.
- ٨٢- نوري جعفر (الدكتور)، علي ومناوئوه، مطبوعات النجاح بالقاهرة، ط ٤، ١٩٨٦م.
- ٨٣- هاشم الصفار، دور الأسرة في بناء المجتمع السليم، مجلة صدى الروضتين، الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة، السنة ٧، ١٤٣٣، العدد ١٨٢.
- ٨٤- ابن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)، سيرة النبي، تحقيق: عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، (دت).



الفهرس

٥	الإهداء
٧	مقدمة
١١	الباب الأول : المجتمع الإسلامي العام
١٣	الفصل الأول: مدخل عام:
١٦	١- تعريف المجتمع
١٦	٢- تعريف علم الاجتماع
١٧	٣- تعريف المجتمع الإسلامي
١٧	٤- تعريف الجماعة
١٧	٥- تعريف الأمة
١٩	٦- مفهوم المجتمع في الفلسفة
٢٤	٧- نظريات تفسير نشأة المجتمع وتطوره
٣١	٨- مباني المجتمع المدني والمجتمع الإسلامي
٤٧	الفصل الثاني: مجتمع الإمام المهدي عج الخصائص والصفات
٤٩	أولاً: المُخَلَّص في الأديان السابقة
٥٤	ثانياً: من خصائص الدولة المهديّة
٦٢	ثالثاً: صفات المجتمع الممهّد لدولة العدل الإلهي
٦٥	الفصل الثالث: أسس بناء المجتمع الإسلامي وعناية الإسلام بها
٦٨	أولاً: الإنسان
٦٩	ثانياً: الروابط الاجتماعية
٧١	ثالثاً: الضبط الاجتماعي
٧٥	رابعاً: الأرض

٧٩	الفصل الرابع: سمات المجتمع الإسلامي
٨١	السمة الأولى: أنه مجتمع ملتزم بالشرع
٨٢	السمة الثانية: أنه مجتمع جاد
٨٤	السمة الثالثة: أنه مجتمع متسامح
٨٧	السمة الرابعة: أنه مجتمع قائم على العدل
٨٨	السمة الخامسة: أنه مجتمع يدعو الى المساواة
٨٨	السمة السادسة: أنه مجتمع متكافل مترابط
٨٩	السمة السابعة: انه مجتمع تشيع بين أفراده المحبة
٨٩	السمة الثامنة: انه مجتمع له خصوصيته (هويته)
٩٠	السمة التاسعة: انه مجتمع يأخذ بأسباب القوة والمنعة
٩١	الفصل الخامس: أسباب تقوية الروابط الاجتماعية
٩٣	أولاً: تشريع الإسلام للفرائض العبادية وأثرها في المجتمع الإسلامي
٩٤	١- فريضة الصلاة وأثرها في المجتمع
٩٨	٢- فريضة الزكاة وأثرها في المجتمع الإسلامي
١٠٠	٣- فريضة الصيام وأثرها في المجتمع الإسلامي
١٠٢	٤- فريضة الحج وأثرها في المجتمع الإسلامي
١٠٤	ثانياً: تشريع الإسلام للواجبات الاجتماعية الخاصة
١٠٤	١- بر الوالدين وطاعتها
١٠٦	٢- صلة الارحام والإحسان إليهم
١٠٧	٣- الإحسان الى الجيران وتجنب إيذائهم
١٠٩	ثالثاً: دعوة الإسلام إلى التآلف الاجتماعي وتقوية للروابط الاجتماعية....
١٠٩	١- إفشاء السلام
١١١	٢- توقير الكبار والعطف على الصغار

- ١١١ ٣- أسباب أخرى تقوّي التآلف الاجتماعي
- ١١٢ رابعاً : دعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة تقوية للروابط الاجتماعية
- ١١٣ أصناف الأخلاق:
- ١١٤ ١-الصدق
- ١١٥ ٢-الحياء
- ١١٦ ٣-البشاشة وطلاقة الوجه
- ١١٧ ٤-المداراة والتلطّف بالآخرين
- ١١٩ ٥-أخلاق أخرى دعا إليها الإسلام وأخلاق حذر منها
- ١١٩ خامساً : تشريع الإسلام للتكافل الاجتماعي تقوية للروابط
- ١٢١ ١- تشريع فريضة الزكاة
- ١٢٢ ٢- تشريع زكاة الفطر
- ١٢٣ ٣- تشريع النفقات الواجبة
- ١٢٤ ٤- تشريع واجبات مالية أخرى تكافلية
- ١٢٥ ٥- تشريع الصدقات التطوعية
- ١٢٨..... سادساً: دعوة الإسلام إلى الحوار والجدال بالتي هي أحسن
- ١٢٨ ١-الإسلام دعوة عالمية
- ١٢٩ ٢-اعتماد الإسلام طريق الحوار الحسن في تبليغ رسالته
- ١٣١ ٣-حقيقة الحوار "المناظرة" وأقسامه ولوازمه
- ١٣٥ **الفصل السادس: أهم المشكلات الاجتماعية العامة (الوقاية والعلاج)**
- ١٣٧ أولاً: انحراف بعض الشباب
- ١٣٧ ١-الانحراف الفكري
- ١٣٩ ٢-الانحراف السلوكي
- ١٤١ ثانياً: انتشار وسائل الإعلام المضللة وسبل الاحتراز منها

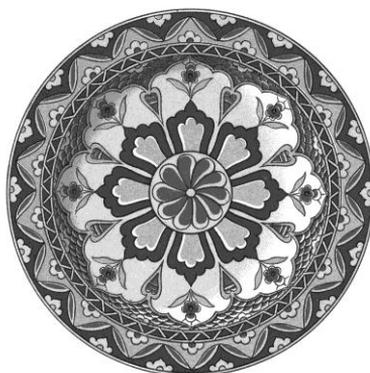
١٤٥	ثالثاً: ضعف صلة كثير من الشباب بعلماء الإسلام
١٤٨	رابعاً: فشو الفواحش الأخلاقية
١٤٩	١- جريمة الزنا
١٥١	٢- جريمة اللواط
١٥٣	٣- جريمة القذف
١٥٥	٤- الاختلاط غير المنضبط
١٥٧	خامساً: المخدرات ، والمسكرات
١٦٠	سادساً: الغش وأثره في المجتمع
١٦٢	سابعاً: الرِّشوة وأثرها في إفساد العلاقات الاجتماعية
١٦٥	الفصل السابع : المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي
١٦٧	أولاً: الآخر في المجتمع الإسلامي - النظرة والتعامل -
١٧٥	ثانياً: أخلاقيات التواصل مع الناس
١٨٣	ثالثاً: لياقات التواصل مع الناس
١٩٣	رابعاً: النظام الاجتماعي العام (البيئة)
١٩٩	الباب الثاني: الاسرة نواة المجتمع الإسلامي
٢٠١	الفصل الأول: أهمية الاسرة ومكانتها في الإسلام
٢٠٣	أولاً : أهمية الأسرة وتكونها من خلال الزواج الشرعي دون غيره
٢٠٥	ثانياً : المرأة في الإسلام، مقارنة بالمجتمعات والأنظمة القديمة والحديثة....
٢٠٥	أ : المرأة في غير المجتمع الإسلامي
٢٠٩	ب : مكانة المرأة في الإسلام
٢١٢	ج : شبهات أثرت على المرأة في المجتمع الإسلامي والرد عليها.....
٢١٢	١- شبهة عمل المرأة والرد عليها
٢١٣	٢- شبهة شهادة المرأة والرد عليها

- ٢١٤ -٣- شبهة الدية والرد عليها
- ٢١٥ -٤- شبهة تعدد الزوجات والرد عليها
- ٢٢٠ **ثالثاً : الحجاب وأهميته في الحفاظ على الأسرة والمجتمع**
- ٢٢٠ **أولاً : الحكم الشرعي للحجاب ومقاصده وصفاته**
- ٢٢٣ **ثانياً : شبهات حول الحجاب والرد عليها**
- ٢٢٥ **رابعاً : عوامل حماية الأسرة**
- ٢٢٦ -١- غض البصر
- ٣٣٠ -٢- الاستئذان لدخول البيوت
- ٢٣٢ -٣- عدم الخلوة
- ٢٣٣ -٤- قرار النساء في البيوت
- ٢٣٥ -٥- الغيرة على المحارم
- ٢٣٧ -٦- عقوبة الزنا والقذف
- ٢٤١ **الفصل الثاني : اختيار الشريك الصالح في بناء الأسرة الإسلامية ...**
- ٢٤٣ **أولاً: أثر اختيار الشريك الصالح**
- ٢٤٥ **ثانياً: أهمية اختيار الشريك الصالح**
- ٢٤٩ **ثالثاً: أهداف الخطبة**
- ٢٥٠ **رابعاً: المخالفات الشرعية في الخطبة**
- ٢٥١ **خامساً: أهم المبادئ التي يجب ان تتوفر في المرأة (شريك الحياة)**
- ٢٥٧ **الفصل الثالث : المنظومة الحقوقية في الأسرة (حقوق الزوجين) ...**
- ٢٦٠ **أولاً: الحقوق المشتركة بين الزوجين**
- ٢٦٠ -١- حق الاستمتاع المتبادل
- ٢٦٢ -٢- حُسن العشرة
- ٢٦٥ -٣- ثبوت حرمة المصاهرة وثبوت النسب

-
- ٤- ثبوت حق التوارث بين الزوجين ٢٦٨
- ٥- التعاون على البر والتقوى ٢٧٠
- ٦- اصلاح تخلف أحد الزوجين عن واجبه (النشوز): ٢٧٢
- ١- نشوز المرأة ٢٧٢
- ٢- نشوز الرجل ٢٧٤
- ثانياً: حقوق الزوج ٢٧٧**
- ١- الطاعة بالمعروف ٢٧٩
- ٢- عدم إذن الزوجة في بيت الزوج لمن يكره دخوله ٢٨٤
- ٣- الحداد على الزوج ٢٨٤
- ثالثاً: حقوق الزوجة ٢٨٦**
- ١- حقها في المهر ٢٨٦
- ٢- حقها في النفقة ٢٨٨
- ٣- حقها في معاملة عادلة (عند تعدد الزوجات) ٢٩٠
- الفصل الرابع : حقوق الآباء والأبناء: ٢٩٥**
- أولاً : حقوق الآباء (الأصول): ٢٩٧**
- ١- بر الوالدين ٢٩٧
- ٢- حق النفقة ٣٠٢
- ٣- طاعة الوالدين في غير معصية ٣٠٢
- ثانياً: حقوق الأبناء ٣٠٤**
- ١- حُسن اختيار الشريك (الأب - الأم) ٣٠٥
- ٢- حق تسميتهم بأسماء حسنة ٣٠٧
- ٣- حق الأبناء في التربية والتعليم ٣٠٨
- ٤- مراقبة الله تعالى ٣٠٩

- ٥- التوازن بين اللين والشدّة (الثواب والعقاب) ٣١٠
- ٦- المساواة والعدل بين الأبناء ٣١٢
- ٧- حق النفقة ٣١٣
- ٨- أدب الاستئذان ٣١٤
- قائمة المصادر** ٣١٧
- ترجمة المخلص باللغة الإنكليزية** ٣٢٤





رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨ م





المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/١٢/٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م.

(العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة

بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان - دراسة تفسيرية -) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لستين: ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الأشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ - ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علمية عديدة.

* نشر بحوث علمية في مجالات علمية محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجالات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة - جمعية علمية - النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

* عضو في لجنة:

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadm323@gmail.com

mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

<http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy>

كتب صدرت للمؤلف

- ١- كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.
- ٢- كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني - دراسة قرآنية -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.
- ٣- كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم - دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.
- ٤- كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى - الإمامية، المعتزل، الاشاعرة - دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.
- ٥- (كتيب): اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.
- ٦- كتاب: مناهج المفسرين - دراسة في النظرية والتطبيق -، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م
- ٧- كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر - دراسة في ضوء الكتاب والسنة -، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- كتاب: أصول التفسير -دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد-، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الإيداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أنروط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: التفسير التربوي للقرآن الكريم -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات-، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: أساليب القرآن الكريم - دراسة في النظرية والتطبيق -، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.

Contemporary Islamic Society

- A Study Inspired by Quran and Sunnah -

The human society and the organization of life sought by all mankind, scientists and thinkers and others in the search for theories and ways to improve the social reality, did not succeed these ideologies in the prevention of injustice.

The teachings of heaven in the last celestial messages had their effect in the practical and psychological reality of the human being, and for this reason it was the author of this book.

It was in Babin, the first about the Islamic community in general, and in seven chapters, and the second part was about the nucleus of the family community in the Islamic community, and in four chapters recited with a conclusion and a list of the most important sources.

I hope this book will be useful to our young people in their daily lives to achieve happiness for them and to live psychologically and socially. God created us and knows what pleases us and what harms us.

We ask you to pray..

Dr. Mohammed Kathm Al-Fatlawi

Assistant Professor of Interpretation and Sciences of the Qur'an

Shamia / University of Kuf

